Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

(فهرست تحفة العروس ونزهة النفوس للقطب الربانى أبى عبد الله
الشيخ محمد بن أحمد التيجانى نفع الله به وبعلومه آمين)

صحيفه

٥ الباب الاول جامع فى النساء وما يتقى من فتنتهن وما زينه الله
وتعالى فى قلوب الرجال منهن وحكمة الله سبحانه فى أن خلقهن وا
من نفس واحدة ليسكن بعضهم الى بعض الخ

٨ الباب الثانى فى العفاف والتصوف وثواب من منع النفس
وقهرها عن شهواتها المحرمة ومناها

١٣ الباب الثالث فى الحض على النكاح والانكار على من
زهد وذكر اختلاف الناس فى وجوب النكاح أو استحبابه

١٨ الباب الرابع فى تخير الرجل لنطفه وبيان الخصال التى تتوق
المرأة وما ينبغى للرجل أن يقصده من ذلك ومن يتجنب من النسا

٢٥ الباب الخامس فيما يباح للرجل من النظر الى المرأة اذا أراد

٢٩ الباب السادس فى ذكر الصدقات وما ورد فى كثرتها وقلتها و
المغالاة فيها

٣٣ الباب السابع فى الوقت المستحب لعقد النكاح وذكر الوليمة وما
ينبغى أن يدعى له للمتناكحين

٣٩ الباب الثامن فى جلاء العروس عند ابتداء زوجها بها و
الرجل ليلا أو نهارا واستحباب اللهو فى ذلك وما ينبغى للرجل
أن يمتثله عند الاجتماع وقبل الوقاع وذكر جمل من آداب الج

٤٨ الباب التاسع فى الزينة والتطيب وما يستحب للمرأة من
وانه من أعظم الاسباب الموجبة لحظوتها عند زوجها

٥٥ الباب العاشر فى زينة الرجل وما يستحب من التهيئ
ان تتهيأ له والنهى عن اكراه المرأة الحسناء على تزوج
والحدثة على تزوج المسن

٥٩ الباب الحادى عشر فى معاشرة النساء ومواقفتهن وحقوق
الرجل وما له من الحق عليها وذكر وصايا من وصايا الحكماء
اهدائها

صحيفه

١٣٢ فصل فى ذكر الثغور والصدور
١٣٤ فصل فى ذكر الثدى واختلاف الناس فيما يستحسنون من كبره أو صغرها
١٣٦ فصل فى ذكر الخصور
١٣٧ فصل فى ذكر العكن
١٣٨ فصل فى ذكر السرر
١٣٩ فصل فى ذكر الفرج وما ورد فى النظر اليه منعا واباحة
١٤٣ فصل فى ذكر الارداف
١٤٦ فصل فى ذكر السوق
١٨٨ فصل فى ذكر الاقدام
١٥٠ الباب الحادى والعشرون جامع لذكر النكاح وبيان ما فيه من المنافع والمضار وما قيل فى الاقلال منه والاكثار وفى مذاهب العرب فى وطء الليل ووطء النهار وذكر أسماء من أسماء النكاح منزلة على حسب ما نزلتها العرب على لغتها
١٦٠ وهذا فصل مما يختص به الانسان من ضروب النكاح منقول من فقه اللغة لابى منصور الثعالبى رحمه الله تعالى
١٦١ الباب الثانى والعشرون فى الرمز فى الجماع
١٦٥ الباب الثالث والعشرون فى وطء الرجل فى غير الفرج وذكر صور من صور النكاح وردد ذكرها فى بعض الاحاديث
١٦٩ الباب الرابع والعشرون فى الغيرة وما يحمد منها وما يذم
١٧٦ الباب الخامس والعشرون يشتمل على ملح الحكايات والمطايبات تتعلق كلها بالنكاح وهو خاتمة الابواب

تمت الفهرست

٦٦ الباب الثانى عشر فى السرارى

٧٠ الباب الثالث عشر فى تفصيل الاسنان وما ورد فى ذلك من الاستقباح والاستحسان

٨٠ الباب الرابع عشر فى الابكار والثيب

٨٠ الباب الخامس عشر فى السمن والضمور

٨٧ الباب السادس عشر فى الالوان ✻ وفيه ثلاثة فصول

فصل فى البياض

٩٠ فصل فى السمرة

٩١ فصل فى السواد

٩٤ الباب السابع عشر فى الطول والقصر

٩٧ الباب الثامن عشر فى الملاحة والجمال

١٠٢ الباب التاسع عشر فى ذكر أوصاف النساء على الاجمال

١١٠ وهذا فصل فى تفصيل الاوصاف المحمودة من خلق المرأة والمستحب من سائر تصرفاتها وافعالها منقول من كتاب فقه اللغة لابى منصور رحمه الله تعالى

١١٤ الباب العشرون فى ذكر أوصافهن على التفصيل وما ورد فى ذلك من الخيرة والتفضيل ✻ وفيه عشرون فصلا

٠٠ فصل فى ذكر الشعور

١١ فصل فى ذكر الجبهة والجبين وما يتصل بهما من ذكر الطرر والسوالف

١١٠ فصل فى ذكر الحواجب

١١٢ فصل فى ذكر العيون

١١٨ فصل فى ذكر الانوف

١١٩ فصل فى ذكر الخدود

١٢٠ فصل فى ذكر الشفاه واللثات

١٢٢ فصل فى ذكر الثغور

١٢٤ فصل فى ذكر الاعناق

١٢٦ فصل فى ذكر المعاصم والاعضاد

١٣٠ فصل فى ذكر [illegible]

391.
9035
2276

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015062084

تحفة العروس ونزهة النفوس تأليف العالم
العلامة والحبر البحر الفهامة الامام
القطب الرباني أبي عبدالله محمد
ابن أحمد التيجاني تغمده الله
برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

٢

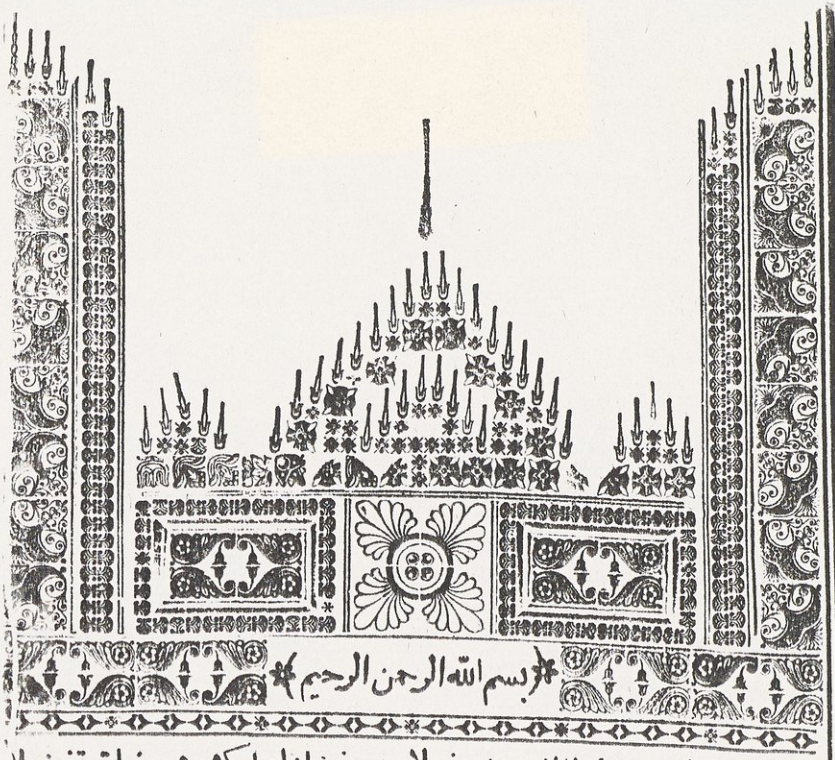

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذي سوغنا الفضل جزيلا * وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا
وأسبغ علينا من نعمه الظاهرة والباطنة ما جعل كثير الشكر بالنسبة اليه
قليلا * وصلى الله على سيدنا محمد الذي ابتعثه للخلق رسولا ونزل عليه
وحيه تنزيلا * وتخير من اطهر الاعراق * وجعل شرعه القويم متمما لمكارم
الاخلاق * وعلى آله واصحابه الذين كمل لهم برؤيته واتباعه الفضائل تكميلا
وسلم عليه وعليهم تسليما يتأدى روحه الى أرواحهم المقدسة بكرة واصيلا
* أما بعد * فان الله تعالى بلطيف حكمته * وما أودعه في ابداع العالم من
عجائب قدرته * خلق الانسان مجبولا على الافتقار * وطبعه في أصل خلقته
على الاحتياج الى السكن والاضطرار * ثم أراد سبحانه ان ييسر ما احوجه اليه من
فضله امنه ونعمة * فخلق له من نفسه زوجا ليسكن اليها وجعل بينهما مودة
ورحمة * وجعل ما ركبه فيهما من الشهوة * والحرص على استكمال اللذة
واللذة * داعية الى حفظ الوجود * وبقاء النسل المقصود * وشرع للخلق
من النكاح المباح حكما هدى من الحيرة * وجدع به انف الانفة والغيرة
(ولما) كان التلذذ بالنساء أعظم اللذات وكان لهن من التقدم في قلوب الرجال
ما قدمهن الله سبحانه في كتابه على سائر الشهوات رأينا ان نجمع من ملح
اخبارهن ومستظرف [illegible] واشعارهن وما يستحلى من أوصافهن

ويستحب

ويستحب من ألوانهن واسنانهن ويستحسن من آدابهن ويمدح من خلقهن
واخلاقهن ومن ينبغي للرجل ان يختار لنكاحه منهن وبيان جمل من
احكامهن فبذا تجمع بين افادة العلم وامتاع النفوس * فجمعنا هذا الكتاب
المسمى بتحفة العروس (وانتظم) ماتضمنه من الفنون في خمسة وعشرين بابا
يشتمل كثير منها على فصول تتعدد بحسب ماتتنوع ترجمة الباب اليه * وقد
أثبتها مسرودة على توالبها بالتحفة بما تضمنته قبل النظر فيها * الباب الاول *
جامع في النساء ومايتقى من فتنتهن ومازينه الله سبحانه وتعالى في قلوب
الرجال منهن وحكمة الله سبحانه في أن خلقهن والرجال من نفس واحدة
ليسكن بعضهم الى بعض وكراهة الخلوة مع غير ذوات المحارم ومايؤمر الرجل
ان يفعله اذا رأى امرأة فاعجبته * الباب الثاني * في العشاق والتصوّن
وثواب من منع النفس هواها وقمعها عن شهواتها المحرمة ومناها * الباب
الثالث * في الحض على النكاح والانكار على من ترك النساء زهدا وذكر
اختلاف الناس في وجوبه أو استحبابه * الباب الرابع * في تخيير الرجل
لنطفته وبيان الخصال التي تتزوج لها المرأة وماينبغي للرجل ان يقصده من
ذلك ومن يتجنب من النساء * الباب الخامس * فيما يباح للرجل من النظر
الى المرأة اذا أراد نكاحها * الباب السادس * في ذكر الصدقات وما
ورد في كثرتها وقلتها وكراهة المغالاة فيها * الباب السابع * في الوقت
المستحب لعقد النكاح والوليمة وماينبغي ان يدعى به للمتناكحين * الباب
الثامن * في جلاء العروس عند ابتناء زوجها بها ودخوله عليها الرجل ليلا
أو نهارا واستحباب اللهو في ذلك وماينبغي للرجل والمرأة ان يمتثلاه عند
الاجتماع وقبل الوقاع وذكر جمل من آداب الجماع * الباب التاسع * في
الزينة والطيب وماينبغي للمرأة من ملازمة ذلك وانه من أعظم الاسباب
الموجبة لحظوتها عند زوجها * الباب العاشر * في زينة الرجل ومايستحب
له من التهيئ لزوجته كما يجب ان تتهيأ له والنهي عن اكراه المرأة الحسناء على
تزوج الرجل القبيح والحدث على تزوج المسن * الباب الحادي عشر * في
معاشرة النساء وموافقتهن وحقوق المرأة على الرجال ومالهن من الحق عليها
وذكر وصايا من وصايا الحكماء لبناتهم عند هدائهن * الباب الثاني عشر *
في السراري * الباب الثالث عشر * في تفصيل الاسنان وماورد في ذلك
من الاستقباح والاستحسان * الباب الرابع عشر * في الابكار والثيب

﴿الباب الخامس عشر﴾ في السمن والضمور ﴿الباب السادس عشر﴾
في ذكر الالوان ﴿وفيه ثلاثة فصول (فصل) في البياض (فصل) في السمرة
(فصل) في السواد ﴿الباب السابع عشر﴾ في الطول والقصر ﴿الباب
الثامن عشر﴾ جامع في الملاحة والجمال ﴿الباب التاسع عشر﴾ في ذكر
أوصاف النساء على الاجمال ﴿الباب العشرون﴾ في ذكر أوصافهن على
التفصيل وما ورد في ذلك من المخايرة والتفضيل ﴿وفيه عشرون فصلا
(فصل) في ذكر الشعور (فصل) في ذكر الجبهة والجبين وما يتصل بهما من
ذكر الطرر والسوالف (فصل) في ذكر الحواجب (فصل) في ذكر العيون
(فصل) في ذكر الانوف (فصل) في ذكر الخدود (فصل) في ذكر الشفاه
واللثات (فصل) في ذكر الثغور (فصل) في ذكر الاعناق (فصل) في ذكر
المعاصم والاعضاد (فصل) في ذكر الانامل وتظريفها بالحمرة والسواد
(فصل) في ذكر النحور والصدور (فصل) في ذكر الثدي واختلاف الناس
فيما يستحبون من كبرها أو صغرها (فصل) في ذكر الخصور (فصل) في ذكر
العكن (فصل) في ذكر السرر (فصل) في ذكر الفرج وما قيل في النظر اليه منعا
واباحة (فصل) في ذكر الاراديف (فصل) في ذكر الساق (فصل) في ذكر
الاقدام ﴿الباب الحادي والعشرون﴾ جامع لذكر الجماع وبيان ما فيه من
المنافع والمضار وما قيل في الاقلال منه والاكثار ومذاهب العرب في وطء
الليل ووطء النهار وذكر اسماء من اسماء النكاح منزلة على حسب ما نزلتها العرب
في لغتها ﴿الباب الثاني والعشرون﴾ في الزهد في الجماع ﴿الباب الثالث
والعشرون﴾ في الوطء فيما دون الفرج وذكر صور من صور النكاح ورد
ذكرها في بعض الاحاديث ﴿الباب الرابع والعشرون﴾ في الغيرة وما يحمد
منها وما يذم ﴿الباب الخامس والعشرون﴾ يشتمل على ملح من ملح المفاكهات
والمطايبات تتعلق جميعها بالنكاح وهو خاتمة الابواب (وذكرنا) في كل باب من
هذه الابواب ما يليق به من الاحاديث النبوية وتعرضنا لايراد ما يحتاج اليه من
المسائل الفقهية وتبيين كثير مما يشكل من الالفاظ اللغوية وكثيرا ما
نتعرض لشروح الاحاديث التي نذكرها اما بنقل أقوال الناس فيها واما بمعان
مستنبطة يظهرها النظر ويبديها وربما تعرضنا لتصحيح ما حكم العلماء بصحته
من تلك الاحاديث وتسقيم ما حكموا بتسقيمه بحسب العلم والاحاطة واذا
ذكرنا في باب من الابواب حديثين فاكثر وحكمنا بصحة أحدهما أو ضعفه
فليس سكوتنا عن الباقي حكما بانه على خلاف ذلك بل انما ننبه على ما أمكن

ونذكر من ذلك ما تيسر وذلك بحسب النشاط والتفرغ للنظر * وليس كتابنا هذا في الحقيقة كتاب سمر وانما هو كتاب علم ونظر * ومن الله سبحانه وتعالى نستمد الاعانة واياه نسأل الهداية وهو حسبنا ونعم الوكيل

* (الباب الاول جامع في النساء وما يتقى من فتنتهن وما زينه الله سبحانه في قلوب الرجال منهن وحكمة الله سبحانه في ان خلقهن والرجال من نفس واحدة ليسكن بعضهم الى بعض وكراهة الخلوة مع غير ذوات المحارم وما يؤمر الرجل ان يفعله اذا رأى امرأة فاعجبته) *

(قال) الله سبحانه وتعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فجعل الله سبحانه وتعالى النساء في هذه الآية رأس الشهوات بتقديمه اياهن على ما ذكر منها وذلك لتقدمهن في قلوب الرجال على جميعها (وكانت) عائشة رضي الله عنها تقول من شقوتنا ان الله سبحانه قدمنا حيث ذكر الشهوات ثم تلاوا هذه الآية وقال سبحانه ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فجعل سبحانه وتعالى خلق بعضهم من بعض علة لسكون بعضهم الى بعض كما قال تعالى في آية أخرى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها اذ الانسان لجنسه أميل وعليه أقبل (جاء) في الحديث ان الله سبحانه لما خلق آدم واسكنه جنته بقي في الجنة مستوحشا ليس له من يسكن اليه فالقى الله سبحانه عليه السنة ثم أخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر وهو القصير فخلق منها حواء فاستيقظ فاذا هي عند رأسه فسألها من أنت فقالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وكان من هبوطهما الى الارض وانتشار الذرية منهما ما كان (وروى) عبد الرحمن بن ميسرة ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يتزوج المرأة لا يعرفها ولا تعرفه ثم لا يكون الا ليلة حتى لا يكون شئ أحب اليه منها واليها منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك ألفة الله وتلا قوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة (وقال) طاوس في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال اذا نظر الى النساء لم يتمالك (قال) قتادة في قوله سبحانه وتعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال هو

الصبر عن النساء * وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى تعوذه اللهم انى أعوذ بك من فتنة النساء وعذاب القبر * عبد الرحيم بن زيد العمى باسناده عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا النساء لعبد الله حقا عبد الرحيم راويه منكر الحديث (البخارى) عن اسامة ابن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء (مسلم) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الله واتقوا النساء فان أول فتنة فى بنى اسرائيل كانت فى النساء (البزار) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صباح الا وملكان ينادیان سبحان الملك القدوس وملكان ينادیان اللهم أعط منفقا خلفا وممسكا تلفا وملكان موكلان بالصور حتى يؤمران فينفخان وملكان ينادیان يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر أقصر وملكان ينادیان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال وقال عليه الصلاة والسلام فى بعض خطبه النساء حبائل الشيطان والشباب شعبة من الجنون (وقال) سعيد بن المسيب مايئس الشيطان من ولى قط الا أتاه من قبل النساء وكان سعيد قد بلغ بضعا وثمانين سنة وكان يقول ما أمسيت أخاف على نفسى الا النساء (أبو عثمان النهدى) قال مر أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى خلافته بطريق من طرق المدينة فسمع جارية تهتف بحمد ابن القاسم بن جعفر بن على بن أبى طالب فى شعر غنت به فسألها أحرة هى أم مملوكة فقالت مملوكة فاشتراها وبعث بها اليه وقال له هؤلاء فتن الرجال كم مات بهن من كريم وعطب بهن من سليم (قال) يونس بن عبيد صحبت الحسن البصرى ثلاثين سنة ما سمعته قط خاض فى شئ مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا انما كان أكثر ذكره الموت حتى أتته امرأة يوما فاهيلك من امرأة شابا وجمالا وشهما ولجاجا يدفع بعضها بعضا فجلست بين يديه وقالت ياشيخ أيحل للرجل أن يتزوج على امرأته وهى شابة جميلة ولود قال نعم أحل الله له أربعا قال فكشفت عن وجهها لم ير مثله حسنا وقالت أو على مثلى قال نعم قالت سبحان الله العظيم بعيشك يا أبا سعيد لا تفت الرجال بهذا ثم قامت منصرفة وأتبعها الحسن بصره ثم قال ماضر امرأ كانت هذه عنده ما فاته من دنياه (وأنشد) أبو الفرج فى كتاب النساء للاسود الحافى وقد عتبته امرأة على هوى له

قوله سمع جارية تهتف بحمد ابن القاسم بن جعفر بن على الخ هذا الرواية لعلم ما فيها

وينشد ان الملام يغرى الملوما ❊ ليس جرمى كما زعمت عظيما
انا لكن عاشق فلم آت الا ❊ ما أتته الرجال قبلى قديما
انما يكثر التعجب ممن ❊ كان من فتنة النساء سليما

(الجوزى) فى كتاب الاذكياء قال مر شاعر بنسوة فاعجبه حسنهن فانشد يقول

ان النساء شياطين خلقن لنا ❊ نعوذ بالله من شر الشياطين

الا فجانبن واحدة منهن

ان النساء رياحين خلقن لكم ❊ وكلكم يشتهى شم الرياحين

(وقيل) قولوا ان النساء رياحين حكى صاحب كتاب واجب الآداب قال وقع بين يزيد بن معاوية يوما فى عبد الله بن الزبير وأقبل يصفه بالبخل وزوجته بنت الزبير أخت عبد الله جالسة فاطرقت ولم تتكلم بكلمة فقال لها يا بنت الزبير ألا تتكلمين أرضا بما قلته أم تنزها عن جوابى فقالت لا هذا ولا ذاك لكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال انما نحن رياحين للشم والضم فالنا للدخول بينكم فاعجبه قولها فقام وقبل بين عينيها ❊ والاصل قول على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لولده لا تقالن المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فانها ريحانة وليست بقهرمانة (يزيد بن حبيب) عن عائشة رضى الله عنها قالت لهن حسان مالم يراود قال الراوى تريد مالم يتعرض له النساء ❊ قال أبو المختار رأيت امرأة من قومى بمكة فجلست أحدثها وعبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما يصلى فلما سمعنى أقول لها يا فلانة استوحش لفراقك القلب وجاورنى من يروى فلانت كما قال الاول

أيبعد من أهوى ويشمت بعدنا النوى ❊ بمن لا يبالى ان يفارقه أهلى

فقال ابن عباس وقال ما هذه المرأة منك قلت من العشيرة وبنات العم فقال لا تعودن لها فى فتنة ان النساء حبائل الشيطان فاياك ان تخلو بامرأة الا ان تكون محرما (البخارى) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذى محرم وفى حديث آخر لا يخلون رجل بامرأة فانى ثالثهما لا بامرأة كان الشيطان ثالثهما (وعن) ابن عباس أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والدخول على النساء قال رجل من الانصار يا رسول الله أفرأيت الحمو قال الحمو الموت قال المروزى فى غريبه أراد ان خلوة الحمو معها أشد من خلوة الاجنبى من البعداء قال ثعلب سألت ابن الاعرابى عن قوله الحمو الموت فقال انما تقولها العرب مثلا كما يقولون الاسد الموت وكما يقولون السلطان

نار والمعنى احذروهما كما تحذرون الموت والنار (مسلم) عن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فأتى امرأته زينب فقضى حاجته منها
ثم خرج الى أصحابه فقال ان المرأة تقبل وتدبر في صورة شيطان فاذا أبصر أحدكم
امرأة فليأت أهله فان ذلك يرد ما في نفسه (وعنه) قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد الى امرأته
فليواقعها فان ذلك يرد ما في نفسه قال عياض في الاكمال قوله ان المرأة تقبل
وتدبر في صورة شيطان اشارة الى أنها تدعو الى الهوى والفتنة بجمالها وما جعل
الله في طباع الرجل من الميل اليها كما يدعو الشيطان بوسوسته واغوائه لما ذكر
وقوله فاذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله تنبيه لدواء الداء المحرك للشهوة
باطفائه بالمواقعة وتسكين النفس بارافة ما تحرك من الماء قال ولا تظن
بمواقعة النبي صلى الله عليه وسلم لزينب حين رأى المرأة انه وقع في نفسه
منها بل هو صلى الله عليه وسلم منزه عن الميل ولكنه صلى الله عليه وسلم فعل
ذلك لنقتدي به أمته في الفعل ويمتثلوا أمره بالقول قال وقد يكون صلى الله
عليه وسلم عند رؤية شخص ظاهر الحسن تذكر به من عنده فذهب فقضى
حاجته منها وبالله سبحانه أستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل

* (الباب الثاني في العفاف والتصون وثواب من منع النفس هواها وقهرها عن شهواتها المحرمة ومناها) *

(قال) الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أ
عف فمات فهو شهيد ذكره أبو الفرج في كتاب النساء وفي رواية من أ
فكتم وعف فمات يروى هذا الحديث سويد بن سعيد عن يحيى القطان
مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
ابن سعيد قد تكلم فيه على ان مسلما رحمه الله خرج له في صحيحه وع
على مسلم أيضا (مالك) عن حبيب بن عبد الرحمن الانصاري عن
ابن عاصم عن أبي سعيد أو عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم شابا نشأ في عبا
وجل ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال اني أخاف الله
روى هذا الحديث عن مالك رضي الله عنه على الشك في أبي سعيد أو

والحد

والحديث محفوظ لابي هريرة وكذا رواه غير مالك رضى الله عنه عقبة بن عامر
الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليست له
صبوة (اى كفر) قال كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب
قال وكان رسول أفضل الجهاد جهاد الهوى وفي غير هذا الحديث أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك
قالت عائشة فقلت يا رسول الله انك تكثر ان تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى
قال وما يؤمني يا عائشة قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن فاذا
أراد ان يقلب قلب عبده قلبه وقلب السبابة والوسطى (وجاء) في أثر اعص
الهوى والنساء واصنع ماشئت (على بن أبي طالب رضى الله عنه) قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر النظر الى النساء فقال النظرة
الاولى للرجل نظرة الفجأة والثانية عليك لا لك والنظر الى المرأة سهم من
سهام ابليس فمن تركه خوف الله تعالى آتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال
لا عش رسول الله عز وجل وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن قال نهيت
امرأة ان تنظر الى غير زوجها (قال) أبو الفرج في كتاب النساء سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه وجماعة من الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم عما هو خير النساء فلم يدروا ما يقولون فانصرف علي رضى الله تعالى
عنه الى فاطمة فذكر لها ذلك فقالت ان خير النساء اللائي لا يرين الرجال
ولا يراهن فاخبر علي رضى الله عنه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما علم عن غير لك فقال بل أخبرتني به فاطمة فأعجب ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال انما فاطمة بضعة مني (سعد مولى طلحة) قال لقد سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لو لم أسمعه منه الا مرة أو مرتين حتى عد
سبع مرات ما حدثت به ولكني سمعته أكثر من ذلك قال كان ذو الكفل من بني
اسرائيل لا يتورع عن ذنب يأتيه فأتته امرأة فأعطاها دنانير على أن يطأها فلما
قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت فرائصها فقال لها ما شأنك أأكرهتك
لا والله ما أكرهتك على هذا عمل لم أعمله قط قال فما حملك عليه قالت الحاجة قال فتركك
وهذه الدنانير لك ثم قال والله لا يعصي الله ذو الكفل أبدا فمات من
ليلته مكتوبا على بابه قد غفر الله لذي الكفل (البخاري) عن نافع عن ابن
عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ثلاثة نفر
ممن كان قبلكم ممن أدركهم المطر فأووا الى غار في جبل فانحطت عليهم صخرة من الجبل

وأطبقت عليهم الغار فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها صالحة فادعوه بها فقال أحدهم اللهم انه كانت لي ابنة عم فأحببتها كما يحب الرجال النساء فطلبت اليها نفسها فأبت أو آتيتها بمائة دينار فتعبت حتى جمعتها فأتيتها بها فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفضض الخاتم الا بحقه فقمت عنها فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج لنا فرجة قال ففرج الله من الصخرة فرجة وقال الآخر مثل ذلك في اعمال عملها خالصة لله تعالى ففرج الله عنهم بقية وفي بعض روايات البخاري فطلبت اليها نفسها فامتنعت حتى ألمت بها السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت يا عبد الله لا يحل لك ان تفتح الخاتم الا بحقه فتركت الوقوع عليها وانصرفت عنها وهي أحب الناس الي وتركت لها ما كنت أعطيتها

(فضيل بن رزين) قال دخل رجل غيضة له فقال لو خلوت هنا بغلام أحد فسمع صوتا ملأ الغيضة ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقال نابغة بني شيبان أنشده أبو علي في الامالي

ان من يركب الفواحش سرا ✽ حين يخلو بسره غير خالي
كيف يخلو وعنده كاتباه ✽ شاهداه وربه ذو الجلال

(وقال آخر)

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ✽ خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ✽ ولا ان ما تخفيه عنه يغيب

(قال) رجل خرجت في ليلة مظلمة فاذا أنا بجارية كأنها علم فقلت فقالت أما لك يا هذا زاجر من عقل اذا لم يكن لك ناه من دين قلت يا هذه لا يرانا الا الكواكب فقالت يا جاهل وأين مكوكبها ثم ذهبت

أبو الفرج في الاغاني كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني معاوية ينزل مكة وكان من عباد أهلها فسمي القس لعبادته فوزنا سلامة المغنية المعروفة بسلامة القس وانما سميت به لانه من مريد ما تغني فوقف يسمع غناءها فرآه مولاها فدعاه الى أن يدخل اليها فأبى فقال له اني أقعدك في مكان تسمع منها ولا تراها ولا تراك قال أفعل فأدخله داره وأجلسه حيث يسمع غناءها ثم أمرها فخرجت اليه علقت بقلبه فهام بها واشتهر وشاع خبره قال وجعل يتردد الى منزل

مدة طويلة ثم ان مولاها خرج يوما لبعض شأنه وخلفه مقيما عندها فقالت له والله انى لأحبك فقال لها وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك فوالله ان المكان لخال قال يمنعنى قول الله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاكره ان تتحول مودتى لك عداوة يوم القيامة ثم نهض فخرج وهو يبكى فما عاد لها (صاعد فى الغصوص) قال خلا اعرابى بامرأة فهم منها بريبة فساعدته فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة أدركته عصمة الله تعالى فتنحى عنها ثم قال ان امرأ باع جنة عرضها السموات والارض بمقدار ما بين رجليك لمغبون الحظ وفى رواية أخرى لقليل البصر بالمساحة (وقيل) لبعض الاعراب وقد طال سجنه لجارية ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يراكما الا الله تعالى قال أخاف الله لا أجعل أهون الناظرين ولكن أصنع معها ما أصنع بحضرة أهلها حديث طويل ولحظ كليل وترك ما يكره الرب وينقطع به الحب (قال) سعيد ابن عقبة قلت لاعرابى من بنى عذرة ممن أنت يا اعرابى فقال من قوم اذا عشقوا ماتوا قلت فأنت اذا من بنى عذرة قال أجل قلت ولم كان ذلك فيكم قال فى نسائنا صباحة وفى فتياننا عفة (وقال) سفيان بن زياد قلت لرجل من بنى عذرة ورأيت به هوى غالبا ما بال العشق يقتلكم يا بنى عذرة من بين احياء العرب قال فينا جمال وتعفف ونرى محاجر لا ترونها (وأنشد) أبو الفرج فى كتاب النساء لام فروة الغطفانية

وما ماء مزن أى مزن تقوله ❊ تحدر من غر طوال الذوائب
نفى نسم الريح القذى عن متونه ❊ فليس به عيب تراه لشارب
بمنعرج من بطن وادتقابلت ❊ عليه رياح الصيف من كل جانب
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه ❊ تقى الله واستحياء بعض العواقب

وذكر هذه الابيات صاحب الزهر وقال انها العاتكة المرية فى ابن عم لها كانت تهواه (وروى) سفيان الثورى ان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كان كثيرا ما يتمثل بقول الشاعر

تفنى اللذاذة ممن نال شهوته ❊ من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء فى مغبتها ❊ لا خير فى لذة من بعدها النار

(وكان) الرشيد يستحسن قول ابن مطير

وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها ❊ فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها
فلا تقرب الامر الحرام فانه ❊ حلاوته تفنى ويبقى مريرها

(قال اليزيدى) دخلت على الرشيد وفى يده ورقة تارة ينظر فيها وتارة ينظر الى فسألته عنها فقال بيتان وجدتهما فأضفت لهما ثالثا

اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى يفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيه ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبذ الاعرض واجتنب * ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

(وأنشد) صاحب الزهر لابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه

ليس الظريف بكامل فى ظرفه * حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تعفف عن محارم ربه * فهناك يدعى فى الانام ظريفا

(ابن الجوزى) فى كتابه المؤلف فى أخبار عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بسنده عن السائب بن جبير مولى ابن عباس وعن مجالد يدخل حديث بعضهما فى حديث بعض قال خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف بالمدينة ليلة وكان يفعل ذلك كثيرا فسمع امرأة تغنى تقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه * وأرقنى اذ لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله لارب غيره * لزعزع من هذا السرير جوانبه
وبيت الهى غير بدع منعما * مضيم الحشا لا يحتويه مصاحبه
ولكننى أخشى رقيبا وكالا * بانفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت لهما ان على عمر بن الخطاب وحشتى وغيبة زوجى عنى فتأوه عمر ثم توجه الى ابنته حفصة فقالت ما جاء بك يا أمير المؤمنين فى هذه الساعة قال لها أردت أن أسألك كم تستطيع المرأة أن تصبر عن زوجها فقالت ستة أشهر فكتب عمر بها فقال لزوجها عليها واكان بعد ذلك لا يغزى جيشا له اكثر من ستة أشهر (ونحو من هذه الحكاية) الحكاية الاخرى التى يرويها الشعبى قال مر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ليلا فى بعض طرق المدينة فسمع امرأة تقول

دعتنى العين بعد فراق عمرو * الى اللذات تطلع اطلاعا
فقلت أبى فؤادى أن تطاعى * وان طالت اقامته أطاعا
أحاذر أن أطعتك حر نار * ومخزاة تجللنى قناعا

فضرب عليها الباب واستعادها الابيات فأعادتها عليه فقال لها وما يمنعك من مطاوعة عينك قالت الحياء والكرام عرضى فقال عمر من استحى وفى ومن وفى اتقى أين زوجك قالت فى بعث كذا فكتب الى صاحب جيشه فأقفله عليها

(الهيثم)

(الهيثم بن عدى) قال قدمت امرأة مكة وكانت من أجمل النساء فنظر اليها عمر ابن أبي ربيعة فوقعت في قلبه فكلمها فلم تجبه فلما كان في الليلة الثانية تعرض اليها فقالت اليك عني فانك في حرم الله وفي أيام عظيمة الحرمة فألح عليها في الكلام فخافت الشهرة فقالت لاختها في الليلة الثالثة اخرج معي فاني المناسك فتعرض لها عمر فلما رأى أختها معها أعرض عنهما فتمثلت بقول الشاعر

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقي صولة المستأسد الضاري

وسمع أبو جعفر المنصور هذا الخبر فقال وددت لو أنه لم تبق فتاة من قريش الا سمعت هذا الخبر (وذكر) أبو الفرج في الاغاني هذا الخبر على وجه آخر فذكر ان أبا الاسود الدؤلي حج مع امرأته وكانت جميلة فبينما هي تطوف بالبيت عرض لها عمر فلم تكلمه فاخبرت أبا الاسود بذلك فلامه فانكر عمر ثم طافت ثانية فعاد عمر الى معارضتها فاخبرت أبا الاسود فعاتبه فانكر ذلك وكذلك ثالثة ثم خرجت في الليلة الرابعة وخرج معها أبو الاسود مشتملا على سيفه فلما رآها عمر أعرض عنها فتمثل أبو الاسود بالبيت المذكور أولا (حصين بن عبد الرحمن) عن أبي عطية قال أتانا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان حلوا نساءكم الفضة ولا تحلوهن الذهب وعلموهن سورة النور * انما خص عمر رضي الله عنه النساء بتعلم هذه السورة ليبعثهن بذلك على العفة ولزوم الحياء والتخفر وذلك انهن اذا تأملن ما فيها من أحكام الزناة واغلاظ العقوبة لهم وترك الهوادة في أمورهن ارتدعن عن الفواحش واذا تدبرن ما فيها من بيان أمر الحجاب وما أخذ عليهن من غض البصر وحفظ الاطراف وترك التبرج بالزينة لزمن الحياء والتخفر وسيأتي الكلام على هذا الاثر ان شاء الله تعالى

* الباب الثالث في الحض على النكاح والانكار على من * * ترك النساء زهدا وذكر اختلاف الناس * * في وجوب النكاح أو استحبابه *

(قال) الله سبحانه وتعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (قال) سفيان بن عيينة حدثنا ابن عجلان قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لاعجب ممن يدع النكاح بعد سماعه لهذه الآية (أبو بكر بن شبل) في كتاب النساء له من حديث سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن ميسرة عن عبيد بن معمر قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح (أبو داود) عن ابن نجيح ويقال ابن أبي نجيح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان موسرا لان ينكح فلم ينكح فليس منا والحديث مرسل (ومن) مراسيل أبي داود أيضا عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكحوا النساء فانهن يأتينكم بالمال وهو معنى قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (النسائي) عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وفي بعض روايات هذا الحديث فاني مباه بكم * فيه تنبيه على ان فائدة النكاح كثرة النسل وحفظ الوجود اذ لا يمكن بقاء العالم الا بالنكاح والفقهاء يقولون من فوائده الاطلاع على بعض اللذات الاخروية (قال) الغزالي رحمه الله تعالى في الاحياء ولعمري ان ما قالوه لصحيح وان في هذه اللذة التي لا توازيها اللذة لو دامت لتنبيها على اللذات الموعودة في الجنان اذا الترغيب في لذة لا تعرف لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك لم ينفع الترغيب فيه فاحدى فوائد هذه اللذة في الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون ذلك باعثا على عبادة الله عز وجل قال فانظر الى حكمة الله تعالى ثم رحمته كيف جعل تحت شهوة واحدة حياتين حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء بقاء نسله والحياة الباطنة هي الحياة الاخروية فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في الكاملة بلذة الدوام فتحث على العبادة الموصلة اليها انتهى كلام الغزالي رحمه الله تعالى (ويروى) عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه كان يقول اني لا تزوج المرأة ومالي بها حاجة فأطؤها ومالي فيها شهوة فيقيل فيحملك على ذلك يا أمير المؤمنين قال أحب أن يخرج مني من يكاثر به النبي صلى الله عليه وسلم النبيين عليهم الصلاة والسلام يوم القيامة (مسلم) عن علقمة بن قيس قال كنت أمشي مع عبد الله يعني ابن مسعود بمنى فلقيه عثمان فقام معه يحدثه فقال له عثمان يا أبا عبد الرحمن ألا أزوجك جارية شابة لعلها تذكرك بعض ما مضى من زمانك وفي رواية لعلها ترجع اليك ما كنت تعهد فقال عبد الله لئن قلت ذلك لقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء * الباءة تطلق ويراد بها النكاح الذي هو العقد وتطلق ويراد بها الوطء (قال) المازري في المعلم

والمراد بها في الحديث العقد لانه قال ومن لم يستطع فعليه بالصوم ولو كان غير مستطيع للوطء لم يكن به حاجة الى الصوم ولا يبعد عندي أن تكون الباءة في الحديث بمعنى الوطء وتكون الاستطاعة كناية عن وجود الاسباب أي من قدر على أن يتوصل الى الوطء بوجود أسبابه وهي المال مثلا فليتزوج ومن لم يقدر عليه أي تعذرت أسبابه فليصم (وقوله) فعليه بالصوم قال المازري فيه اغراء بالغائب ومن أصول النحاة أن لا يغرى بغائب قال عياض هذا الذي قاله المازري موجود لبعضهم بنصه وفيه غلط من وجهين أحدهما قوله لا يغرى بغائب وهو لفظ جاء على غير تأمل وانما الصواب أن يقول فيه اغراء الغائب ولا يغرى غائب والوجه الثاني عند قوله فعليه من اغراء الغائب قال والصواب انه ليس فيه اغراء غائب جملة وان الكلام كله والخطاب للحاضرين الذين خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم من الشباب فقال من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم قال فالهاء هنا ليست لغائب وانما هي لمن خصه من الحاضرين بعدم الاستطاعة اذ لا يصح خطابه بكاف المخاطبة لانه لم يتعين منهم مع انه حاضر قال وهذا كثير في القرآن والحديث والكلام قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الى قوله فمن عفي له فهذه الهاء لحاضر في الحقيقة وليست لغائب قال ومثل ذلك قولك لرجلين حاضرين من قام منكما الآن فله درهم فهذه الهاء لمن قام منهما وهما حاضران هذا معنى كلام عياض رحمه الله تعالى * فاما الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكر في كلامه فيه بين صحيح * واما الوجه الثاني فهو فيه الى الغلط أقرب من المازري وذلك انه فهم من الحضور المشترط في الاغراء الشهود وعدم الغيبة فاخذ يذكر ما ذكر من الآيات والمثل ولم يعلم ان المراد بالحضور فيه ان يتصل بالعامل ضمير من ضمائر الخطاب وان لا يكون الضمير المتصل به من ضمائر الغيبة وان كان صاحبه حاضرا فان كلام النحوي وصناعته انما هي في الالفاظ وشهود صاحب الضمير حين التكلم أو غيبته لا اعتبار به عند النحوي فتأمل هذا الموضع فانه من اغلاط القاضي رحمه الله تعالى وقد أطال الكلام على هذه اللفظة ومن تأمل كلامه وجد فيه اغلاطا أخر يخرج تتبعها عما نحن بسبيله (وقوله) فانه له وجاء أي يقوم له مقام الوجاء وهو رض الخصيتين يعني في عدم التشوق الى النكاح (البخاري) عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي

صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله
عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم أما أنا فأصلي
الليل أبدا وقال الآخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال الآخر وأنا أعتزل
النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال لهم أنتم
الذين قلتم كذا وكذا أما والله اني لاخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر
وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني (وقال) مسلم في الحديث
وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش (قال) عياض فيحتج
بقوله من رغب عن سنتي فليس مني من يقول بوجوب النكاح قال ولا حجة في
الحديث لانه قال في أوله عن بعضهم أنه قال لا أنام على فراش وعن بعضهم
انه قال لا آكل اللحم ثم قرن صلى الله عليه وسلم ذكر النكاح بالاكل والنوم
وعلى جميعه رد قوله فمن رغب عن سنتي فليس مني لا على النكاح وحده ولا قائل
بوجوب النوم على الفراش ووجوب أكل اللحم انتهى كلام عياض رحمه الله
(وهذه) مسئلة قد وقع الخلاف فيها بين الفقهاء أعني وجوب النكاح
واستحبابه قال المازري في المعلم المشهور من قول فقهاء الامصار ان النكاح
مستحب على الجملة وذهب داود الى وجوبه وسبب الخلاف تعارض الظواهر
فلداود قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء والامر على الوجوب ولفقهاء
الامصار عليه ان الله خير في الآية بين النكاح وملك اليمين والتسري غير
واجب باتفاق فلو كان النكاح واجبا ما صح التخيير بينه وبين ملك اليمين اذ
لا يصح على مذهب أهل الاصول التخيير بين واجب وما ليس بواجب لان ذلك
مؤد الى ابطال حقيقة الواجب وان يكون تاركه غير آثم قال والذي يطلق في
هذا من مذهب مالك ان النكاح مندوب اليه وقد يختلف حكمه بحسب
اختلاف الاحوال فيجب تارة في حق من لا يكف عن الزنا الا به ويكون مندوبا
اليه في حق من يكون مشتهيا له ولا يخشى على نفسه الوقوع في المحرم ولا ينقطع
به عن أفعال الخير ويكون مكروها لمن لا يشتهيه وينقطع به عن العبادات
والقربات قال وقد يختلف فيمن لا يشتهيه ولا ينقطع به عن فعل الخير فيقال
يندب اليه للظواهر الواردة في الشرع بالحض على النكاح ويقال في حقه مباح
قال عياض رحمه الله أما في حق من يرجى منه النسل ولا يخشى العنت على نفسه
وان لم تكن له اليه شهوة فهو في حقه مندوب لقوله صلى الله عليه وسلم اني مكاثر
بكم الامم ولظواهر الحض على النكاح والترغيب فيه وكذلك كل من له رغبة

فى نوع من الاستمتاع بالنساء وان كان ممنوعا من الوطء لكن النكاح يقضى بصره
واما فى حق من لا ينسل ولا أرب له فى النساء جملة ولا مذهب له فى الاستمتاع
بشئ منهن فهذا هو الذى قد يقال فى حقه انه مباح اذا علمت المرأة بحاله وقد يقال
انه مندوب لعموم الاوامر بالتزويج (مكحول) عن عطية بن بشر عن عطاف بن
وداعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا عطاف ألك امرأة قال لا قال
فأنت اذا من اخوان الشيطان ان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان
كنت منا فانكح فان من سنتنا النكاح (مسلم) عن سعد بن أبى وقاص رضى الله
تعالى عنه قال اراد عثمان بن مظعون التبتل فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك ولو أجاز له ذلك لاختصينا * وفى حديث آخر خرجه النسائى عن سعيد
ابن هشام انه دخل على عائشة رضى الله عنها فقال لها انى أريد ان أسألك عن
التبتل فما ترين فيه قالت لا تفعل أما سمعت الله سبحانه وتعالى يقول ولقد
أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فلا تبتل مع هذا * التبتل
الانقطاع عن النساء وترك النكاح ومنه امرأة بتول اذا كانت لا شهوة لها
فى الرجال وأصل التبتل القطع قال بعض العلماء أما التبتل الذى هو ترك
النساء فقد يجوز للانسان اذا علم انه لا صلح له فى دينه * وأما الاختصاء فلا يجوز
لاحد أصلا لما فى ذلك من افساد خاصية الذكورية وتغيير خلق الله تعالى
واذهاب حكمته فى خلق ذلك العضو وتركيب الشهوة فيه لعمارة الارض وذره
النسل (البخارى) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أفضل هذه الامة أكثرها
نساء (قال) عياض رضى الله تعالى عنه فى الشفاء يشير بذلك الى النبى صلى
الله عليه وسلم فان كان ما قاله عياض صحيحا فيريد ابن عباس رضى الله عنهما
كثرة من اجتمع عنده صلى الله عليه وسلم منهن فى وقت واحد فان نساءه صلى
الله عليه وسلم كن تسعا أو كثرة من أبيح له منهن فانه قد كان أبيح له صلى الله
عليه وسلم أن يتزوج من النساء ما شاء لا بد من أحد هذين الاعتبارين ولا بد
على هذا أن يجعل النبى صلى الله عليه وسلم داخلا فى لفظة الامة فتكون الامة
كناية عنه صلى الله عليه وسلم وعن أتباعه وفاء بشرط أفعل فى أن لا يضاف الا
لما هو بعضه وقد استوفينا الكلام فى هذا كله فى كتابنا فى شرح الشفاء (محمد
ابن كثير) قال كان الاوزاعى رحمه الله تعالى يقول ليس حب النساء من حب
الدنيا يريد الاوزاعى والله أعلم ليس من حب الدنيا المذموم والا فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب

وقرة عيني في الصلاة فذكر منها النساء أو يقال ان الشيء قد يكون من الدنيا ويكون حبه من الآخرة لاعانته عليها (ويروى) عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال ليس في النساء شرف ولا في تركهن عبادة ولا زهد (الزبير) بسنده الى سفيان قال كان عند علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أربع زوجات وتسع عشرة وليدة وكان يقول اني لمشتاق الى العرس (مسلم) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ❊ ومن مراسيل عطاء بن رباح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من خير فائدة يفيدها المرء المسلم بعد الاخ الصالح المرأة الصالحة التي اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله ورواه منصور عن مجاهد مرسلا أيضا (قال) عبد الحق في الاحكام لا يصح فيما أعلم قوله بعد الاخ الصالح

❊الباب الرابع في تخير الرجل لنطفه وبيان الخصال التي ❊تتزوج لها المرأة وما ينبغي للرجل أن يقصده ❊من ذلك ومن يجتنب من النساء❊

(قال) الدارقطني من حديث الحرث بن عمران الجعفي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تخيروا لنطفكم فانكحوا الاكفاء وانكحوا اليهم يرويه الحرث عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها والحرث ضعيف قال أبو حاتم وهذا حديث لا أصل له انتهى كلام ابي حاتم وقد رواه عن هشام أيضا أبو أمية الثقفي وعكرمة بن ابراهيم وأيوب بن واقد ومندل ابن علي وكلهم ضعفاء ورواه أبو المقداد عن هشام عن أبيه مرسلا (مسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ❊ يقول النبي صلى الله عليه وسلم ان أغراض الناس تختلف فمنهم من يقصد المال ومنهم من يقصد الجمال ومنهم من يقصد الدين فحض رسول الله صلى الله عليه وسلم على قصد الدين وهو معنى الحديث الآخر الذي يرويه عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تنكحوا المرأة لجمالها فلعل جمالها أن يرديها ولا تنكحوا المرأة لمالها فلعل مالها أن يطغيها وعليكم بذات الدين (قال) الغزالي رحمه الله تعالى في الاحياء وليس أمره صلى الله عليه وسلم بمراعاة الدين نهيا عن

مراعاة الجمال ولا أمرا بالاضراب عنه وانما هو نهى عن مراعاته مجردا عن الدين فان الجمال فى غالب الامر يرغب الجاهل فى النكاح دون الالتفات الى الدين ولا نظر اليه فوقع النهى عن هذا وأمر أن لا يعقل النظر فيه قال وأمر النبى صلى الله عليه وسلم من يريد التزويج بالنظر الى المخطوبة يدل على مراعاة الجمال اذ النظر لا يفيد معرفة الدين وانما يعرف به الجمال أو القبح (قال) عياض رحمه الله تعالى فى الاكمال وفى قوله تنكح المرأة لمالها دليل على ان للرجل الاستمتاع بمال الزوجة والافكانت كالفقيرة ولم يكن لهذا الكلام فائدة قال فان كان استمتاعه عن طيب نفس منها فذلك مالا اشكال فى جوازه وان امتنعت فله بقدر ما بذل من الصداق قال ومن هذا اختلفوا فى اجبارها على التجهيز بصداقها فالزمها مالك ذلك ولم يجز لها منه قضاء دين ولا نفقة فى غير الجهاز الا الشئ اليسير من الكثير وقال غيره لا تجبر على شئ من ذلك وهو مالها تفعل فيه ما شاءت (قال) المازرى وفى ظاهره حجة لقولنا ان المرأة اذا رفع الرجل فى صداقها ليسرها ولانها تحمل الى بيته من الجهاز ما جرت به عادة أمثالها فجاء الامر بخلافه ان للزوج مقالا فى ذلك وانه يحط عنه من الصداق الزيادة التى زادها لاجل الجهاز على الاصح عندنا اذا كان القصد من الجهاز فى حكم التبع لقصد استباحة البضع (وقوله) لحسبها قال الهروى احتاج اهل العلم لمعرفة الحسب لانه مما يعتبر فى مهر مثل المرأة فقال عمر الحسب الفعال الحسان للرجل ولآبائه مأخوذ من الحساب كانهم يحسبون مناقبهم ويعدونها عند المفاخرة فالحسب بالسكون العدد والحسب بالتحريك الشئ المعدود على القياس فى مثل هذا (النسائى) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى النساء خير قال التى تسره اذا نظر وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه فى نفسها ولا فى ماله بما يكره (قال) القضاعى فى الشهاب قال رسول صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن * خضراء الدمن هى المرأة الحسناء التى لا أصل لها تشبيها بما ينبت فى الدمنة وهى السباطة فهو يكون غضا ناضرا ثم لا يثبت ولا ينتفع به واذا أكلته الماشية فى حال خضرته اصابها منه وبيع فى بطونها وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اياكم وخضراء الدمن فانها تلد مثل أصلها وعليكم بذوات الاعراق فانها تلد مثل ابيها وعمها واخيها (قال) الجاحظ فى البيان لما قدم ابن الزبير بفتح افريقية أمره عثمان رضى الله عنه فقام خطيبا فلما فرغ ابن الزبير من كلامه قال عثمان رضى الله عنه أيها الناس انكحوا

النساء على آبائهن واخوتهن فانى لم أر فى ولد أبى بكر الصديق رضى الله عنه اشبه منه بهذا * أم عبد الله بن الزبير هى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه (قال) الاصمعى حدثنى عمرو بن العلاء قال قال رجل انى لأتزوج امرأة حتى انظر ولدى منها قيل له وكيف ذلك قال أنظر الى أبيها واخيها فانها تجىء بأحدهما (قال) قاسم بن ثابت وقال اكثم بن صيفى يا بنى تميم لا يغلبنكم جمال النساء على صراحة الحسب فان المناكح الكريمة مدرجة للشرف (وقال) بكير الاسدى

وأول خبث المرء خبث ترابه * وأول لؤم المرء لؤم المناكح

(أبو على) فى الامالى قال قال مروان بن زنباع العبسى وهو مروان القرظ يا بنى عبس احفظوا عنى ثلاثا انه لم ينقل احد اليكم حديثا الا نقل عنكم مثله واياكم والتزوج فى بيوتات السوء فان له يوما ناجشا واستكثروا من الصديق ما قدرتم واستقلوا من العدو ما استطعتم فان استكثاره ممكن * قال أبو على الناجش الحافر والنجشة ما يخرج من تراب البئر (وقال ابن الدمينة فى معنى ما تقدم)

اذا كنت تبغى ايما بجهالة * من الناس فانظر من أبوها وخالها
فانهما منها كما هى منهما * كقدك نعلا ان أريد مثالها
ولا تطلب البيت الدنى فعاله * ولا يدع ذا عقل لورهاء مالها
فان الذى ترجو من المال عندها * سيأتى عليها شؤمها وخبالها

الايم المرأة ٢ التى لا زوج لها صغيرة كانت ام كبيرة بكرا كانت أو ثيبا (أبو على فى الامالى)

وتعرف فى مجد امرئ مجد خاله * وينذل ان تلقى أخا أمه نذلا

(وأنشد أيضا)

عليك الخال ان الخال يسرى * الى ابن الاخت بالشبه المبين

(ومثلها قول الآخر)

وأدركنه خالاته واختزلنه * الا ان عرق السوء لابد مدرك

(وقال آخر أنشده ابو العباس فى الكامل)

والله ما أشتهى عصام * لاخلق منه ولا قوام
غث وعرق الخال لا ينام

(وفى) حديث طويل ذكره ابو الفرج فى الاغانى ان عروة بن الورد خرج متصعلكا فاندفنا من منازل هذيل ليلا وأوقدنا راثم دفنها على مقدار ثلاثة

٤ قوله الى لا زوج لها الخ قال الباجى فى منتقاه انما الايم لا يستعمل الا فى التى لا زوج لها بعد ان كان لها زوج اه

أذرع وصعد صرحة ووصل الحى بعد وهن قال فوقف رجل منهم على فرس له
على موضع النار وقال اقسم بالله لقد رأيت على البعد نارا او قدت ههنا فنزل
الرجل واحتفر قدر ذراع فلم يجد شيأ فأقبل الحى على الرجل يؤنبونه ويقولون
له كذبتك عينك ثم انصرفوا قال عروة فتبعت الرجل فدخل الى بيت من
بيوت الحى فدخلت وراءه واختبأت فى كسر البيت وخرج الرجل لبعض
ما يريد فخالفه الى امرأته رجل وأنا أنظر فقدمت له لبنا فشرب منه ثم شربت
بعده وانصرف ووصل الرجل فعرضت له بقية اللبن فلما ذهب ليكرع فيه قال
اقسم بالله لقد شممت فى هذا اللبن ريح رجل فقالت وأى رجل يدخل بيتك
وجعلت تؤنبه وتعذله الى ان قر وسكن وأوى الى فراشه قال عروة فقمت الى
فرس له لآخذه فضرب برجله ونفخ فثار الرجل وقال ما كنت لتكذبينى فقالت
فأقبلت عليه امرأته لوما وعذلا فعاد الرجل قال عروة فاغرورزت الفرس
وسرت به ركضا فلحقنى الرجل على فرس له انثى وسمعته يقول فى اثناء ركضه
الحقى فانك من نسله فلما انقطع عن البيوت قلت ايها الرجل انك لو عرفتنى
لم تقدم على انا عروة بن الورد وقد رأيت منك الليلة عجبا فاخبرنى عنه وانا ارد
اليك فرسك قال وماذاك قلت جئت مع قومك حتى ركزت رمحك فى موضع
نار كنت اوقدتها فثنوك عن ذلك فانثنيت ثم شممت رائحة رجل فى اناتك
فصدقت فى ذلك وقد رايت الرجل وبينه وبين زوجتك ما لا تحب فثنتك عن
ذلك فانثنيت ثم خرجت الى فرسك فحركك فقمت ثم ثنتك زوجتك فانثنيت
فرأيتك فى هذه الخصال اكل الناس ولكنك تثنى وترجع قال فضحك وقال
أما ما رايت من صرامتى فمن قبل اعمامى وهم من هذيل وأما ما رأيت من
كعاعتى فمن قبل اخوالى وهم بطن من خزاعة والعرق دساس ولولا ذلك لم يقو
على منا واقى احد من العرب قال عروة فقلت له خذ فرسك راشدا فقال ما كنت
لآخذه منك فان عندى من نسله جماعة خير امنه خذه مباركا لك فيه (وقال)
الشاعر مخاطبا لجميع ما تقدم

لا تشتمن امرأ من ان تكون له * أم من الروم او سوداء عجماء
فانما امهات الناس اوعية * مستودعات وللانجاب آباء
ورب مغربة ليست بنجيبة * ورب ما انجبت للفحل عجماء

(قال الجاحظ فى البيان) قال عثمان بن ابى العاص لبنيه يا بنى ان المناكح مغترس
فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه والعرق السوء فلما ينجب وانى قد انجبتكم

فى امهاتكم قال الراوى فسمع ابن عباس هذا الكلام فأمر بكتبه (قال) الزبير فى الموقفيات بسنده عن قدامة بن ابراهيم الجهمى قال حضرت رجلا من ربيعة الوفاة فقال لابنه يابنى اذا أحزنك امر فاحكك ركبتيك بركبة من هو أسن منك ثم استشره قال فمات ابى فأردت التزوج فجئت شيخا من قومه فجلست فى ناديه فلما قام الناس من عنده قال ألك حاجة يا ابن أخى قلت نعم ياعم انى أريد التزوج قال أطويلة النسب أم قصيرته فوالله ما اخترت ولا أريت فقال انى أعرف فى العين اذا عرفت وأعرف فى العين اذا انكرت واعرف فى العين اذا لم تعرف ولم تنكر فأما اذا عرفت فانها تخاوض للمعرفة وأما اذا نكرت فانها تحفظ للنكرة وأما اذا لم تعرف ولم تنكر فانها تشجو شجوا يا ابن أخى اياك أن تتزوج الى قوم أهل دناءة أصابوا من الدنيا عسرة فتشركهم فى دناءتهم وستأثروا عليك بدنياهم فقمت وقد اكتفيت به (ابن الكردبوس فى تاريخه) قال جمع أبو جعفر المنصور يوما أولاده فذمهم ووبخهم لتمذلهم وانهماكهم فقال له أحدهم لم نفسك ياأمير المؤمنين فى هذا اذلم تختر أمهاتنا كما اتخذ أبو لك سيدة من عقائل العرب فعمدت الى قيان العراق وفواسقه فجعلت أرحامهن أوعية لنطفك قال فاستحسن كلامه وأعجبه كذا ذكر ابن الكردبوس فى هذا الخبر وليست أم المنصور من العرب وانما هى مولدة من مولدات البصرة (ابن سعيد) فى كتابه كنوز المطالب قال كان على بن موسى الرضى اسود اللون فسبق يوما غلمانه الى الحمام واضطجع للراحة فيه فحركه أحد العامة وقال قم أيها العبد وناولنى كذا فقام وناوله ما طلب وعلى أثر ذلك دخل من غلمان على من ارتج الحمام له فدهش الرجل فقال له على لا ذنب لك أيها الرجل الذنب لمن وضعنى فى أمة سوداء (وذكر ابن سعيد) فى موضع آخر من الكتاب المذكور ان عليا قال فى هذه القضية

ليس لى ذنب ولا ذنب لمن ❊ قال لى ياعبد أو ياأسود
انما الذنب لمن ألبسنى ❊ ظلمة وهو سنى لا يحمد

(أبو داود) عن معقل بن يسار قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أصبت امرأة ذات حسب وجمال وانها لا تلد أفأتزوجها قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فنهاه وقال تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة (قال) النسائى فى هذا الحديث ذات حسب ومنصب ❊ وفى حديث ذكره أبو الفرج فى كتاب النساء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء

ولد خير من حسناء عقيم وسيأتي الكلام على هذا الحديث بعد هذا (وكيع) في مصنفه عن معرب بن واصل عن محارب بن دثار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكحوا واياكم والعجز والعقر حديث مرسل ويقال معروف بن واصل (ومن) حديث أبي حنيفة عن حماد بن سليمان عن ابراهيم النخعي عن عبد الله بن بحينة قال جاء زيد بن حارثة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أتزوجت يا زيد قال لا قال تزوج تستعف ولا تتزوج خمسا لا تتزوج شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا قال زيد والله يا رسول الله ما أعرف مما قلت شيأ قال أما الشهبرة فالزرقاء البذية وأما اللهبرة فالطويلة المهزيلة وأما النهبرة فالعجوز المدبرة وأما الهيدرة فالقصيرة القبيحة وأما اللفوت فذات الولد من غيرك وكان أبو حنيفة يضحك اذا حدث بهذا الحديث (وقال) بعض العرب لولده يا بني اياك والرقوب العضوب العطوب فالرقوب التي ترقب موت زوجها الترثه والعضوب العطوب معلوم (وقال) بعض الحكماء لابنه يا بني لا تتزوج انانة ولا حنانة ولا منانة فالانانة التي مات زوجها وتزوجت بعده فهي اذا رأت الثاني انت لفارقة الاول وترحمت عليه والحنانة التي لها ولد من زوج سابق فهي تحن عليه والمنانة التي لها مال واسع فهي تمن به على زوجها (وعلى ذكر الانانة) كانت عند لقيط بن زرارة القدور بنت قيس بن مسعود بن خالد بن ذي الجدين وكان يحبها ويحبه فمات عنها فخلف عليها عمرو بن الجون الكندي وكان يسمعها تكثر ذكر لقيط وتظهر الجزع عليه وتصف محاسنه فقال لها يوما وبلك والله ما كان لقيط الا كبعض عبيدي فصفي لي بعض ما أعجبك من محاسنه فقالت بلى تطيب يوما وقد ظعن الحي في يوم ذي زهر وطل وكنت نائمة فكره ان يوقظني فقعد ينتظر انتباهي ومعه فضلة من شراب فجعل يشرب منها حتى استيقظت فحملني وركب فرسه فعرضت لنا غابة فحمل عليها فصرع منها جراثم رجع الى ومنه ريح المسك وريح الشراب وريح الطل وريح الزهر فتدليت اليه فضمني ضمة وشمني شمة فلبثت مثقة فتطيب عمرو وتناول من الشراب وخرج فتصيد ثم عاد اليها فضمها الى نفسه وقال أين أنا من لقيط فقالت مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصدا فطالقها فرجعت الى قومها وقالت ابنوا على قبة الايمة فوالله لا جمعني الله مع رجل بعد لقيط أبدا (وكانت) عائشة بنت طلحة رضي الله تعالى عنها مغايظة لازواجها وكانت كثيرا ما تصف مصعب بن الزبير لعمرو بن عبيد الله بن معمر وكانت عند مصعب قبله وتذكر

جماله وكرمه وحسن خلقه فكاد يموت غما (قال) المدينى دخل عمرو بن عبيد
الله يوما على عائشة بنت طلحة وقد ناله حر شديد وغبار فقال لها انفضى الغبار
عنى فأخذت منديلا وجعلت تنفض التراب به عنه ثم قالت ما رأيت الغبار
على وجه أحد أحسن منه على وجهه مصعب لعهدى به يوما وقد دخل على
وكان قد فتح فتحا عظيما وهو فى الحديد وكانت بينى وبينه وحشة فرجت فهنأته
والغبار على وجهه فقال انى لاشفق عليك من رائحة الحديد وأقبلت تصفه
وعمرو يتقد غيظا ويكاد يموت غيرة وحيرة * أبو الفرج فى كتاب الاغانى *
قال تزوج الحجاج هند بنت اسماء بن خارجة وكانت قبله عند عبد الله بن زياد
حملها معه الى البصرة وبنى هنالك القصر المنسوب اليه فلما كمل بناؤه قال لها هل
رأيت قط مثله قالت انه لحسن قال لها لتصدقنى قالت أما اذ أبيت فوالله
ما رأيت مثل القصر الاحمر وفيه عبد الله بن زياد والقصر الاحمر هو دار الامارة
بالبصرة وكان عبد الله بن زياد بناه بطين أحمر فغضب الحجاج غضبا شديدا
وطلقها بسبب ذلك ثم بعث الى القصر الاحمر فهدمه وبناه بنيانا آخر ثم هدمه
بعد ذلك وأدخل فى جامع البصرة فهذا ما حضرنا ذكره على ذكر الانانة (صاحب
فى الفصوص) قال بعضهم سألت ناسا من أهل اليمن الى من أنكح فقالوا
لا تنكح الدقة المتوارثة وانكح الى من شئت قلت وما الدقة المتوارثة قالوا
اخلاق سيئة يرثها آخر عن أول (الغزالى) رحمه الله تعالى فى الاحياء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا
(وقال) عمر رضى الله تعالى عنه يا بنى السائب قد أضويتم فانكحوا فى الغرائب
وهم الذين لا قرابة بينك وبينهم وكانت العرب تزعم ان ولد الرجل من قرابته
يجىء ضاويا أى ضعيفا مهزولا وقد أضوى الرجل اذا ولد له ولد كذلك وفى بعض
الآثار اغتربوا ولا تضووا (وقال الشاعر)

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى ولود القرائب

(وقال آخر)

ان بلالا لم تشنه أمه * لم يتناسب خاله وعمه

(وقال الشاعر)

تخيتها النسل وهى غريبة * فجاءت به كالبدر نورا ومعصما
فلو شاتم الفتيان فى الحى ظالما * لما وجدوا غير التكذب مشتما

(وقال آخر)

تخيرتها للنسل وهى غريبة * وقد أنجبت والمنجبات الغرائب

(وقال

وقال الاصمعي في قول كعب بن زهير

حرف أخوها أبوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شملیل

قال هذه ناقة كريمة مداخلة للنسب لشرفها فانكر ذلك أبو المكارم على الاصمعي وقال ألم يعلم قائل هذا أن تداخل النسب ومقاربته مما يضعف الناقة وذكر البكري في اللآلئ عند قول الاعرابي ومقاربتي الا الكريم يعني ان أباه يطلب المناكح الكريمة في أهله فجاء ولده بسبب ذلك ضاويا انتهى كلام البكري قال غيره وسبب هذا ان ابنة العم ونحوها من ذوي القرابة القريبة لا تقع في نفس الزوج موقع الغريبة اما لالفته لها وادوام النظر اليها ان كانت كذلك واما لانه يقع بينه وبينها من الحشمة والخجل ما يكسل به وتضعف شهوته والولد لا يكمل خلقه وتتم قوته الا بكمال الشهوة وفورتها ولهذا قالوا من استحيا من امرأته لم ينجب (أبو الفرج) في الاغاني قال جاء منظور بن زبان الفزاري الى الحسن بن حسن وهو جده أبو أمه فقال له لعلك أحدثت بعدي أهلا فقال نعم تزوجت بنت عمي الحسين فقال له بئس ما صنعت أما علمت ان الارحام اذا التقت أضوت كان ينبغي أن تتزوج في البعداء قال قد نكحت وقد رزقني الله منها ولدا وذكر بقية الحديث (الاعمش) عن ابراهيم قال كان علقمة اذا خطب في نكاح قصر دون أهله قال ابن غير معناه يخطب الى من هو دونه ويمسك عن هو فوقه (قال) بعض الحكماء ينبغي أن يكون الرجل فوق المرأة بثلاث بالسن والمال والحسب والا احتقرته وان تكون المرأة فوقه بثلاث بالصبر والجمال والادب والا احتقرها وبالله سبحانه وتعالى التوفيق

﴿الباب الخامس فيما يباح للرجل من النظر الى المرأة اذا أراد نكاحها﴾

(مسلم) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فاخبره انه تزوج امرأة من الانصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظرت اليها قال لا قال فاذهب فانظر اليها فان في أعين الانصار شيأ قيل كان في أعين كثير من الانصار حول وقيل كان في أعينهم صغر (النسائي) عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال خطبت امرأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم أنظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه أجدر أن يؤدم بينكما يقال أدم الله بينهما بالقصر أدما يفتح الهمزة

(قوله وما قرني الا الكريم) كذا بالاصل ولا يخفى ان المقارنة انما كانت بين أبيه لان المراد بالكريم هنا

وسكون الدال وآدم بالمد أى وفق وأصلح فعل وأفعل بمعنى (أبو داود) عن واقد ابن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل قال جابر فخطبت امرأة من بنى سلمة فكنت أتخبأ لها تحت الكرب حتى رأيت منها بعض ما دعانى الى نكاحها فتزوجتها واقد بن عبد الرحمن راوى هذا الحديث مجهول وليس بواقد بن عمرو فان واقدا هذا ثقة معلوم الحال وقال البزار بعد ذكره لهذا الحديث لا نعلمه يروى عن جابر الا من هذا الوجه ولا أسنده واقد يعنى ابن عبد الرحمن عن جابر الا هذا الحديث والكرب أصول سعف النخل واحدتها كربة بالتحريك وهى التى تشبه الكتف (حجاج بن أرطاة) عن محمد بن سليمان بن أبى خيثمة عن أبيه قال كنت جالسا مع محمد بن سلمة فى داره فرأى امرأة من الأنصار فقال لها بثينة فطار دعاها ببصره فقلت له يرحمك الله أتنظر هذا النظر وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا قذف الله فى قلب رجل خطبة لامرأة فلا بأس أن ينظر اليها حجاج بن أرطاة ضعيف ومحمد بن سليمان لا يعرف حاله والصحيح فى هذا الباب حديث مسلم المبدأ به وحديث النسائى الذى يليه (قال) الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء كان من تقدم من المتورعين لا ينكحون بناتهم الا بعد النظر احترازا من الغرور قال والغرور يقع فى الخلق والخلق جميعا فينبغى ازالة الغرور فى الخلق بالنظر وفى الخلق بالبحث والاستيصاف قال وينبغى أن يكون ذلك مقدما على النكاح ولا يستوصف الا بصيرا حاذقا خبيرا بالظاهر والباطن من أحوالها ذا دين لا يميل اليها فيفرط فى الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة فى مبادى النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد والخداع أغلب فالاحتياط فى ذلك من المهمات قال ابن القطان فى فصل من كتابه المسمى بالنظر فى أحكام النظر نظر الذى يريد أن يتزوج مندوب اليه وقال بعضهم هو مباح وهو مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وكرهه بعضهم (وقال) أبو الوليد بن رشد ان من أهل العلم من لم يجزه وحكى ذلك أبو حامد الاسفرايينى عن بعضهم وذكر احتجاجه بالآية الآمرة بالغض قال ومذهب مالك رضى الله تعالى عنه من هذه الاقوال هو الاباحة اذا كان ذلك باذنها ينظر الى وجهها كما يجوز ذلك فى الشهادات لها وعليها

ومذهب

ومذهب القاضي أبي بكر بن أبي الطيب وأبي حامد الاسفرايني جواز النظر الى وجهها وتكرار ذلك والتأمل الا ان أبا حامد شرط أن تكون قد أجابته الى التزويج واختار ابن القطان الندب وقوفا مع ظاهر الامر بالنظر ووجود الاجماع على ان ذلك ليس على الوجوب قال ولا يحتاج في نظره اليها بعد عزمه على نكاحها وخطبته لها الى استئذانها خلافا لمالك رضي الله تعالى عنه فانه شرط استئذانها وكره أن يستغفلها من كوة ونحوها (قال) ابن القطان ولعل معنا في ذلك سد الذريعة فانه من أصوله كانه خاف أن يتسلق به أهل الفساد الى الاطلاع على مواضع الفتن فاذا عثر على أحدهم قال أنا خاطب والا فالحديث يبيح النظر مطلقا دون تفصيل قال وهذا هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وابن وهب من أصحاب مالك فانهما لا يشترطان اذنها وقيل لاصبغ ان ابن وهب روى عن مالك اجازته يعني النظر اليها بغير اذنها فقال لم يكن ابن وهب يرويه وانما كان يقوله برأيه (قال) ابن القطان وقد ورد في غير هذه المسئلة حديث رواه قيس بن الربيع عن عبد الله بن عيسى عن موسى بن عبد الله عن أبي حميد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حرج على الرجل أن ينظر الى المرأة اذا أراد أن يتزوجها من حيث لا تعلم الا أن قيس ابن الربيع راويه أحد من ساء حفظه بعد ولايته القضاء والاكثرون على تضعيفه قال واقتصر مالك رضي الله تعالى عنه على جواز النظر الى الوجه والكفين خاصة وزاد أبو حنيفة رحمه الله تعالى ظهور القدمين على أصله في انها ليس عليها ستر هما في الصلاة وأباح غيرهما النظر الى جميع بدنها ما عدا السوأتين وهذا الذي يدل عليه اطلاق لفظ الاحاديث ويكون تقييده بالتنزيل على مستقر العادة فيما هو ظاهر منها الا أن يستتر بقصد أمامها ومستورا الا أن يظهر بقصد فلا قال وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خطب الى علي رضي الله تعالى عنه ابنته أم كلثوم فذكر له صغرها فقيل له انه رد ذلك فعاوده فقال له علي رضي الله تعالى عنه أبعثها اليك فان أرضتك فهي امرأتك فأرسل بها اليه فكشف عن ساقيها فقالت له لولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينك وكانت أم كلثوم هذه ولدت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه القصة رواها قاسم بن أصبغ عن الخشني عن ابي عمر عن سفيان كما ذكرنا ورواها عبد الرزاق في كتابه عن سفيان نحوه * ويزيد فيها أهل الاخبار

انه بعثها اليه بثوب وقال لها قولي له هذا هو الذي أخبرك عنه فقال لها عمر رضي الله تعالى عنه قولي له رضينا به فلما أدبرت كشف عن ساقيها فقالت له ما تقدم ولما رجعت الى أبيها قالت بعثتني الى شيخ سوء فعل كذا وكذا فقال هو زوجك يا بنية (قال) ابن القطان فأما السوأتان فلا نظر في انه لا يباح له النظر اليهما الا ما يحكى عن داود من اباحة النظر الى سائر جسد المخطوبة حتى الى الفرج قال وهذه الرواية لم أرها عنه في كتب أصحابه وانما حكاها عنه أبو حامد الاسفرايني والادلة المانعة من النظر الى العورة تمنع من ذلك قال ولا بأس أن يبعث امرأة تنظر له وتؤدي اليه ما رأته فقد روى ابن أبي شيبة عن ثابت عن أنس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ام سليم تنظر الى امرأة فقال شمي عوارضها وانظري الى عرقوبيها وروى وكيع عن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة فبعث عائشة رضي الله عنها تنظر اليها فجاءت فقالت يا رسول الله ما رأيت طائلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بخدها خالا اقشعر له كل شعر قمنك فقالت يا رسول الله ما دونك سر قال ويجوز للمرأة المخطوبة مع ذلك ان تتجمل لمن أراد رؤيتها من الرجال وتشوق بزينتها بل لو قيل انها مندوبة لذلك ما كان بعيدا فان النكاح مأمور به للنساء كما هو للرجال اما وجوبا واما ندبا وما لا يتم الواجب والمندوب الا به فهو واجب أو مندوب * قول ابن القطان هنا ما لا يتم الواجب والمندوب الا به فهو واجب أو مندوب ان عنى به ان تجملها للخطاب شرط في وقوع النكاح لا يمكن ان يوجد الا به فليس كذلك وان عنى به انه سبب من الاسباب التي يوجد النكاح عندها غالبا فالامر كذلك ولا يتم له الاستدلال بهذا القدر قال ويتناقض ان يباح للرجل النظر اليها بقصد واستعمال ثم تكون هي منهية عن البدو له ولو قيل انها يجوز لها التعرض بابداء زينتها لمن لم يخطبها بعد اذا سلمت نيتها في قصد النكاح لم يبعد فان العادة جارية بتخلف النكاح وتعذره وتأخر الخطاب عمن لا يعرف حالها ولقد نهى عمر رضي الله تعالى عنه الولي عن الاخبار بالمنفر فقال مالك والاخبار (ولما) تعلت سبيعة الاسلمية من نفاسها بعد وفاة زوجها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال مالي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما سمعت ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألته عن ذلك فافتاني اني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني

بالترويج ذكره مسلم رحمه الله تعالى وفى رواية تشوفت للازواج فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ما يمنعها وقد انقضى أجلها وفى قوله تشوفت للازواج وعلمه عليه الصلاة والسلام بذلك وتركه اياها لم ينههادليل على جواز ما فعلت وكان الذى فعلت تحليها بالزينة يقال دينار مشوف أى مجلو ولم يرد بقوله تجملت للخطاب الذين خطبوها بعد وانما معناه الذين هم بصدد ان يخطبوها وهذا الذى ذكر ابن القطان هنا انما بناه على انه فهم من قوله تجملت للخطاب انها تزينت لان يراها الخطاب بانفسهم وليس الحديث نصا فى ذلك اذ يحتمل ان تكون تزينت لان يرسل الخطاب اليها من يراها من النساء على ما جرت به العادة فى ذلك وقد روى وكيع عن العلاء بن عبد الكريم عن عمار بن عمران عن امرأة تيم عن عائشة انها شوفت جارية لها وقالت لعلنا نصيد بها بعض شباب قريش الا أنه أثر ضعيف للجهل بمن فوق وكيع فى هذا السند (قال) ابن القطان وأما الرجل ففى جواز ذلك له من التزين والتعرض بالمحاسن التى لا يجوز له ابداؤها لغير المخطوبة من السواك والخضاب وتحسين اللبسة والركانة والمشية نظر قال ابن القطان والظاهر جواز ذلك ان لم يتحقق فى المنع منه اجماع أما اذا لم يكن خطب ولكنه يتعرض بنفسه ذلك التعرض للنساء فلا يجوز ذلك له لانه تعرض للفتن وتعريض لها والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

﴿الباب السادس فى ذكر الصدقات وما ورد فى كثرتها وقلتها وكراهة المغالاة فيها﴾

(قال) الله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا قال بعض العلماء المخاطب بهذه الآية الازواج أى أدوا الصدقات عن طيب نفس منكم كما تطيبون نفسا بسائر المعاوضات وقال بعضهم بل الخطاب بذلك للاولياء دون الازواج وكان الاولياء فى الجاهلية لا يعطون النساء من مهورهن شيأ وكانوا يقولون لمن ولدت له بنت هنيئا لك الناقة بالجيم يعنون انه يأخذ مهرها ابلا فيضيفها الى ابله فتنفحها أى تكثرها وقوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا الى آخر الآية قال ابن العربى فى أحكام القرآن لم تختلف العلماء ان المالكة لامر نفسها اذا وهبت صداقها لزوجها ان ذلك ينفذ عنها ولا رجوع لها فيه الا ما روى عن شريح أنه رأى ان لها الرجوع فى ذلك وزعم انه أخذ ذلك من الآية فانها لو طابت به نفسا لم تطالبه

به قال وهذا ليس كذلك فانها قد كانت طابت به نفسا حين ملكته اياه ورجوعها بعد ذلك فيه لا ينفي طيب نفسها أولا به (وقال تعالى) وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا يريد والله أعلم اذا لم يكن ذلك عن مراداهن واختيارهن وأما اذا طابت به نفسا فيجوز لهم أخذه كما تقدم في الآية السابقة (الزبير) في الموفقيات عن عمر عن عبد الله بن مصعب قال قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما على المنبر ألا لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي الغصة يعني يزيد بن الحصين الحارثي فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال فقامت امرأة من صف النساء طويلة فقالت ليس ذلك لك قال ولم قالت لان الله عز وجل يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر امرأة أصابت ورجل اخطأ (قال) الغزالي رحمه الله تعالى وهذا لم يقله عمر على وجه التحريم ولكن على وجه الندب والتعليم قال وقد تناهى الناس في الصدقات حتى بلغ صداق امرأة ألف ألف وهذا قل ان يوجد من حلال قال وقد سئل عطاء عن رجل غالى في صداق امرأة أيرده السلطان قال لا قال وقد ورد ان عمر تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وامها فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعين ألف درهم قال وتزوج عروة البارقي بنت هانئ بن قبيصة على أربعين ألف درهم (وعن) غيلان بن جرير ان معارفا تزوج امرأة على عشرة آلاف أوقية قال وقال ابراهيم السنة في الصداق الرطل من الورق وكانوا يكرهون ان يكون مهور الحرائر مثل اجور البغايا (قال) عياض رحمه الله تعالى في الاكمال لا خلاف بين العلماء انه لا حد لاكثر الصداق وأما أقله فقال مالك لا يجوز النكاح باقل من ربع دينار التفاتا لقوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين وقوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فدل على ان المراد بالمال من المال وأقله ما استبيح به العضو في السرقة وذلك ربع دينار وهذا مما تفرد به مالك وكافة العلماء من الحجازيين والبصريين والكوفيين والشاميين وغيرهم على جواز عما تراضى عليه الزوجان أو من له العقد مما فيه منفعة كالسوط والنعل ونحوه وان كانت قيمته أقل من درهم وهو قول الشافعي وربيعة وأبي الزناد وابن أبي ذئب ويحيى بن سعيد والليث بن سعد وسفيان الثوري والاوزاعي وابن أبي ليلى وداود وفقهاء الحديث رضي الله تعالى عنهم مع استحباب بعضهم ان

يكون ماله بال وقال أبو حنيفة وأصحابه أقله عشرة دراهم وقال ابن شبرمة أقله خمسة دراهم اعتبارا بما يستباح به البضع فى السرقة على مذهبهما وكره النخعى ان يتزوج باقل من أربعين درهما (قال) ابن العربى فى أحكام القرآن وقد روى ان رجلا تزوج على عهد النبى صلى الله عليه وسلم على نعلين فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم أرضيت بنعالك بفتح اللام بهاذين النعلين فقالت نعم فأجازه النبى صلى الله عليه وسلم قال غيره وزوج سعيد بن المسيب ابنته على أربعة دراهم ويقال على درهمين * قال عياض رحمه الله واستحب مالك رضى الله عنه تقديم ربع دينار فاكثر قبل الابتناء قال ومطالبة النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى أراد أن يتزوج المرأة بان يحضر ولو خاتما من حديد دليل على انه لابد من تقديم ما يصلح ان يكون مهرا اذ لو ساغ الدخول قبل التقديم لسأله هل يرجو ان يكتسب فى المستقبل شيأ ولم يطالبه باحضاره الآن (مجاهد) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة (أبو داود) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله خير النكاح أيسره (النسائى) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة (الخطابى) فى غريب الحديث عن أبى حسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تياسروا فى الصداق فان الرجل ليعطى المرأة حتى يبقى ذلك فى نفسه عليها حسيكة تياسروا اى ارضوا اما تياسروا الحسيكة العداوة * ونحو هذا أيضا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال ألا لا تغالوا بصدق النساء فان الرجل ليغالى بصداق المرأة حتى يكون ذلك لها فى قلبه عداوة (أبو الجعفاء السلمى) قال خطبنا عمر رضى الله عنه فقال ألا لا تغالوا فى مهور النساء فانه لو كان تقوى أو مكرمة فى الدنيا لكان نبيكم صلى الله عليه وسلم أولاكم بها لم يصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتى عشرة أوقية وفى رواية أخرى أكثر من أربعمائة وثمانين درهما ولم يذكر عمر ههنا النش وقد ثبت فى الصحيح عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم كم كان صداق النبى صلى الله عليه وسلم لازواجه قالت كان صداقه صلى الله عليه وسلم لازواجه ثنتى عشرة أوقية ونشا قالت أتدرى ما النش قلت لا قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم فهذا صداق النبى صلى الله عليه وسلم لازواجه خرجه مسلم (قال) الخطابى النش اسم لما

ذكرته عائشة رضى الله عنها غير مشتق من شئ وقال كراع النش نصف الش
* ولا يعترض على هذا الحديث والاثر الذى قبله بالحديث الذى يرويه يونس
عن الزهرى ان النجاشى زوج أم حبيبة بنت أبى سفيان من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأمهرها عنه أربعة آلاف درهم وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقبله فان هذا شئ فعله النجاشى وتطوع به من ماله ولم يبتدئه النبى
صلى الله عليه وسلم ولا أداه من ماله (البخارى) عن أنس ان عبد الرحمن بن عوف
تزوج امرأة على وزن نواة فرأى النبى صلى الله عليه وسلم عليه بشاشة العرس
فسأله فقال تزوجت على وزن نواة وفى رواية على وزن نواة من ذهب (قال)
المبرد فى الكامل أصحاب الحديث يقولون على وزن نواة من ذهب قيمتها خمسة
دراهم وهذا خطأ وغلط وانما النواة اسم لخمسة دراهم كما يقال لعشرين درهما نش
ولاربعين درهما أوقية فانما هذا اسماء لهذه المعانى (قال) الوقشى فى طوره على
الكامل انما روى أصحاب الحديث ما تقدم يعنى ماذكرناه فى حديث البخارى
انه تزوج على وزن نواة من ذهب فكانه قال تزوجت على خمسة دراهم من ذهب
فلم تخرج النواة فى الحديث عن معناها عند العرب وهذا الذى قال الوقشى
يحتاج الى بيان ومعناه ان المجرور الذى هو قوله من ذهب صفة للوزن الذى هو
بمعنى الموزون لا للنواة أى على شئ من ذهب وزنه نواة أى خمسة دراهم (مسلم)
عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يارسول الله انى تزوجت امرأة من الانصار فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم هل نظرت اليها قال قد نظرت قال على كم تزوجتها قال على أربع أواق
فقال النبى صلى الله عليه وسلم على أربع أواق لكأنما تنحتون الفضة من
عرض هذا الجبل ما عندنا ما نعطيك ولكن عسى أن نبعثك فى بعث تصيب
منه قال فبعث بعثا الى بنى عبس بعث ذلك الرجل فيهم (محمد) بن على بن أبى
طالب رضى الله تعالى عنه قال أصدق على فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى
الله عليه وسلم درعا من حديد هذه الدرع هى درعه المعروفة بالحطمية (قال)
ابن العربى فى أحكام القرآن وقد روى شريك عن سعيد بن طريف عن
الاصبغ بن نباتة عن على قال زوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة على
أربعمائة وثمانين درهما قال وهذا ضعيف بل زوجها اياها على درعه الحطمية
والحطمية بفتح الحاء وسكون الطاء المهملتين منسوبة الى حطمة بطن من عبد
قيس مخصوصين بعمل الدروع وقال محمد بن حبيب النسابة حطمة بطن

من محارب وقد يقال فى النسبة اليهم حطمى بضم الحاء وفتح الطاء وهو من شواذ النسب (أبو الفرج) فى كتاب النساء قال قال رجل لحيوة بن شريح انى أريد أن أتزوج فقال كم المهر قال مائة دينار قال لا تفعل تزوج بعشرة دنانير فان وافقتك ربحت تسعين وان لم توافقك تزوجت بعشرة أخرى ولا بد فى عشر ثم من امرأة توافقك (أبو الفرج) فى الاغانى والزبير فى الموفقيات يدخل حديث بعضهما فى بعض قال تزوج مصعب بن الزبير سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة فامهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم قال الزبير فقال فيه عبد الله بن همام

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل * وتبيت حراس الثغور جياعا

(وقال أبو الفرج) ان هذا الشعر لانس بن زنيم الليثى وأظن بن العربى حيث قال وقد تناهى الناس فى الصدقات حتى بلغ صداق المرأة ألف ألف انما أشار الى هذا * قال أبو الفرج فبلغ ذلك أخاه عبد الله فقال ان مصعبا قدم أبره وأخر خيره وكتب اليه يؤنبه على ما فعل ويأمره بالشخوص ويقسم عليه أن لا ينزل بمكة ولا بالمدينة وأن يكون نزوله بالبيداء وقال انى لارجو أن يكون هو الذى يخسف به فى البيداء فصار اليه مصعب يترضاه فقال ويحك يا مصعب أرأيت من صنع ما صنعت أتعمد الى مال الله فتهبه منه عائشة ألف ألف درهم أترك تعرف من بعرفة لان له مصعب وقال قد كان ما كان فتغافل عنه وعاد مصعب الى عمله ودخل بها ولما بلغ عبد الملك بن مروان قوله ان مصعبا قدم ابره وأخر خيره فتعجب منه وقال أرأيتم هذا الليثى كيف عير أخاه بما فعل لكنه والله أخر أبره وأخر خيره فلا منفعة لاحد فيه وكان عبد الله بن الزبير بخيلا ولم يكن فى آل الزبير جواد غير مصعب (أبو داود) عن يحيى بن يعمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا فى روج النساء بأطيب أموالكم مرسل

* (الباب السابع فى الوقت المستحب لعقد النكاح وذكر الوليمة وما ينبغى ان يدعى به للمتناكحين) *

قال حمزة بن حبيب كان اشياخنا يستحبون النكاح يوم الجمعة لما فى ذلك من لفظ الاجتماع وكانوا يختارون آخر النهار دون أوله ذهبوا الى تأويل القرآن واتباع السنة فى الفأل لان الله سبحانه وتعالى سمى الليل سكنا والنهار نشورا وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطيرة أصدقها الفأل فاختار الناس استقبال
الليل بعقد النكاح تيمنا بما فيه من الهدوء والسكون وكرهوا الاجتماع على صدر
النهار لما فيه من التفرق والانتشار وأما كراهة الناس الاجتماع فى شوال فان
أهل الجاهلية كانوا يتطيرون منه ويقولون انه يشول بالمرأة من قولك شالت
نعامتهم وشالت النوق باذنابها فعلقه الجهال منهم وأبطله النبى صلى الله عليه
وسلم بنكاحه عائشة رضى الله عنها فى شوال فكانت عائشة تستحب نكاح
نسائها فى شوال وتقول أى النساء كان أحظى عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم منى وكان قد تزوجنى فى شوال وبنى بى فى شوال خرجه عنها مسلم (أبو
الفرج) فى كتاب النساء قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة فى
شوال وبنى بها فى شوال (وورد أيضا) ترغيب فى شهر صفر روى الزهرى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج ابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها عليا رضى
الله تعالى عنه فى شهر صفر على رأس اثنى عشر شهرا من الهجرة (قال الغزالى)
رحمه الله تعالى فى الاحياء ويستحب أيضا أن يكون العقد فى المسجد وان
يحضر لذلك جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركن للصحة
وذكر حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اعلنوا النكاح واجعلوه فى
المساجد (مسلم) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة فقال ما هذا قال يا رسول
الله انى تزوجت امرأة قال بارك الله لك أولم ولو بشاة وعنه قال ما رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم أولم على امرأة ما أولم على زينب فانه ذبح شاة (وفى
رواية) ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة من نسائه ما أولم على
زينب فقال ثابت البنانى بم أولم قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه
(البخارى) عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى
أحدكم الى الوليمة فليأتها وفى بعض روايات مسلم عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا أحدكم اخاه فليجب عرسا كان أو نحوه قال فكان
ابن عمر يأتى الدعوة فى العرس وغير العرس ويأتيها وهو صائم (مسلم) عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم الى طعام فليجب فان شاء
طعم وان شاء ترك وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دعى أحدكم فليجب فان كان صائما فليصل وان كان فاطرا فليطعم
قوله فليصل أى فليدع وليبرك (وعنه) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال شر

الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى اليها من يأباها ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله (قال) صاحب العين الوليمة طعام النكاح وقال الخطابي هي طعام الاملاك ولعل كلا منهما واحد وقال المازري في المعلم الوليمة عندنا مستحبة ليست بواجبة خلافا لداود وأحمد قولي الشافعي في ايجابها أخذا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام أولم وقوله عليه الصلاة والسلام ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله قال وعندنا ان قوله صلى الله عليه وسلم أولم على الندب ولا حجة لهم في قوله ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله لانه رتب العصيان على ترك الاجابة وهي ولو كانت واجبة لا تدل على وجوب الوليمة اذ غير بعيد أن تكون الوليمة غير واجبة والاجابة واجبة كما ان الابتداء بالسلام غير واجب والرد واجب (وقال عياض) استدل بعضهم من ظاهر حديث عبد الرحمن بن عوف على استحباب الوليمة بعد الدخول قال وهو ظاهر قول مالك رضي الله عنه في كتاب محمد وحكى ابن حبيب استحبابها عند الاملاك وعند الدخول ورآها بعض شيوخنا قبل الدخول آكد حتى يكون الدخول بعد الشهرة قال وقوله ولو بشاة دليل على ان التوسعة فيها لاهل الوجد بالذبح وغيره وان الشاة لاهل الجدة والقدرة أقل ما يمكن وليس على طريق التحديد وانه لا يجزئ أقل منها لمن يجد ما يبلغ على طريق الحض والارشاد ولا خلاف انه لا حد لها ولا توقيت قال واختلف السلف في تكرارها أكثر من يومين فمن قائل بإباحة ذلك ومن قائل بكراهيته واستحب أصحابنا لاهل السعة تكرارها أسبوعا قال بعضهم وذلك اذا دعي في كل يوم من لم يدع قبله ولم يكرر عليهم كراهة للباهاة والسمعة قال ولم يختلف العلماء في وجوب الاجابة في وليمة العرس يعني النكاح واختلفوا فيما عداها فمالك وجمهورهم على انها لا تجب وذهب أهل الظاهر الى وجوب الاجابة في كل دعوة بظاهر الحديث المتقدم وقال الشافعي ذلك واجب في الوليمة ولا أرخص في ترك غيرها من الدعوات التي لا يقع عليها اسم الوليمة كالختان والاملاك والنفاس وحادث سرور ولا يتبين لي ان تاركها عاص كتارك الوليمة وقد ذكر مالك لاهل الفضل الاجابة الى الطعام يدعون اليه قال بعضهم يعني في غير الوليمة وقال بعضهم فيما يصنع تفضلا دون موجب من ختان أو نفاس أو ما أشبه ذلك قال واختلف في وجوب الاكل للمفطر فيها فلاهل الظاهر فيها قولان وقال الشافعي ان كان مفطرا أكل وان كان صائما صلى أي دعا على ما جاء في الحديث قال مالك يجيب

وان لم يأكل وخفف أصبغ في الاجابة اذا لم يكن معها الاكل ورأى الاجابة انما
تتعين لاجله واختلفوا أيضا في الحضور اذا كان في الوليمة لعب مباح
أو منكر فالمباح الاكثرون يبيحون الحضور فيه الا الذوي الفضل والهيآت وفي
مذهبنا في ذلك قولان والمنكر الاكثرون يمنعون من الحضور فيه الا أبا حنيفة
رضي الله تعالى عنه وبعضهم فانهم يجيزونه قال وعندنا فيه قول شاذ (أبو ياسر
البغدادي) في رسالته المعروفة برسالة الطبيب * قال ويقال ان وليمتين كانتا
لم يكن في الاسلام مثلهما ولا تقدم لهما نظير قبلهما * فالوليمة الاولى * وليمة الرشيد
عند دخوله بزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور (قال) أحمد بن طاهر
صاحب تاريخ بغداد لما زفها المهدي من ابنه هرون استعد لها ما لم يستعد
لاحد قبلها من الآلات والآنية والفرش والمتاع والثياب والطيب والجوهر
والخدم والوصائف وعمل لها درع در يتجاوز الصفة لم يقف المقومون له على قيمة
ويقال انه الدرع الذي كان لعبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية امرأة هشام
ابن عبد الملك ودخل بها في المحرم سنة خمس وستين ومائة في قصر الخلد وحشر
الناس من الآفاق وفرق في ذلك العرس من الاموال ما لم يتوهم ان بيوت
الاموال تحويه وكانت أواني الذهب تملأ بالدراهم وأواني الفضة تملأ بالدنانير
ويدفع ذلك لوجوه الناس الى ما يتبع ذلك من نوافج المسك وقطع العنبر وتخلع
عليهم الخلع الوشي قال واحضر المهدي نساء بني هاشم جميعا فكان يدفع لكل
واحدة منهن ثوب وشي وخريطة فيها دنانير ودراهم وآنية طيب قال ويقال
ان العود القماري انما سقط وتقدمه العود الهندي في هذه الوليمة لما اقتضاه جميعا
فوجد الهندي أطيبهما وأبقاهما في الثياب قال ونظمت الشعراء في هذه
الوليمة نظما يمدحونه فيها ويهنؤنه وكتب أهل البلاد للمهدي والرشيد يهنؤنهما
بها فيقال انه لم يكن في الاسلام وليمة مثلها (قال) ابو ياسر وبلغت النفقة
في هذه الوليمة من بيت مال الخاصة سوى ما أنفقه الرشيد من ماله خمسين ألف
ألف دينار * واما الوليمة الثانية * فهي وليمة المأمون على بوران بنت الحسن
ابن سهل (قال أبو الفرج) لما خطبها المأمون استعد لها استعدادا يجل عن
الوصف وخرج المأمون الى فم الصلح في شعبان سنة عشر ومائتين فاملك
بها وفعل الحسن في تلك الوليمة ما لم يفعله ملك في جاهلية ولا اسلام فنثر على
الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع وأسماء
جوار وتعيين صلات وغير ذلك من كل شئ نفيس فكان اذا وقع شئ من ذلك

فى يد من نثر عليه شيئ منها فقصه وتوجه فاستولى على قبض ما فيه ثم نثرت بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وقطع العنبر وأقام الوظائف والنفقات لجميع ما اشتمل عليه عسكر المأمون لكل رجل على قدره فيقال ان العسكر اشتمل على ستة وثلاثين ألف ملاح سوى أهل العسكر من سائر الناس وقال أبو ياسر البغدادى حاكيا عن الحسن بن رجاء على نيف وسبعين ألف ملاح (قال) أبو الفرج ولما جليت بوران القرشية فرش لها حصير من ذهب وجيء بإناء عظيم من ذهب مملوء درا فنثر على الحصير وكان فيمن حضر من النساء زبيدة وحمدونة بنت الرشيد وغيرهما من بنات الخلفاء فلم تلتقط واحدة منهن شيأ من الدر فقال لهن المأمون أكرمنها بالتقاطكن فدت كل واحدة منهن يدها وأخذت واحدة وبقى الدر ظاهرا على حصير الذهب فقال المأمون قاتل الله الحسن بن هانئ كأنه كان حاضرا مجلسنا حيث قال

كأن كبرى وصغرى من فواقعها ❊ حصباء در على أرض من الذهب

(قال أبو ياسر) وأوقد فى تلك الليلة شمعة عنبر وزنها ثمانون رطلا فأنكر المأمون ذلك وقال هذا سرف فأمرت زبيدة برفعها وقالت هاتوا الشمع المستعمل قال وسأل المأمون زبيدة عن مقدار النفقة فى هذه الوليمة فقالت ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف الى سبعة وثلاثين ألف ألف فبلغ ذلك الحسن بن سهل فقال كأن النفقة كانت على يديها والله لقد حصرتها فكانت ثمانية وثلاثين ألف ألف قال وأقامت البغال وعدتها أربعة آلاف بغل تنقل الحطب قبل الوليمة أربعة أشهر وفى أثناء الوليمة أعوزهم الحطب فكانوا يقدون الكتان عوضا عن الحطب (الهيثم بن عدى) قال لما زوج الحجاج ابنه محمدا قال لا طعمن فى عرسه طعاما لم يعمل أحد قبله ولا أحد بعده مثله فقيل له أصلح الله الامير لو بعثت الى من أدرك كسرى أبرويز فوصف لك شيأ مما عمله فى بعض أيامه لتعمل على رسمه فان معهم المعرفة والسياسة فأرسل الى شيخ ممن أدرك كسرى فقال له صف لى أطيب طعام عمله كسرى وأكثره وأشهره قال نعم أصف لك ما علم لما أراد كسرى أن يبتنى بابنة فلان بعث الى عماله فى مملكته كلها فأشخص من كل بلد عامله وكاتبه ورجلين من وجوه أهل البلد فاجتمع عنده منهم أربعة آلاف رجل فبسط لهم بساط الديباج المنسوجة بالذهب عليها وسائد منها ثم أتوا بأخوين الفضة عليها صحاف الذهب فيها من كل غريب الطعام فاذا فرغ كل رجل من طعامه أعطى مثقال مسك لغسل يده يصنع به ما شاء فصنع بهم

ذلك ثلاثة أيام ثم قسمت بينهم الفرش والآنية وأعظمت لهم الجوائز وردهم
الى بلدانهم فقال الحجاج أفسد علينا هذا العلج ما أردناه انظروا جزائر فانحروا في
كل مربعة من مربعات واسط جزورا يقسمها أهلها (مسلم) عن عائشة رضي الله
تعالى عنها قالت لما بنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بيدي أم رومان
فأدخلتني بيتا فاذا نسوة من الانصار فقلن على الخير والبركة وأيمن طائر وقال
البخاري على اليمن والبركة وعلى خير طائر (وقال) عياض في الاكمال فيه حجة
لما يقال للمتزوج قال وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من
رواية معاذ نحوه وانه دعا لرجل من الانصار شهد املاكه فقال على الالفة والخير
والطير الميمون والسعة في الرزق بارك الله لكم قال وروى عنه كراهة قول
العرب في ذلك بالرفاء والبنين (وقال) عليه الصلاة والسلام لبعضهم بارك
الله لكم وعليكم قال ومعنى الطائر هنا الحظ أي على أيمن حظ وأفضله ويقال
للحظ من الخير والشر طائر وقيل ذلك في قوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره
في عنقه انتهى كلام عياض رحمه الله تعالى * قوله فيه وروى عنه كراهة قول
العرب في ذلك بالرفاء والبنين وجاء ذلك في حديث يرويه الحسن بن دينار عن
الحسن البصري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يقال بالرفاء والبنين
الحديث مرسل والحسن بن دينار متروك * وتزوج عقيل بن أبي طالب فقيل
له بالرفاء والبنين فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفى أحدكم فليقل
على الخير والبركة بارك الله لك وبارك عليك (قال) اسحق بن يحيى رأيت عقيل
ابن علفة يقول لرجل من الانصار بالرفاء والبنين واليمن والطائر المحمود قال
فقلت له يا أبا علفة انه يكره أن يقال هذا فقال يا ابن أخي ان هذا قول اخواننا
في الجاهلية والى اليوم لا يعرفون غيره قال اسحق فحدثت الزهري بذلك
فقال ان عقيل بن علفة كان جاهلا جافيا (أبو داود) عن أبي هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رفى المتزوج يقول له بارك الله لك
وبارك عليك وجمع بينكما في خير (سعيد بن المسيب) عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال لما بنى علي رضي الله عنه بفاطمة عليها السلام دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهما فقال قوما الى بيتكما جمع الله بينكما وبارك
فيكما وأصلح بالكما ثم قام فاغلق عليهما الباب بيده (وفي رواية) عن أنس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي حين أراد تزويجه ان الله أمرني أن
أزوجك فاطمة بنت خديجة ان رضيت قال قد رضيت يا رسول الله * قال أنس

فقال النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما وأقر أعينكما وأسعد جدكما وأخرج منكما خيرا كثيرا طيبا قال انس فوالله لقد خرج منهما خير كثير طيب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

* (الباب الثامن في جلاء العروس عند ابتناء زوجها بها ودخولها على الرجل ليلا أو نهارا واستحباب اللهو في ذلك وما ينبغي للرجل والمرأة ان يفعلاه عند الاجتماع وقبل الوقاع وذكر جمل من آداب الجماع) *

لم تزل العادة القديمة والى الآن جارية بجلاء العروس بين أهلها قبل أن تصل الى زوجها ثم عند زوجها بعد وصولها اليه وقد ورد في ذلك حديث يرويه القاسم بن عبيد الله العمري عن ابن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتلى عائشة رضي الله عنها عند أبويها قبل أن يبتنى بها (قال) ابن القطان في كتاب النظر وكناية عما جرت به عادة النساء من جلاء العروس بينهن قبل دخولها على زوجها قال والقاسم بن عبد الله ضعيف عند المحدثين وقد رويت هذه اللفظة بالخاء المعجمة (سعيد بن المسيب) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة ابنته عليه السلام عليا رضي الله تعالى عنه قام فدخل على النساء وقال اني زوجت ابن عمي ابنتي فاطمة وقد علمتن منزلتها مني وأنا أدفعها اليه الآن ان شاء الله تعالى فدونكن ابنتكن قال فقمن اليها فعلقنها من طيبهن وكسونها من حليهن ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل فلما رأى النساء وثبن وتخلفت أسماء بنت عميس فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما أنت قالت أنا التي أحرس ابنتك فان الفتاة ليلة يبنى بها زوجها لا بد أن تكون امرأة قريبا منها ان عرضت لها حاجة أو ارادت شيأ أفضت بذلك اليها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حرسك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان وفي الحديث طول قالوا وينبغي للمرأة التي تتولى جلاء العروس أن تعرض على الرجل جميع محاسنها وتظهر له ما تخفي من خضابها أو زينتها فان أغفلت شيأ من ذلك نبهتها العروس له بيد أو برجل أو اشارة (قالت) رعيب المناشطة جلوت ربابنت الحجاب على زوجها قدامة بن وكيع وكانت جارية تملأ المرط تنظر بعيني مها وتلتفت عن جيد غزال فاتقة الحسن باسمة الخلق قالت فاني لارفع يدها الا رى زوجها

حسن خضابها اذا خرجت رجلها من تحت غسالاتها فعلمت ما تريد فجعلت
اريه مرة يدها ومرة رجلها فقالت فقال لي يا رعيب ما رأيت قط خضابا احسن
من هذا الذي أرى في يدي هذه العروس ورجليها ولقد شغلني عما سواه
واني لانظر اليها بكل نظري فمكثا ارتد طرفي الى يديها مال الى رجليها فما
قضيت وطري من حلاوة نظري قالت فكان ذلك يعجبها ويتبين لي منه
السرور في وجهها (قالت) وجلوت أم البنين بنت موسى بن عقال على زوجها
عمرو بن الغميد وكيل المهدي وكانت جارية قد أغناها حسنها عن التحلي
فزادها الحلي حسنا وكل النساء يتعدثن بجمالها وكمالها وشدة حيائها فجعلت
لا أمد يدي الى شيء من محاسنها الا سبقتني اليه فلما دخل عليها فركته لنقصان
شهوته ولم تزل تبدي البغضة له والنفور من مضجعه الى أن أجبر نفسه على
طلاقها (قال الهيثم) بن عدي دخل مصعب بن الزبير على عائشة بنت طلحة
وهي تمتشط فتمثل بقول جميل

ما آنس لا انس منها نظرة سلفت * بالجمر لما جلتها أم منظور

فقيل له ان ام منظور ههنا وكانت عجوزا من عذرة فاستدعي بها فاقبلت فقال يا أم
منظور اخبريني كيف كان جلاؤك لبثينة قالت مشطت رأسها وجعلت فيه
شيأ من خلوق والبستها وشاحا وقلادة من بلج ثم أقبل جميل على راحلته فوقف
ملبا ينظر اليها ثم انصرف قال فقال لها مصعب فاني اقسم عليك الا جلوت
عائشة كما جلوت بثينة ففعلت ووقف مصعب ينظر اليها ملبا ثم انصرف
* ويختار أن يكون دخول المرأة على زوجها ليلا فانه وقت السكون والهدو
وانقطاع التصرف والنهار هو محل التفرق والانتشار وقد سمى الله تعالى
الليل سكنا وجعل النهار نشورا (وورد) شيء من الابتناء نهارا قالت عائشة
رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم لست سنين وبنى بي وأنا
بنت تسع سنين قالت فقدمنا المدينة فوعكت شهرا فوفى شعري جميمة فاتتني
أم رومان وأنا على أرجوحة ومعي صواحبي فصرخت بي وأنا لا أدري ما تريد
فأخذت بيدي وأدخلتني بيتا فاذا نسوة من الانصار فقلن على الخير والبركة
وعلى خير طائر فاسلمتني اليهن فغسلن رأسي وأصلحنني فلم يرعني الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمتني اليه خرجه مسلم (قال) عياض رحمه الله تعالى
في الاكمال في جواز الابتناء بالاهل بالنهار وعليه ترجم البخاري في باب الابتناء
بالاهل نهارا بغير مركب ولا نيران (وقال) بعضهم كلما اشتهر النكاح بمركب

أو نيران كان أولى قال ومعنى النيران كثرة السرج عند الزفاف وذلك انما يكون ليلا قال وقد تكون النيران كناية عن الولائم كما قال بعضهم فى الحديث الآخر ويروى دخان وسيأتى ما قيل فى الوطء ليلا والوطء نهارا فى باب بعد هذا (البخارى) عن عائشة رضى الله عنها ان امرأة زفت الى رجل من الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة أما كان معهم لهو فان الانصار يعجبهم اللهو وذكره البخارى فى باب النسوة يهدين المرأة الى زوجها (النسائى) عن محمد ابن حاطب الجمحى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف فى النكاح ذكره الهدوى وقال فيه حسن وقال غيره صحيح (قال) شريح ومن السنة اذا دخل الرجل على المرأة أن يصلى ركعتين وتصلى خلفه فيسألان الله تعالى خير ليلتهما ويتعوذان بالله من شرها (قال) ابن سيرين تزوجت امرأة من بنى تميم فلما كان ليلة البناء بها دخلت عليها فاذا هى جالسة على باب خدرها فاهويت اليها بيدى فقالت على رسلك فحمدت الله وأثنت عليه ثم قالت ان الله يضع العلم حيث يشاء وانه بلغنى ان الرجل يؤمر اذا دخل على أهله أن يصلى ركعتين وأن تصلى امرأته معه فاذا فرغ قال اللهم بارك لى فى أهلى وبارك لاهلى فى اللهم ارزقنى ألفتهم ومودتهم وارزقهم ألفتى ومودتى وحبب بعضنا الى بعض فقمت ففعلت فلما فرغت أهويت بيدى اليها فقالت على رسلك ان الرجل يؤمر اذا أراد غشيان أهله أن يقول اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فصبا فقلت ذلك فلم أزل أعرف الخير والبركة قولها ان الرجل يؤمر اذا دخل على أهله أن يصلى ركعتين وأن تصلى امرأته معه جاء ذلك فى حديث خرجه البزار عن الحجاج بن فروخ عن ابن جريج عن ابن عطاء عن ابن عباس عن سلمان رضى الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج أحدكم امرأة فكانت ليلة البناء بها فليصل ركعتين وليأمرها فلتصل خلفه فان الله عز وجل جاعل فى البيت خيرا * الحجاج بن فروخ [illegible] * وقولها ان الرجل [illegible] ان أهله أن يقول اللهم جنبنا الشيطان جاء فى ذلك حديث خرجه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لو ان أحدكم يقول حين يأتى أهله بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا (قال) عياض فى الاكمال هو ان لا يضرعه الشيطان وقيل ان لا يطعن فيه عند ولادته كما جاء فى

الحديث قال ولم يحمله أحد على عمومه فى الوسوسة والاغواء وشبهه ذلك
(وروى) الزبير فى الموفقيات عن عمه عن الهيثم بن عدى عن السرى بن
اسمعيل عن الشعبى قال قال لى شريح عليك ياشعبى بنساء بنى تميم قال واخبرنى
انه تزوج امرأة منهم قال فاقمت على أهلها بعد تمام العقد ان لاتبيت
الا عندى فقالوا اللهم غفرا نريد أن نصنعها لك ونهيئها فقلت حسبى ما رأيت
وقد كنت رأيتها قبل نكاحها فهيؤها ثم زفوها الى من ليلتهم فأقبلت الى مع
نساء فلما وقفت بباب الحجرة فاستخفى تلك النساء منها ثم دخلت البيت فقمت
اليها فقلت أيتها المرأة ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم
الزوج فيصلى وتصلى خلفه ويسألان الله تعالى خير ليلتهما ويتعوذان بالله من
شرها ثم تقدمت الى الصلاة فاذا هى خلفى فصليت ثم انقلبت فاذا هى على
فراشها فأخذت بناصيتها فدعوت وبركت ثم مددت يدى فقالت على رسلك ثم
قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وصلى الله على سيدنا محمد
أما بعد فانى امرأة غريبة وأنت رجل لا أعرف أخلاقك فاخبرنى بما تحب
فآتيه وبما تكره فأتجنبه أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم قال فقلت الحمد
لله وصلى الله على سيدنا محمد أما بعد فانك قدمت خير مقدم على أهل دار زوجك
خير رجالهم وأنت ان شاء الله تعالى خير نسائهم أحب كذا واكره كذا قالت
فاخبرنى عن أختانك أتحب أن يزورولك قال فقلت انى رجل قاض فأكره
أن يملونى فبت بخير ليلة وأصبحت فأقمت عندها ثلاثا ثم خرجت الى مجلس
القضاء فلبثت فيه حولا لا أرى فيه يوما الا وهو أحب الى من الذى قبله فلما
كان عند رأس السنة انصرفت من مجلس القضاء الى منزلى فاذا العجوز تأمر
وتنهى فقالت كيف أنت يا أبا أمية فقلت ومن أنت قالت ختنتك فقلت
حياك الله بالسلام انى بخير عافاك الله قالت كيف رأيت صاحبتك قلت بخير
امرأة قالت ان المرأة لا تكون فى حال أسوأ خلقا منها فى حالتين اذا حظيت
عند زوجها واذا ولدت غلاما فان رابك منها شئ فاسبط فان الرجال ما حازت
شيأ الى بيوتها أشر من الورهاء المدلة قلت أشهد أنها ابنتك قد كفتنى الرياضة
وأحسنت السياسة والادب قال فكانت تأتى فى كل سنة توصى بهذه الوصية
ثم تنصرف فذلك حيث أقول

اذا زينب زارها أهلها ✻ حشدت واكرمت زوارها
وان هى زارتهم زرتها ✻ وان لم أكن آتهادارها

قال فأقامت عندى عشرين سنة ماغضبت عليها يوما قط ولا ليلة الا يوما كنت لماظا لما وذلك أنى كنت امام قومى فصليت ركعتى الفجر فأبصرت فى الدار عقربا فأعجلنى المؤذن عن قتلها فكفأت عليها اناء وأمرتها أن لا ترفعه حتى أرجع فجئت فوجدتها قد رفعته فضربتها العقرب فلو رأيتنى ياشعبى وأنا استخرج الدم من اصبعها وأقرأ عليها فاتحة الكتاب والمعوذتين (قال) وكان لى جار من كندة لا يزال يضرب امرأته فذلك حيث أقول

رأيت رجالا يضربون نساءهم ❊ فشلت يمينى حين أضرب زينبا
أأضربها من غير جرم أتت به ❊ الى فاعذرى اذا كنت مذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب ❊ اذا طلعت لم يبد منهن كوكبا

وحانت فوالله لقد بغضت الى الحياة وأفسدت على النساء فوددت أنى تبعتها (ويشبه) هذا الخبر الخبر الذى يروى مالك عن يحيى بن سعيد قال كان لسعيد ابن المسيب جليس يقال له عبد الله بن أبى وداعة فأبطأ عنه أياما فسأل عنه فقيل له ان سعيد بن المسيب سأل عنك فأتاه وسلم عليه ثم جلس فقال له سعيد أين كانت غيبتك يا أبا محمد فقال ان أهلى كانت مريضة فرضتها ثم ماتت فدفنتها فقال ياعبد الله أفلا أعلمتنا بمرضها فنعودها أو بموتها فنشهد جنازتها ثم عزاه عنها ودعا له ولها ثم قال ياعبد الله تزوج ولا تلق الله وأنت عزب فقال يرحمك الله ومن يزوجنى فوالله ما أملك غير أربعة دراهم فقال سبحان الله أوليس فى أربعة دراهم مايستعف به الرجل المسلم ياعبد الله أنا أزوجك ابنتى ان رضيت قال عبد الله فسكت استحياء منه واعظاما لمكانه فقال مالك سكت لعلك سخطت ما عرضنا عليك قال فقلت يرحمك الله وأين المذهب عنك فوالله انى لاعلم انك لو شئت زوجتها بأربعة آلاف وأربعة آلاف قال قم ياعبد الله فادع لى نفرا من الانصار فقمت فدعوت له حلقة من بعض حلق الانصار فأشهدهم على النكاح بأربعة دراهم ثم انقلبنا فلما صلينا العشاء الآخرة وصرت الى منزلى اذا برجل يقرع الباب فقلت من هذا فقال سعيد فوالله خطر ببالى كل سعيد بالمدينة غير سعيد بن المسيب وذلك انه ما رؤى قط خارجا من داره الا الى جنازة أو الى المسجد فقلت من سعيد قال سعيد بن المسيب فارتعدت فرائصى وقلت لعل الشيخ ندم فجاء يستقيلنى فخرجت اليه أجر رجلى وفتحت الباب فاذا أنا بشابة متلففة بساج ودواب عليها متاع وخادم بيضاء فسلم على ثم قال لى ياعبد الله هذه زوجتك فقلت مستحييا منه يرحمك الله كنت أحب

أن يتأخر ذلك أياما فقال لى لم أولست أخبرتنى ان عندك أربعة دراهم قال هو كما ذكرت لك ولكن كنت أحب أن يتأخر ذلك قال انها اذا عليك لغير ميونة وما كان الله ليسألنى عن عزبتك الليلة وعندى لك أهل هذه زوجتك وهذا متاعكم وهذه خادم تخدمكم معها ألف درهم نفقة لكم خذها يا عبد الله بامانة الله فوالله انك لتأخذها مؤامة قوامة عارفة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتق الله فيها ولا يمنعك مكانها منى ان رأيت منها ما تكره أن تحسن أدبها ثم سلمها الى ومضى (قال) فوالله ما رأيت امرأة قط اقرأ لكتاب الله تعالى ولا أعرف بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أخوف لله عز وجل منها لقد كانت المسئلة المعضلة تعيى الفقهاء فأسألها عنها فأجد عندها منها علما (قال) فأقمت عندها ما شاء الله ثم رزقنى الله منها حملا وكان سعيد بن المسيب كثيرا ما يسألنى عنها فيقول ما فعلت تلك الانسانة فأقول بخير فيقول يا عبد الله ان خف عليك أن تزيرناها فافعل فلما حضر ولادها خرجت لانظر فى بعض ما ينظر فيه الرجل لاهله ورجعت الى الدار واذا بها شخص ما رأيته قط فرجعت مولية فنادتنى من ورائى يا عبد الله ادخل فقد أحل الله لك هذه النظرة فقلت ومن أنت يرحمك الله قالت أنا أم الفتاة يا عبد الله كيف رأيت أهلك قلت جزاكم الله من أهل بيت خير القدر بيتم فأحسنتم وأدبتم فأحكمتم فقالت يا عبد الله لا يمنعك مكانها منا أن ترى بعض ما تكره فتحسن أدبها يا عبد الله لا تملكها من أمرها ما جاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تكثر التبسم فى وجهها فتستخف بك يا عبد الله بارك الله لكما فى المولود وجعله مباركا خائفا لله ووقاه فتنة الشيطان وجعله شبيها بجده سعيد فوالله انى لزوجته منذ أربعين سنة ما رأيته عصى الله تعالى معصية قط وهذه نفقة بعث بها اليكم قال فأخذتها منها فاذا هى خمسة دنانير ثم خرجت فلم أرها ولا وجها فمكثت عشرة سنة حتى قضى الله عليها بالموت (قال الغزالى رحمه الله تعالى) استعجال سعيد فى زف المرأة الى زوجها من ليلتها يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة فى التدين الى اطفائها بالنكاح (أبو داود) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل اللهم انى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه (قال) أبو الزناد رحمه الله تعالى كنت رجلا مثناثا فقيل لى استغفر الله قبل الجامعة ففعلت فولد لى بضعة عشر ذكرا ❊ ويستحب للمرأة ليلة بنائها أن

لاتفرط فى التمنع على زوجها فيما يريد منها ولا بأس بالامتناع الخفيف الذى يهيجه ويقوى حرصه فان قوى امتناعها فربما ادى الى انكسار شهوته وعجزه عن الاقتضاض من ليلته تلك فتبيت المرأة معه بليلة حرة * يقال باتت العروس بليلة حرة على الاضافة اذا لم يقدروا على افتضاضها أول ليلة فان افتضها من ليلته قيل باتت بليلة شيباء على الاضافة أيضا قال النابغة

شمس موانسع كل ليلة حرة * يخلفن ظن الفاحش المغيار

(قال) الاصمعى اراد موانع كل ليلة شيباء فوضع حرة موضع شيباء للازدواج والعلم عند الله وربما تمادى انكسار الشهوة أول ليلة الى انكسارها زمنا طويلا فيجب على المرأة ان تحذر كل الحذر من هذا (صاحب نثر الدر وابو الفرج فى الاغانى) قال لما أهديت نائلة بنت الفرافصة الى عثمان رضى الله تعالى عنه وكان انعوها زوجها منه وضع لهما سريره الى جانب سريره فجلست عليه ثم قال لها اما ان تقومى الى واما أن أقوم اليك فقالت والله ما جئتك اليك سامرة كاب وأنا أمتنع عليك فى مجلسك بعرض البساط وقامت وجلست معه فوضع قلنسوته وقال لا يروعك ما ترين من صلعى فان وراء ذلك ما تحبين فقالت انى من نسوة احب أزواجهن البهن الكهول الصلع فقال ألقى رداءك فالقته فقال اطرحى خمارك فطرحته ثم قال انزعى درعك فنزعته ثم قال حلى ازارك قالت ذلك اليك قال صدقت وبنى بها فأعجبته فولدت له ابنته مريم وقتل وهى عنده فخطبها بعده اشراف قريش فلم تتزوج بعده احدا حتى ماتت * الفرافصة هنا مفتوح الفاء الاولى قال ابن الانبارى وكل فرافصة فى العرب فهى مضموم الفاء الاولى الا اباناً ئلة هذا (ابو الفرج) فى كتاب النساء عن ابن الماجشون قال زوج معاوية ابنته هندا من عبد الله بن عامر فسمع معاوية يوما جاريتين له يتحدثان ويذكران انهما لم تمكن زوجها من شئ وذلك بعد دخولها عليه بثلثة فركب معاوية حتى اتى باب عبد الله فدخل معه البيت وارخيت قبتها فتحدث معاوية وعبد الله ساعة ثم ضرب معاوية بجانب القبة بخيزرانة كانت فى يده وقال

من الخفرات البيض اما حرامنا * فصعب واما حلها فذلول

ثم قام وفهمت هند ما اراد ودخل عبد الله عليها بعد ذلك فكتمته من نفسها وسارح حتى قضى حاجته منها (النسائى) عن عبد الله بن سرجس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اتى احدكم اهله فليلاق على عجزه وعجزها شيأ

ولا يتفرد الجرد العبرين يتصل هذا الحديث من جهة صدقة بن عبد الله وليس
بقوى عن زهير بن محمد وهو ضعيف (أبو احمد بن عدى) من حديث عباد
ابن كثير عن محمد بن جابر عن قيس بن طلق عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا جامع احدكم اهله فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها كما يحب
ان تقضى حاجته * عباد بن كثير الواقع فى هذه السند هو شامى وهو ضعيف واما
محمد بن جابر فروى عنه الائمة كشعبة والثورى وايوب وغيرهم (قال) الغزالى
فى الاحياء من آداب النكاح التى حض رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها
اذا قضى الرجل وطره من الانزال ان يعجل المرأة حتى تقضى وطرها فان انزالها
قد يتأخر عنه فالقعود عنه اذ ذاك ايذاء لها قال والاختلاف يوجب التنافر
معها كان الرجل سابقا وان سبقت هى فذلك لا يضر الزوج قال والتوافق
فى وقت الانزال الذ للمرأة ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحى منه
(وذكر) الغزالى ايضا ان من آداب الجماع ان ينصرف عن القبلة فلا يستقبلها
احتراما لها وان يقدم قبل الوقاع الملاعبة والتلطف بالكلام والتقبيل
وذكر فى ذلك حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقعن احدكم على امرأته
كما تقع البهيمة على البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما هو يا رسول الله قال القبلة
والكلام قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز فى الرجل
ان يأتى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه وان يكرمه اخوه فيرد عليه
كرامته وان يقارب المرأة فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها فيقضى
حاجته منها قبل ان تقضى حاجتها منه (قال) ويكره الجماع فى ثلاث ليال من
الشهر الاولى والوسطى والاخرى فانه يقال ان الشيطان يحضر الجماع فى هذه
الليالى (قال) وقد رويت كراهة ذلك عن على ومعاوية وابى هريرة رضى
الله عنهم وذكر ان من العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة تحقيقا لاحد
التأويلين فى قوله صلى الله عليه وسلم من غسل واغتسل (مسلم) عن ابى سعيد
الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس
عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر سرها
وفى رواية ان من اعظم الامانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته
وتفضى اليه ثم ينشر سرها اخرجه مسلم من طريق عمر بن حمزة العمرى وقد
ضعفه ابن معين وقال ابن حنبل احاديثه مناكير (قال) عياض رحمه الله تعالى
فى الاكمال قد جاء فى النهى عن ذلك احاديث كثيرة ووعيد شديد قال وانما

المنهى

المنهي عنه ان يصف مايفعله ويكشف الحال فيه اذهو من كشف العورة بالنظر والوصف واما ذكر مجرد الجماعة والخبر عنه على الجملة فغير منكر اذا كان لفائدة ولمعنى كما قال عليه الصلاة والسلام انى لافعله أنا وهذا وذكره لغير فائدة ليس من مكارم الاخلاق ولا من فعل اهل المروآت (ابوداود) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه صفان من رجال وصف من نساء اوصفان من نساء وصف من رجال فلما قضى صلاته اقبل على الرجال فقال هل منكم الرجل اذا أتى اهله فأغلق عليه بابه وأرخى عليه ستره واستتر بستر الله قالوا نعم قال ثم يجلس بعد ذلك فيقول فعلت كذا وفعلت كذا قال فسكتوا قال فأقبل على النساء وقال هل منكن من تحدث فسكتن فجثت فتاة كعاب على احدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليراها ويسمع كلامها فقالت يارسول الله انهم ليتحدثون وانهن ليتحدثن فقال هل تدرون مامثل ذلك انما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا فى السكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون اليه وذكر بقية الحديث (الخطابى) فى غريب الحديث عن أبى الهيثم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن السباع قال الخطابى السباع المفاخرة بالجماع وافشاء الرجل مايجرى بينه وبين زوجته فيه مأخوذ من قولك سبعت الرجل اذا اغتبته وذكرت فيه مايكرهه لان امر الجماع مما يكره ذكره ويستر عن الناس امره انتهى كلام الخطابى وفى الحديث تأويل آخر نذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى ولا بأس ان يسئل الرجل صبيحة بنائه كيف وجد أهله فقد جرت العادة بذلك وقد سأل مالك بن الحرث بن الاشتر علما رضوان الله عليه عن ذلك فأجابه واخبره بالصفة التى وجدها عليه غير أنه يستحب له ان وجد عيبا من قبيح اوغيره ان يستره ويخبر بأمر عام انه لم يرضها وانها لم توافق اخلاقه وان وجدها لانقا حسنا بارعا اوادبا بالغا فلا يفرط فى وصفه ويبالغ فى ذكره كما يفعله كثير من السخفاء فان ذلك ضعف ودناءة ثم قد ينشأ عن ذلك مفاسد كثيرة * حكى ابو عثمان فى كتاب النقائض قال كانت لعبد السلطى امرأة تسمى حميدة وهى من بنى رزام بن مالك بن حنظلة وكانت فائقة الجمال وكان زوجها عبدا قد اخرجه الحجاج فى بعث خراسان فكان يحدث جلساءه بجمالها ويظهر التشوق اليها حتى هم ان يعصى ويرجع فوقعت محبتها فى قلب سوط بن سنان احد بنى العتيك فقال لعبد انى احب ان ألحق

بالبصرة فقال معبد فانى اكتب معك كتابا الى حميدة فلما قدم عليها اتاها بكتاب زوجها معبد وقال لا ادفعه الا اليها فبرزت له فكلمها واوقع فى قلبها شيأ مما فى قلبه من محبتها ولم يزل يختلف اليها ويخدعها حتى هربت اليه فاختبأت عنده حولا فدل عليها اهلها وقد حملت فأتى بها عبد الرحمن بن عبيد العبسى وكان على شرطة الحجاج فرجمها (وقال الشاعر فى ذلك)

رزاميـة كان السليطى معبد * بها معجبا اذ لا يخاف الدوائرا

والمرأة وان كانت عفيفة ولم تكن ممن يخشى عليها مثل هذا وكان السامع لوصفها كذلك فقد يبقى فى نفسه شئ من امرها يحمله على تربص الدوائر بها وانتظار ما يمكنه التوصل اليها على الوجه المشروع من موت زوجها او تطليقه لها فيثب عليها او يتزوجها بخطبة زوجها فليحذر كل الحذر من هذا والله سبحانه وتعالى الموفق

* (الباب التاسع فى الزينة والتطيب وما يستحب للمرأة من ملازمة ذلك وانه من أعظم الاسباب الموجبة لحظوتها عند زوجها) *

النساء لعب الرجال كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فليزين الرجل لعبته ما استطاع فان ذلك ادعى لشهوته واملأ لعينه وأظهر لمحاسن المرأة وادوم للالفة والمودة (قال) أبو الفرج فى كتاب النساء ما معناه ان المرأة تحظى عند زوجها بعد تمام خلقها وكمال حسنها بان تكون مواظبة على الزينة والنظافة عالمة بما يزيد فى حسنها من أنواع الحلى واختلاف الملابس ووجوه التزين وبما يوافق الرجل ويستحسنه منها فى ذلك كله ولتحذر كل الحذر ان يقع بصر الرجل على شئ يكرهه من وسخ أو رائحة مستكرهة أو تغير مستنكر من شعث أو غيره (وقال) أبو الريحان فى فصل من كتابه المسمى بالجماهر ما معناه أيضا انه يجب على المرأة ان تجمل لبعلها وتزيد فى تحسين نفسها ما أمكن وذلك بتنظيف البشرة وتنقية المنافذ والجرة وتزيين الالوان فى البدن وفيما ما أحاط به (اما) فى البدن فتبييض البشرة بالغمر وتوريدها وخاصة اذا كان فيها صفرة أصلية أو عارضة وبتسويك الاسنان وتحليلها وتنقية العين وتكحيلها وتقليم الاظفار وتسويتها (وأما) فيما احاط بالبدن فالثياب اول ذلك وأولاه لمماستها اياه فواجب ان تنظفها وتصقلها ثلاثا يسرع تعلق الادران بها وليكن ذلك على اللون العام المحمود وهو البياض أو تلونها بحسب الوقت وعادة أهل

الزمان (وقال) التيفاشي في قادمة الجناح اجمع علماء الفرس وحكماء الهند العارفون باحوال النساء على ان اثارة الشهوة واستكمال المتعة لا يكون الا بالموافقة التامة من المرأة وتصنعها لبعلها في وقت نشاطه عما تتم به شهوته وتكمل متعته من التودد والتملق والاقبال عليه والتذلل بين يديه في الهيئات الجميلة والزينة المستظرفة التي تحرك ذوي الانكسار والفتور وتزيد ذوي النشاط نشاطا قال فالمرأة الفطنة الحسنة التبعل تراعي جميع هذه الاحوال وماسواها مما يتم به متعة الزوج وتتفقد من أحوال ظاهرها وباطنها وبشاهدها وغائبها ما تأمن معه ان يسبق الى طرف بعلها او أنفه حالة يذمها منها أو يكرهها من أجلها وترى مع ذلك ان نظرها انما هو لنفسها وان الحظ في تصنعها عائد عليها انما خشية ان يتبين لبعلها التقصير منها فتطمح نفسه الى غيرها ❊ قال واعظم محافظة الفطنة على أحوال خلوتها وأكثر احتفالها واستعدادها للاوقات التي يعتاد فيها قربه منها وهي في غالب الاوقات التي ذكر الله تعالى في كتابه وهي المماليك والولدان عن الدخول عليهم فيها الا بعد الاستئذان قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن انتهى ماذكره التيفاشي (وقد) ذكر الله الزينة في القرآن فقال تعالى ولا يبدين زينتهن الآية ❊ قالت أم شبيب سألت عائشة رضي الله تعالى عنها عن الزينة فقالت هي الكحل والخضاب (وروى) معاوية بن يحيى ان امرأة دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقالت هي فلانة زوجة فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاكره ان تكون المرأة مرهاء ملداء مرهاء ليس في عينها كحل ملداء ليس في اظفارها حناء ❊ وورد الحض على التكحل بالاثمد في غير ما حديث وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خير أكحالكم يجلو البصر وينبت الشعر (وقال) عبد الله بن جعفر رحمه الله تعالى لابنته حين اهدائها الى زوجها عليك بالزينة واعلمي ان أزين الزينة الكحل واطيب الطيب الماء ❊ وقال أيضا أبو الاسود لابنته حين اهداها الى الحجاج مثله وقال مثله اسماء بن خارجة لابنته حين اهداها الى الحجاج فاتفقوا جميعا على توصيتهن بالزينة واكدوا منها في الكحل ❊ وكذلك ايضا حض النساء على الخضاب وكره النبي

صلى الله عليه وسلم ان تكون المرأة يدها كيد الرجل فروى الاوزاعي عن معاوية بن سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة لا تختضب وقد جاوزت السبعين فقال لا تدع احدا كن يدها كانها يد رجل قال فما زالت تختضب وقد جاوزت السبعين حتى ماتت (وخرج) أبو داود عن صفية بنت عصمة عن عائشة رضي تعالى الله عنها قالت ما رأيت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبض صلى الله عليه وسلم يده فقال ما أدري أيد رجل ام يد امرأة فقالت بل امرأة فقال لو كنت امرأة لغيرت أظفارك بالحناء صفية بنت عصمة مجهولة لا تعرف (البزار) عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم تبايعه ولم تكن مختضبة فلم يبايعها حتى اختضبت * ليث بن أبي سليم رواية ضعيف والمرأة هي هند بنت عتبة جاء ذلك مبينا في حديث آخر (عبد الملك بن حبيب) قال كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ينهى عن التظاريف والنقش ويأمر بالخضاب قال عبد الملك وليس العمل على ذلك فقد جاءت الرخصة فيه وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة من الانصار وهي تختضب فقال ما لصنعت يا أم فلان كذا ووصف باصبع يده اليمنى على كفه اليسرى كانه يريد النقش (قال) بعضهم رأيت قينة خضبت يدها بالحمرة ونقشت فيه بالسواد شعرا

ليس حسن الخضاب زين كفي * حسن كفي مزين للخضاب

(النسائي) عن كريمة بنت همام ان امرأة اتت عائشة رضي الله عنها فسألتها عن خضاب الحناء فقالت لا باس به ولكني اكرهه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره ريحه * وليس هذا الحديث بمناقض لما تقدم من الامر بالخضاب فان كراهة النبي صلى الله عليه وسلم لريحه ليس امرا شرعيا وانما هو طبعي والطباع تختلف وانما الناس متعبدون باتباعه صلى الله عليه وسلم في الامور الشرعية (ويلحق) بما ذكرناه من الكحل والخضاب السواك وهو جامع بين النظافة والزينة وقد ورد الحض على ذلك في الاحاديث النبوية وتكلم الاطباء على منافعه فذكروا انه يجلو الاسنان ويقويها اذا كان باعتدال ويشد اللثة ويمنع الحفر ويطيب النكهة ويطلق حبسة اللسان (ويروى) عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت السواك فقالت يجلو البصر ويذهب بالحفر ويرضي الرب وتفرح به الملائكة وتضاعف به الحسنات يعني في الصلاة فقد

جاء فى الحديث صلاة بسواك خير من ألف صلاة بلا سواك (قال) أبو الفرج فى كتاب النساء لم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم أكثر استعمالا للسواك من نسائه صلى الله عليه وسلم * قالوا وفى فم الانسان خصلتان من خصال السنة كلتاهما مصلحة له السواك والمضمضة وليس فى الارض دواء ابلغ فى صحة الاسنان وبقائها من المضمضة فان الماء مصاص وغسال وجلاء وطهور * وجاء فى الحديث استاكوا عرضا تحرزا مما يعرض للثة من التقلع اذا استيك طولا وينبغى ان يستاك بخشب فيه قبض ومرارة وسواك الاراك من احسن ما يستاك به لمن قصد نقاء الاسنان خاصة ومن قصد مع ذلك صبغ اللثة أو الشفة فقشر أصول الجزر (ويتبع) السواك التخلل وهو ايضا ضرورى للاسنان فانه ان لم يخرج ما فى تضاعيفها تغيرت رائحته وحدث فساد فى أصولها فينبغى ان يخرج ذلك من غير الحاج ونهى عن التخلل بالقصب وبالريحان وبالخلفاء فاما الخلفاء والقصب فقيل ان فيهما سمية تضر بالاسنان واما الريحان فلا اعلم علة النهى عنه (ولابى الجوائز الواسطى) فى مسواك قال البازجرى فى رميمة القصر انشدنيه لنفسه وهو من أحسن ما سمعته فى ذلك

عنيا على رغمى لعودا راكة * تسوك به الذلفاء مبسمها العذبا
لئن شعبت منه لقد زارثغرها * اراكا نسيما فانثنى منه لا رطبا

(واهدى) ابو الفتح كشاجم لبعض القيان سواكا وكتب اليها

قد بعثناك كى تجلى به * واضحا كاللؤلؤ الرطب اغر
طاب منه العرف حتى خلته * كان من ريقتك يسقى فى السحر
قسما بالله لو يعلم ما * حفله منك لاثنى وشكر
ليتنى المهدى فيروى عطشى * بردا نيابك فى وقت السحر

(وأما التطيب) فالشرع والطبع متفقان على استحسانه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث فذكر منها النساء والطيب (وفى حديث آخر) اربع من سنن الاسلام الحناء والتعطر والسواك والنكاح (وخرج) ابو داود من حديثه عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب منها وفى بعض الاحاديث خير نسائكم المعطرة المطرة قال الخطابى فى غريب الحديث المعطرة التى تكثر استعمال الطيب والمطرة التى تكثر الاغتسال بالماء (قال) القاضى عياض رحمه الله تعالى فى الاكمال التطيب مندوب اليه فى الشرع لمن قصد به مقاصد الشرع من تعظيم ايام الجمع والاعياد

مثلا وان يدفع عن نفسه ما يكره من الروائح الخبيثة وان يدخل على المؤمنين بشم ذلك راحة وان يستعمل ما يوافق الملائكة فقد ورد انهم يتأذون بالرائحة الكريهة وان يظهر نظافته ومروأته بين اخوانه واهله وان يقوى دماغه وقلبه لتأثير الطيب فى تقوية هذه الاعضاء وان يستعين بذلك على ما يحتاج اليه من أمور النساء فله فى ذلك من التأثير ما لا ينكر (وقال) ابو ياسر البغدادى فى رسالته المعروفة برسالة الطيب وذكر منافع الطيب على اختلاف انواعه فقال وبالجملة فالطيب كله من اعظم لذات البشر واقواها للدواعى الوطء وقضاء الوطر قال وكذلك قال مسيلمة عند اجتماعه بسجاح استكثروا لها من الطيب فان المرأة اذا شمت الطيب ذكرت الباه * وقولهم فى المثل لا عطر بعد عروس يضرب لتأخير الشئ عن وقت الحاجة (قال) بعضهم واصل المثل ان رجلا تزوج امرأة فوجد لها شعثة ثقلة فقال لها أين عطرك فقالت خبأته لوقت غير هذا فقال لا عطر بعد عروس وقيل فى المثل غير هذا (وأما) التحلى بالذهب والفضة وأنواع الجواهر فبعضهم يستحسنه من المرأة وبعضهم يفضل العاطل على المتحلية (قال) ابن الجهم اشتريت جارية فكنت اذا أردت ان أحليها تابى ذلك وتقول انه يغطى المحاسن كما يستر القبائح (وحكى) ابن الجوزى عنه فى الاذكياء انه قال قلت لهذه الجارية كم بيننا وبين الصبح قالت عناق مشتاق قال ونظرت يوما الى الشمس كاسفة فقالت احتشمت من محاسنى فانتقبت قال وقلت لها ليلة تعالى نجلس فى هذا القمر فقالت ما اولعك بالجمع بين الضرائر (أبو الفرج) فى كتاب النساء كست سكينة بنت الحسين ابنة لها درا كثيرا وقالت ما كسوتها اياه الا لتفضحه بمحاسنها انتهى ما ذكره ابو الفرج * أخذ ذلك مالك بن اسماء فقال

واذا الدرزان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيد ين اطيب الطيب طيبا * ان تمسيه اين مثلك أينا

(وفى قصيدة ابن عطير)

محصرة الاوساط زانت عقودها * باحسن مما زينتها عقودها

(وقال) يزيد بن معاوية فى أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر

انهما بين عامر بن لؤى * حين قدمى وبين عبد مناف
ولهما فى المطيبين حدود * ثم نالت ذوائب الاحلاف
لا تراها على التعطل والبذ * لة الا كدرة الاصداف

(وكان) يزيد قد بلغه عن أم كلثوم هذه حسن فائق وجمال رائق فوقعت فى قلبه فكتب الى أبيها يخطبها اليه وكان قد قل ماله وكثرت ديونه فزوجها به وكان قبل ذلك منعه ورده وهداها اليه الى دمشق فلما رآها ازداد بها اعجابا ولها حبا

(أنشد الحضرمى فى الزهر لبعضهم)

تعطلن الا من محاسن اوجه ❊ فهن حوال فى الصفات عواطل
برزن عفافا واحتجبن تسترا ❊ وشيب بقول الحق منهن باطل
فذو الحلم مرتاد وذو الجهل طامع ❊ وهن عن الفحشاء سيد نواكل

(وقال) العزيل بن الفرج فيما يتطرف طرفا من هذا المعنى

لعب النعيم بهن فى اظلاله ❊ حتى لبسن ثياب عيش غافل
يأخذن زينتهن احسن ماترى ❊ فاذا عطلن فهن غير عواطل

(ومن أبيات الحماسة)

اذا ابتذلت لم يزرها ترك زينة ❊ وفيها اذا ازدانت لدى نيقة حسب

النيقة التنوق وهو التحسين والتزين (قال) عبد الملك بن حبيب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر النساء ان يجعلن فى أيديهن وأرجلهن شيأ وكان يكره العطل (حصين بن عبد الرحمن) عن أبى عطية قال أتانا كتاب عمر بن الخطاب ان حلوا نساءكم الفضة ولا تحلوهن الذهب وعلموهن سورة النور وذلك من عمر رضى الله تعالى عنه كراهة للارفاه والسرف والاملاق فرق بين تحلى الذهب والفضة وقد تقدم الكلام على هذا الاثر (ومن باب الزينة)

لباس المصبغات بالحمرة والصفرة وكانت العرب تستعمل ذلك للعروس عند اعدائها وعنهم أخذها الناس والازمتهم استعمال ذلك صارت ثياب العروس عندهم علما على الثياب المصبغة وقالوا فى قول الاسدى

البست أثواب العروس سراتهم ❊ من بعد ما لبسوا ثياب الأعبد

قالوا أراد أنه ألبسهم الدماء بعد ان كان لبسهم الدروع وهى ثياب الذى آب من الخطيئة الى التوبة يعنى داود عليه السلام (عبد الملك بن حبيب) عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص قالت ادركت نساء من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وما جل لباسهن الا العصب والمعصفر ❊ العصب نوع من الوشى

وقال بشار

نغذى ملابس زينة ❊ ومصبغات من الغفر
واذا نضحت تقنعى ❊ بالحمران الحسن أحمر

* ولنلحق * بذكر الزينة ذكر النورة يقال ان الجن اول من اتخذوها لبلقيس (ذكر) أصحاب القصص ان سليمان عليه السلام لما راسلها وكان ما قصه الله تعالى من قصتها واتت اليه قالت الجن ان زآها سليمان عليه السلام واستحسنها وتزوجها فاولدها غلاما لن يبرح من العبودية آخر الدهر وكانت بلقيس شعراء الساقين فبنوا لها صرحا ممردا من قوارير اى زجاج وصوروا فيه حيوان البحر وجلس سليمان فى اقصاه على كرسى واستدعى بلقيس لتراه وتتعجب منه وانما أراد الجن بذلك ليظهر لسليمان شعر ساقيها فتنبو عينه عنها فلما رأته بلقيس حسبته لجة وكشفت عن ساقيها كما قال الله تعالى لتخوضه فرآها سليمان فاعجبه حسنها واستقبح شعرهما فعزم على بعض الجن ان يعرفه بما يذهب ذلك فاخترع النورة فاطلت بها وتزوجها سليمان عليه الصلاة والسلام بعد ان أسلمت معه وهذه اخبار أهل القصص (ويقال) ان اللذات أربع فلذة ساعة وهى الجماع ولذة يوم وهو الحمام ولذة جمعة وهى النورة ولذة حول وهى تزوج البكر (وقالوا) ألذ الجماع بالمرأة فى يوم انتيارها والرجل بعد ثلاث من استعداده (وحكى) المبرد رحمه الله تعالى فى الكامل عن يزيد بن المهلب قال وددت لو كانت طلية نورة بمائة الف ولو كان فرج المرأة فى جبهة الاسد حتى لا يطلى الا كريم ولا يصل الى الفرج الا شجاع (أبو داود) فى كتاب المراسيل من رواية اللؤلؤى والرملى عنه عن الفضيل بن الحسين الجحدرى عن عبد الواحد عن صالح بن صالح عن أبى معشر ان رجلا نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ العانة كف الرجل فنور رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه كذا جاء فى هذا الحديث وجاء فى حديث آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتنوره ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان خرجه أبو داود أيضا (قال) ابن السيد فى الاقتضاب يقال من النورة انتار الرجل انتيارا أو انتور انتوارا قال وكان أبو العباس ثعلب ينكر تنور قال ويقول انما يقال ذلك لمن نظر الى النار قال ويرد عليه ما أنشده أبو تمام فى الحماسة لعبيد بن قرط الاسدى وكان دخل الى الحضر مع صاحبين له فاحب صاحباه دخول الحمام فنهاهما عن ذلك فابيا الا دخوله ورأيا رجلا يتنور فسالا عنه فاخبر بخبر النورة فاستعملاها ولم يحسنا فاحرقتهما فقال عبيد

لعمرى لقد حذرت قرطا وجاره * ولا ينفع التحذير من ليس يحذر
نهيتهما عن نورة أحرقتهما * وحمام سوء ما ويئس معمر

أجدكم لم تعلما أن جارنا ❊ أبا الحسل بالحمراء لا يتغور
فما منهما الا أتاني موقعا ❊ به أثر من مسها يتقشر
ولم يعلما حامتنا في بلادنا ❊ اذا جعل الحرباء بالجذل يخطر

ابو الحسل كنية الضب (قال) ابن السيد يقال استحد الرجل واستحان اذا حلق عانته والاول من لفظ الحديد والثاني من لفظ العانة قال ويسمى شعر العانة الطوطوة والشعرة بكسر الشين وسكون العين (وفي) الحديث أن رجلا اشتكى شدة الغلمة فامر بتوفير شعرته فاربا أن الغلمة شهوة النكاح واربا أن أي سكنت غلمته انتهى ماذكره ابن السيد (محارب بن دثار) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يطرق الرجل اهله ليلا وقال لتمتشط الشعثة وتستحد المغيبة قد تقدم آنفا معنى الاستحداد وكان النساء يستعملن الحديد في ازالة ذلك منهن ولذلك قالت الزباء في خبرها المشهور وقد وفرت عانتها أما ان ذلك ليس من عدم الموسى ❊ والمغيبة التي غاب عنها زوجها وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العلة التي نهى عن الطروق من أجلها وهو الاتيان ليلا للمسافر (وفي) حديث آخر نهى ان يطرق الرجل أهله ان يخونهم أو يلتمس عوراتهم فهذا من باب آخر نهى عن طروق النساء ستراعليهن لئلا يطلع منهن على ريبة ❊ وأنشد الحضرمي في كتاب نور الطرف لابن الرومي

اصبحت الدنيا اسر من نظر ❊ بمنظر فيه جلاء للبصر
أنت على الله بآلاء المطر ❊ واهالها صطنعا لقد شكر
والارض في روض كبراد الحبر ❊ تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدت للذكر

❊ (الباب العاشر في زينة الرجل وما يستحب له من التهيئ لزوجته كما يجب ان تتهيأ له والنهي عن اكراه المرأة الحسناء على تزوج الرجل القبيح والحدثة على تزوج المسن) ❊

(مكحول) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج يريدهم فجعل يسوي شعر رأسه ولحيته قالت فقلت يارسول الله وأنت تفعل هذا قال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيئ من نفسه فان الله جميل يحب الجمال (أبو الفرج) في كتاب النساء في حديث

رفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهيأ الرجل لزوجته كما يحب ان تتهيأ له (ومن) الكتاب المذكور قال أتت امرأة الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بزوج لها أشعث أغبر فقالت يا امير المؤمنين لا أنا ولا هذا خلعني منه فنظر عمر فعرف ما كرهت منه فاشار الى رجل فقال اذهب به فحممه وقلم اظفاره وخذ من شعره وائتني به فذهب ففعل ذلك ثم أتاه فاومأ اليه عمر أن خذ بيدها فاخذ بيدها وهي لا تعرفه فقالت يا عبد الله سبحان الله أبين يدى أمير المؤمنين تفعل هذا فلما عرفته ذهبت معه فقال عمر رضى الله عنه هكذا فاصنعوا لهن فوالله انهن ليحببن ان تتزينوا لهن كما تحبون ان يتزين لكم (وقال) بعض المفسرين فى قوله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف قال يتزين الرجل للمرأة كما تحب أن تتزين له ويروى ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (الجوزى) فى كتابه المؤلف فى أخبار عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال عمر رضى الله عنه لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فانهن يحببن ما تحبون (أبو الفرج) فى كتاب النساء قال سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه امرأة فى الطواف تقول

فمنهن من تسقى بعذب مبرد ❊ فقاح فتلكم عند ذلك قرت
ومنهن من تسقى باخضر آجن ❊ اجاج فلولا خشية الله فرت

ففهم عمر رضى الله عنه شكواها واستدعى زوجها فرأى رجلا قبيحا فخيره بين خمسمائة درهم اوجارية من الغى على ان يطلقها فاختار خمسمائة درهم فاعطاه اياها فطلقها (ابن عبد المؤمن) فى شرح المقامات قال بينا معن بن زائدة يوما جالسا اذ أتته امرأة من بنى سهم من احسن الناس وجها فقالت أصلح الله الامير ان عمى زوجنى من ليس لى بكفء فقال على بزوجها فأدخل عليه رجل من أقبح الناس فقال ما هذا منك فقال امرأتى فقال تحل سبيلها ففعل الرجل ذلك فأطرق معن ساعة ثم قال

اتيت بها مثل المهاة تسوقها ❊ فيا حسن مجلوب ويا شر جالب
لعمرى لقد أصبحت غير محبب ❊ اليها فقارفها فراق الاجانب

(وأنشد) المبرد فى الكامل لبعضهم قال صاعد فى كتاب الفصوص وجدت هذين البيتين بخط اسحق بن ابراهيم الموصلى وهما لبعض العرب

ألا يا عباد الله قلبى متيم ❊ باحسن من صلى واقبحهم بعلا
يذب على احشائها كل ليلة ❊ ذيب القرنبى بات يعلو فتى سهلا

(وأنشد غيره)

ألا رب عوراء المحاجر طفلة ✻ تساق الى وغد من القوم تنبال

يقولون جرها اليه قرابة ✻ فويح العذارى من بنى العم والخال

الوغد الرجل الدنىء والتنبال القصير (وأنشد أبو على فى الاغانى)

أيا عمرو كم من مهرة عربية ✻ من الناس قد بليت بوغد يقودها

يسوس ومايدرى لها من سياسة ✻ يريد بها الشىء ليست تريدها

أراد بليت بسكون اللام تخفيفا وبعضهم يرويه بلت بتشديد اللام من قولك بل فلان بكذا أى صلى به (الجوزى فى الاذكياء) قال دخل عمران بن حطان على امرأته حمدة وقد تزينت وكانت امرأة جميلة وكان قصيرا دميما فلما نظر اليها ازدادت فى عينه حسنا فلم يستطع ان يصرف بصره عنها فقالت مالك قال أصبحت والله جميلة فقالت ابشر فانى وإياك فى الجنة قال من أين علمت هذا قالت أعطيت مثلى فشكرت وأعطيت مثلك فصبرت والشاكر والصابر فى الجنة فجعل ونهاها أن تعود لمثل ما قالت (الابى فى نثر الدرر) قال بعضهم خرجت الى ناحية الطفاوة فاذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها فقلت أيتها المرأة ان كان لك زوج فبارك الله له فيك والا فأعلمينى قال فقالت وما تريد منى وفى شىء لا أراك ترتضيه قلت وما هو قالت شيب فى رأسى قال فثنيت عنان دابتى موليا عنها فاسترجعتنى وقالت والله ما بلغت العشرين بعد وهذا رأسى فكشفت عنه فاذا عناقيد كالحمم ولكنى رأيت فى رأسك مثل ذلك فأحببت أن تعلم أنا نكره منكم ما تكرهون منا (الخطابى) فى غريب الحديث قال قال عمر لا ينكح أحدكم الا لمته من النساء لمته مخففا من كان فى سنه كانه كره للسن أن يتزوج الشابة وللشاب أن يتزوج المسنة (عبد الله بن يزيد) عن أبيه قال خطب أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم انها صغيرة وخطبها على رضى الله عنه فزوجها منه خرجه النسائى وترجم عليه فى باب تزوج المرأة من كان مثلها فى السن (قال) بعضهم كان سن فاطمة عليها السلام اذ ذاك خمس عشرة سنة وسن على رضى الله تعالى عنه احدى وعشرين سنة وأربعة أشهر وكان بين على وبين أبى بكر فى السن ثمان عشرة سنة وبين على وعمر ثمان سنين (المراغينى فى بعض تاليفه) قال خطب الحارث الاسدى الى علقمة الطائى ابنته وكان الحارث شيخا فقال علقمة لامرأته انظرى ما تقول ابنتك فى ذلك

فقالت لها أي بنية أي الرجال أحب الملك الكهل الجحاح الواصل المياح أم الفتى الوضاح الذهول الطماح فقالت بل الفتى فقالت ان الفتى يغيرك وان الشيخ يغيرك فقالت لها يا أماه ان الفتاة تحب الفتى كما يحب الرعاء أنيق الكلا فقالت لها يا بنية ان الشاب شديد الحجاب كثير العتاب فقالت لها يا أماه اني أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابي ويبلى شبابي ويشمت بي أترابي فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحرث ثم ارتحل بها الى أهله وانه لجالس ذات يوم بفناء بيته وهي معه اذ أقبل شباب من بني أسد يتلاعبون فتنفست الصعداء ثم بكت فقال لها ما يبكيك فقالت مالي وللشيوخ الذاهضين كالفروخ فقال ثكلتك أمك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها وسبئة شربتها الحقي بأهلك فلا حاجة لي بك * الجحاج السيد والمياح الكثير الصلة والمعروف والطماح المعجب بنفسه ويغيرك الاولى بضم الياء من الغيرة بفتح الغين أي يتزوج عليك من تغارين منه ويغيرك الثانية بفتح الياء من الغيرة بكسر الغين وهي المرة والنفع يقال غار الرجل أهله يغيرهم أي مارهم ونفعهم والسبية غير مهموز المرأة المسبية والسبئة بالهمز الخمر (أبو الفرج) في كتاب النساء قال زوج معاوية بنته هندا من عبد الله بن عامر بفاءته يوما بالمرآة والمشط وكانت أبر الناس به فنظر في المرآة الى وجهه ووجهها فرأى شبابا وجمالا ورأى الشيب قد غمر وجهه وألحقه بالشيوخ فرفع رأسه اليها وقال ألحقي بأهلك فانطلقت حتى دخلت على أبيها معاوية فأخبرته فقال وهل تطلق الحرة فقالت ان ذلك ليس بيدي فأرسل اليه معاوية يستفهمه عن سبب طلاقها فقال سأخبرك ان الله تعالى من علي بفضله وجعلني كريما فلا أحب ان يكون لاحد علي منة وان ابنتك اعجزتني مكافأتها بحسن صحبتها فنظرت فاذا أنا شيخ وهي شابة ولا أزيدها مالا الى مالها ولا شرفا الى شرفها فرأيت ان اردها الملك لتزوجها فتى من فتيانك كان وجهه ورقة مصحف انتهى ما ذكره أبو الفرج وكان عبد الله بن عامر هذا هو ابو عذرها وقد قدمنا خبر ابتنائه بها في باب قبل هذا (قال) الغزالي في الاحياء تزوج رجل على عهد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وكان قد خضب لحيته فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل المرأة عمر رضي الله تعالى عنه وقالوا احسبنا شابا فأوجعه عمر رضي الله تعالى عنه ضربا وقال له غررت القوم

* (الباب الحادي عشر في معاشرة النساء ومواقفتهن وحقوق

المرأة على الرجل وماله من الحق عليها وذكر وصايا من وصايا الحكماء لبناتهن عند اهدائهن *

(قال) الله تعالى وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * وقال سبحانه وتعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم فأخبر الله تعالى ان الرجال لما كان لهم على النساء حق وهو ما سبق فى الآية كان لهن عليهم حق وهو اجمال المحبة وبين ذلك بقوله عز وجل فى الآية الاخرى فامساك بمعروف او تسريح باحسان والدرجة التى جعل الله تعالى للرجال على النساء هى ما يلزم المرأة للرجل من وجوب الطاعة والخدمة وعدم التصرف فى مالها الا باذنه وتقديم طاعته على طاعة الله فى النوافل فلا تصوم الا باذنه وما جعله الله تعالى له من تأديبها واشباه هذه الاحكام (وجاء) فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلى (الترمذى) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم وقال الترمذى فيه حسن صحيح (البخارى) عن ابى حازم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع اعوج وان اعوج شئ فى الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء خيرا (وفى) بعض روايات هذا الحديث لمسلم ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت وفيها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها انبه صلى الله عليه وسلم على انه ينبغى الرفق بهن ومداراتهن وان لا ينغص عليهن فى اخلاقهن وانحراف طبائعهن فان ذلك يؤدى الى مفارقتهن (ونظم الشاعر هذا المعنى فقال)

هى الضلع العوجاء لست تقيمها * الا ان تقويم الضلوع انكسارها
أيجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

ويروى ان أبا ذر الغفارى أنشد هذين البيتين على المنبر (وقال) عليه السلام والسلام فى خطبته فى حجة الوداع أوصيكم بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم ولا يملكن لانفسهن شيأ وانما اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله لكم عليهن حق ولهن عليكم حق فحقهن كسوتهن ورزقهن بالمعروف وحقكم ان لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ولا يأذن فى بيوتكم

الا باذنكم وعلمكم فان فعلن ذلك فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح الاهل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد خرج الترمذى أكثر الفاظه من حديث عمرو بن الاحوص وقال فيه حسن صحيح (قوله) فانهن عوان عندكم أى اسيرات والعانى الاسير (وقوله) واستحللتم فروجهن بكلمة الله يريد والله اعلم ما اشترطه الله تعالى لهن من قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان أو يريد قوله سبحانه وتعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقال بعضهم المراد بذلك كلمة التوحيد اذ لا يحل لمن كان غير مسلم أن يتزوج مسلمة (وقوله) وحقكم ان لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه يريد بذلك الخلوة والحديث مع الرجال ولم يرد الزنا فانه يوجب الحد وأيضا فلا فائدة فى تقييده بمن يكره وكانت عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النساء غاب أزواجهن أو حضروا ولم يكن عندهن فى ذلك عيب ولا ريبة فلما نزلت آية الحجاب نهوا عن ذلك (وقوله) فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع أى لا تحولوهن الى بيت آخر ولا تحولوا أنتم عنهن ولكن تهجروهن فى مضاجعهن قيل هو ان ينام معها فى المضجع ولكن يولها ظهره ولا يكلمها ولا ينام معها وقيل هو ان يترك مضجعها وينام فى مضجع غيره ولكن فى بيتها وغير مبرح بكسر الراء اى غير شديد والبرح الشدة والمشقة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر لا يجلد احدكم امرأته جلد البعير ثم يجامعها فى آخر اليوم خرجه البخارى (أبو داود) عن خالد بن زيد عن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من اللهو ثلاث تأديب الرجل فرسه ورميه بقوسه ونبله وملاعبة اهله وفى بعض روايات هذا الحديث من غير كتاب أبى داود كل شئ يلهو به الرجل باطل الا تاديبه فرسه ورميه بقوسة ونبله وملاعبته أهله (وكانت) عائشة رضى الله تعالى عنها تقول انما المرأة لعبة الرجل فليحسن الرجل الى لعبته وروى ذلك مرفوعا (قال) صعصعة بن صوحان يوما لمعاوية كيف تنسبك الى العقل وقد غلبك نصف انسان يريد امرأته فاختة بنت قرظة فقال انهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام (وقال) الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء وذكر حقوق المرأة على الرجل وحقوقه عليها فقال اما المرأة فلها على زوجها ان يعاشرها بالمعروف وأن يحسن خلقه معها قال وليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم على طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان أزواجه يراجعنه فى

الكلام وتهجره احداهن الى الليل * وراجعت امرأة عمر رضى الله تعالى
عنه الكلام فقال أتراجعينى يا لكعاء فقالت ان أزواج النبى صلى الله عليه
وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال رضى الله تعالى عنه خابت حفصة وخسرت
ان راجعته صلى الله عليه وسلم ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة أبي قحافة فانها
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم * ودفعت احداهن فى صدر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فزجرتها أمها فقال دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك * وجرى
بينه صلى الله عليه وسلم وبين عائشة كلام حتى ادخل أبو بكر حكما بينه صلى الله
عليه وسلم وبينها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمى أراتكلم
فقالت تكلم انت ولا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر حتى أدمى فاها وقال أو يقول
غير الحق يا عدوة نفسها فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت
خلف ظهره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انا لم ندعك لهذا أولم نردمنك هذا
(وقالت) مرة وقد غضبت أنت الذى تزعم انك نبى فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما * وكان صلى الله عليه وسلم يقول لها انى
لأعرف اذا كنت عنى راضية واذا كنت على غضبى قالت وكيف تعرف ذلك قال
اذا رضيت قلت لا والله محمد واذا غضبت قلت لا والله ابراهيم قالت أجل
يا رسول الله ما أهجر الا اسمك * قال ويقال ان أول حب وقع فى الاسلام حب
النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها وكان يقول لها كنت لك
كابى زرع لام زرع قال أنس كان النبى صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالنساء
والصبيان (قال) الغزالى وأعلى من ذلك ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة
والمزح والملاعبة فهى التى تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمزح معهن وينتزل الى درجات عقولهن فى الاعمال والاخلاق حتى
يروى انه كان يسابق عائشة صلى الله عليه وسلم فى العدو فسبقته يوما وسبقها
يوما وقال هذه بتلك (وفى) الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس
مع نسائه * وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت أصوات اناس من الحبشة ومن
غيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبين
ان ترى لعبهم قالت قلت نعم يا رسول الله فارسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين البابين ووضع كفه على الباب ووضعت ذقنى
على ذراعه وجعلوا يلعبون وأنا انظر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك
فقلت اسكت مرتين او ثلاثا ثم قال لى يا عائشة حسبك الآن فقلت نعم

فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين احسنهم خلقا
والطفهم باهله (وقال) عمر رضى الله عنه مع خشونته ينبغى للرجل فى أهله ان
يكون مثل الصبى فاذا التمس ما عنده وجد رجلا (وفى) تفسير الخبر المروى ان
الله يبغض الجعظرى الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر فى نفسه وهو
أحد ما قيل فى قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قيل العتل الفظ اللسان الغليظ
القلب على أهله (قال) الغزالى رحمه الله وينبغى مع هذا أن لا ينبسط فى المداعبة
والموافقة ولين الخلق الى حد يسقط هيبته ويفسد خلقها بل يراعى الاعتدال
فى ذلك كله فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى ما يكره ولا يفتح باب المساعدة
على ذلك البتة بل مهما رأى شيأ من ذلك تمرد وامتعط (قال) الحسن ما اطاع
رجل امرأته فيما تهوى الا كبه الله فى النار (وقال) صلى الله عليه وسلم تعس
عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها فى هواها فهو عبدها وقد تعس فان
الله سبحانه قد ملكه المرأة فملكها هو ونفسه فقد عكس الامر وقلب القضية
أو طاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون
متبوعا لا تابعا وقد سمى الله تعالى الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا
فقال وألفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد فقد بدل نعمة الله كفرا
ونفس المرأة على مثال نفسك ان أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان
أرخيت ذمامها شبرا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها ملكتها
(وقال) الشافعى رضى الله تعالى عنه ثلاثة ان أكرمتهم اهانوك وان اهنتهم
أكرموك فعد منهم المرأة أراد ان محضت لهم الاكرام ولم تمزجه بغلظة وفظاظة فى
بعض الاوقات * وكان نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج فكانت المرأة
تقول لابنتها ايدئى زوجك قبل الاقدام عليه فان زجى زج رمحه فان سكت فقطعى
اللحم على ترسه فان سكت فكسرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على
ظهره وامتطيه فانما هو حمارك * وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض
وكل ما جاوز حده انعكس الى ضده فينبغى ان يسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة
والموافقة ويتبع الحق فى جميع ذلك ويجرب اولا أخلاقها ثم يعاملها بما يصلحها
على ما يقتضيه حالها (قال) وأما حق الزوج عليها فالقول الشافى فيه ان
النكاح نوع رق وهى رقيقة له فعليها طاعته مطلقا فى كل ما يطلب منها
فى نفسها مما لا معصية فيه كذا قال الغزالى ولا يصح هذا الاطلاق فان العزل
لا معصية فيه وخصوصا على مذهبه نص على ذلك فى الاحياء ومع ذلك فلا

يلزمها

يلزمها طاعته فيه اتفاقا (قال) وقد ورد فى تعظيم حق الزوج على المرأة أحاديث كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة (وخرج) رجل فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر وأوصى امرأته ان لا تنزل من علوها وكان أبوها فى السفل مريضا فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنه فى النزول الى أبيها فقال أطيعى زوجك فمات أبوها فارسلت تستأذنه صلى الله عليه وسلم فى الحضور لدفنه فقال اطيعى زوجك فدفن أبوها فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفها ان الله قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها (وقال) صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت الجنة (قال) وعلى الجملة فحقوق الرجل على المرأة كثيرة وأصولها ان تصون نفسها ولا تخرج من بيتها الا باذنه وان خرجت باذنه فبخفية فى هيئة رثة بطلب المواضع الخالية متحرزة ان يسمع صوتها أو يعرف عينها وان تكون قانعة منه بما استيسر غير مكلفة له ما وراء الحاجة محفظة على ماله غير مخربة شيأ منه الا باذنه قائمة بكل خدمة تقدر عليها من خدمته منزلة مقدمة حقه على حق نفسها وسائر أقاربها متنظفة فى نفسها مستعدة لان يستمتع بها ان شاء قصيرة اللسان عن مراجعته غير متكبرة عليه بمال او جمال ولا مزدرية له لقبحه ان كان كذلك ملازمة للانقباض فى حال غيبته ومنبسطة فى حال حضوره واذا مات عنها فحقه ان تحد عليه أربعة أشهر وعشرا تجتنب فيها الطيب والزينة وان تلازم مسكنها الى أن يبلغ الكتاب أجله وليس لها الانتقال الى أهلها ولا الخروج الا لضرورة (قال) ولعظيم حقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء قال ولم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير والعشير هو الزوج انتهى كلام الغزالى (أبو داود) عن قيس بن سعيد قال اتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم احق ان يسجد له وأنت يا رسول الله احق ان يسجد لك فقال أرأيت لو مررت بقبرى أكنت تسجد له قلت لا قال فلا تفعلوا لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت النساء ان يسجدن لازواجهن لما جعل الله لهم عليهن من حق وخرجه الترمذى مختصرا عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها وقال فيه حسن صحيح (البخارى) عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الامام راع وهو مسئول والرجل راع على اهله وهو مسئول والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة (وله) عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل للمرأة ان تصوم وزوجها شاهد الا باذنه وما انفقت من نفقة فانه يؤدى اليه شطره وقال مسلم وما انفقت من كسبه من غير امره فان نصف اجره له (وعن) ابي حازم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل المرأة الى فراشه فأبت ان تجي لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية فأبت ان تجي فبات غضبان عليها (الخطابي) في غريب الحديث قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الغائصة والمغوصة قال الغائصة بالغين المعجمة والصاد مهملة الحائض لا يعلم زوجها انها حائض والمغوصة بكسر الواو التي لا تكون حائضا فتكذب زوجها وتقول انها حائض (ابو داود) عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت * لا تقبح اي لا تقول قبحك الله ولا تهجر الا في البيت اي لا تحولها الى بيت آخر ولا تقول عنها الى بيت آخر وقد تقدم بيان ذلك والقصد من ذلك الرفق بهن فان الهجر لهن مع البعد عنهن شديد الايلام لقلوبهن وقد جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هجر ازواجه في غير بيوتهن فينظر ذلك مع هذا الحديث وقد بوب البخاري على هذا وترجم به (النسائي) عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى المرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه (النسائي) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بنسائكم من اهل الجنة الودود الولود العود على زوجها التي اذا آذت او اوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول والله لا اذوق غمضا حتى ترضى (ابو الفرج) في كتاب النساء قال اتى رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امرأة اذا اتيت منها وما قامت الى فأخذت بطرف ردائي ومسحت على وجهي وقالت ان كان همك للدنيا فصرفه الله عنك وان كان همك للآخرة فزادك الله همما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لها اجر الشهداء ورفقهم * ومما هو داخل في هذا الباب * ما حكاه الزبير في الموفقيات عن ابراهيم بن المنذر عن محمد بن معن قال اتت امرأة الى عمر بن

الخطاب رضى تعالى الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه اليك وهو يقوم بطاعة الله عز وجل فقال لها جزاك الله خيرا من مثنية على زوجها فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب وكان كعب بن سوار الاسدى حاضرا فقال له اقض يا أمير المؤمنين بينها وبين زوجها فقال وهل فيما ذكرت قضاء فقال انها تشكو مباعدة زوجها لها عن فراشها وتطلب سقها فى ذلك فقال له عمر أما ان فهمت ذلك فاقض بينهما فقال كعب على بزوجها فأحضر فقال ان امرأتك هذه تشكوك قال أقصرت فى شئ من نفقتها قال لا فقالت المرأة شعرا

يا أيها القاضى الحكيم رشده ❊ الهى خليلى عن فراشى مسجده
نهاره وليله ما يرقده ❊ فلست فى أمر النساء أحمده
زهده فى مضجعى تعبده ❊ فاقض القضا يا كعب لا تردده

قال فقال زوجها

زهدنى فى فرشها وفى الحلال ❊ انى امرؤ أذهلنى ما قد نزل
فى سورة النحل وفى السبع الطول ❊ وفى كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب

ان خير القاضيين من عدل ❊ ومن قضى بالحق جهرا وفصل
ان لها عليك حقا يا رجل ❊ تصيبها فى أربع لمن عقل
قضية من ربنا عز وجل ❊ فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال ان الله عز وجل قد أباح لك من النساء أربعا فلك ثلاثة أيام وليالين تعبد فيها ربك ولها يوم وليلة فقال عمر والله ما أدرى من أى أمريك أعجب أمن فهمك أمرها أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك قضاء البصرة ❊ وذكر الرشاطى هذا الحديث فى كتابه المسمى باقتباس الانوار وازدياد بعد قوله يوم وليلة فلا تصل فى ليلتها الا الفريضة وأخبر أن كعب بن سوار شهد يوم الجمل فلما اصطفت الناس للقتال أخذ مصحفا فى يده وخرج يناشد الناس فى دمائهم فقتل على تلك الحالة (الغزالى فى الاحياء) قال زوج أسماء بن خارجة الفزارى ابنته فلما أراد هداءها قال لها انك خرجت من العش الذى فيه درجت وصرت الى فراش لا تعرفينه وقرين لا تألفينه فكونى له أرضا يكن للسماء وكونى له مهادا يكن للعماد وكونى له أمة يكن للعبد ولا تلحى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينسالك ان دنا فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه

واحفظي أنفه وسمعه وعينه فلا يشم منك الا طيبا ولا يسمع منك الا حسنا
ولا ينظر الا جميلا (أبو الريحان في كتاب الجماهر) قال زوج عامر بن الضرب
العدواني ابنته من ابن أخيه وقال لامها مري ابنتك أن لا تنزل فلاة الا ومعها
ماء فانه للاعلى جلاء وللاسفل نقاء وأن لا تمنعيه شهوته فان الحظوة في الموافقة
وأن لا تطيلي مضاجعته فان البدن اذا مل مل القلب (وذكر) أبو الريحان
من هذا الباب قول أخرى لابنتها كوني له فراشا يكن لك معاشا وكوني له وطاء
يكن لك غطاء وايالك والاكتئاب اذا كان فرحا والفرح اذا كان كئيبا ولا
يطلعن منك على قبيح ولا يشممن منك الا أطيب ريح ولا تفشي له سرا لعله
تسقطي من عينه وعليك بالماء والدهن والكحل فانها أطيب الطيب (قال)
وقال أحدهم لابنته ليلة الهداء كوني لزوجك أمة يكن لك عبدا وعليك
باللطف فانه أبلغ من السحر وبالماء فانه رأس الطيب (الزبير في الموفقيات)
قال زوج قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ابنته من لقيط بن زرارة بن عدس
على مائة من الابل ليس فيها ناب ولا مصرمة ولا مدابرة قال ثم دخل على ابنته
فقال أي بنية ان زوجتك غلاما عزيز النفس فلا تدني منه كل الدنو فيملك
ولا تبعدي عنه كل البعد فينساك واغلبي أحماك بالخير ولا تغلبيهم بالشر
وكوني له أمة يكن لك عبدا وتوقي من الطيب مواقع أنفه واعلمي ان أطيب
طيب النساء الماء ثم خرج وقال جهزوها الى زوجها فلما هديت اليه قالت
مروا بي على أبي أسلم عليه فمروا بها فسلمت عليه وانصرفت فقال لها أي بنية
اذهبي فلا أيسرت ولا أذكرت فقالت أي أبت أهنتني صغيرة وغربتني كبيرة
وزودتني عند الفراق أسوأ الزاد فقال انك لتأتين البعداء وتلدين الاعداء
وتذهبين بالتلاد وتحلين في غير الصديق ثم ذهبت عنه انتهى ماذكره الزبير
* الباب الناقة المسنة والمصرمة التي أصاب ضرعها داء فكوي بالنار لاجل
ذلك والمدابرة المشقوقة الاذن من القفا فان شقت من قبل الوجه فهي مقابلة
واسم هذه المرأة التي تزوج بها لقيط القدور وقد تقدم بعض خبرها في باب
قبل هذا (التيفاشي في قادمة الجناح) قال كانت أسامة بنت الحرث التغلبية
عند عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان فولدت له أم اياس بنت عوف فتزوجها
الحرث بن عمرو الكندي فلما أرادت أمها هداءها اليه قالت لها أي بنية ان
الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة حسب لتركت ذلك معك ولكنها
تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل أي بنية لو استغنت ابنة عن زوج لغنى أبويها

لكنت أغنى الناس عنه ولكنا خلقنا للرجال كما خلق الرجال لنا أى بنية انك فارقت الوكر الذى منه خرجت والعش الذى فيه درجت الى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه أصبح بعلكه اياك ملكا عليك فكوني له أمة يكن لك عبدا واحفظى له خلالا عشرا (أما الاولى والثانية) فالصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة فان فى القناعة راحة القلب وفى المعاشرة بحسن السمع والطاعة رضا الرب (وأما الثالثة والرابعة) فالتعهد لموقع عينه والتفقد لموقع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب ريح واعلمى أن الكحل أحسن الحسن الموجود وان الماء أطيب الطيب المفقود (وأما الخامسة والسادسة) فالتعهد لوقت طعامه والهدوء عند منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة (وأما السابعة والثامنة) فالاحتفاظ بيبته وماله والرعاية لحشمه وعياله فان أصل حفظ المال من حسن التقدير والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير (وأما التاسعة والعاشرة) فلا تفشين له سرا ولا تعصين له امرا فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره وان عصيت أمره أوغرت صدره واتقى مع ذلك الفرح اذا كان ترحا والاكتئاب اذا كان فرحا فان الخصلة الاولى من التقصير والثانية من التكدير وأشد ما تكونين له اعظاما أشد ما يكون لك اكراما وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن ما يكون لك مرافقة واعلمى انك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثرين هواه على هواك ورضاه على رضاك فيما أحببت أو كرهت ثم ودعتها وصرفتها وسيأتى تزوج الحرث بن عمرو لها فى باب بعد هذا (الجاحظ فى البيان) عن ابى عمرو بن العلاء قال أنكح ضرار بن عمرو ابنته من معبد بن زرارة فلما أخرجها اليه قال يا بنتى امسكى عليك الفضلين قالت يا أبه وما الفضلان قال فضل العلم وفضل الكلام

﴿الباب الثانى عشر فى السرارى﴾

السرارى جمع سرية وهى الامة المتخذة للوطء واشترط الفقهاء فى صدق هذه التسمية حصول الوطء ولو مرة وتظهر فائدة الاشتراط فيمن جعل بيد زوجته عتق السرية التى يتخذها عليها فان لم يطأها لم يكن لها عتقها وهى منسوبة الى السر وهو النكاح وانما ضمت سينها جريا على المعتاد فى التغيير للنسب كما قالوا فى النسبة الى الدهر دهرى والى السهل سهلى فكان الاصمعى يقول انها

مشتقة من السرور يقال تسررت سرية وتسريت بالياء فالاولى على الاصل والثانية على الابدال كما قالوا قطيت (أبو داود) عن كثير بن عبيد عن بقية بن المبارك عن الزبير بن سعيد الهاشمي عن أشياخه رفعه قال عليكم بالمهات الاولاد فانهن مباركات الارحام ذكره أبو داود في المراسيل وفي رواية عليكم بالسراري (عبد الملك بن حبيب) قال بلغني ان رجلا شكا الى سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه قلة الولد فقال عليك بالسراري (جعفر بن محمد) قال كان لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام سبعمائة سرية غير الزوجات فقيل له يا ابن رسول الله كيف كان يقدر على جمعهن قال جعل الله فيه قوة بضع وأربعين رجلا وسيأتي الكلام على هذا الاثر بعد هذا (الربيع) بسنده الى سفيان قال كان عند علي رضي الله تعالى عنه تسع عشرة وليدة (أبو العباس في الكامل) قال قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ليس قوم أكيس من أولاد السراري لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم يريد اذا كن من العجم (أبو الفرج في كتاب النساء) قال قال عبد الملك بن مروان من أراد الباءة فعليه بالبربريات ومن أراد الخدمة فعليه بالرومیات ومن أراد النجابة فعليه بالفارسيات قال وقالوا بنات العجم والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الاقران كابن عجمية ✽ أنجب يريد أكثر انجابا كما قالوا ما أولاه للمعروف والغرائب البعداء الذين لا قرابة بينك وبينهم (المبرد في الكامل) قال قال سلمة بن عبد الملك اني لاعجب من ثلاثة رجل قصر شعره ثم عاد فأطاله ورجل شمر ثوبه ثم عاد فأرسله ورجل تمتع بالسراري ثم عاد الى المهيرات والمهيرات جمع مهيرة وهي الحرة المهورة فعيلة بمعنى مفعولة من قولك مهرتها اذا جعلت لها مهرا وقد يقال امهرتها بالالف وهو قليل (ابن سعيد في كنوز المطالب) قال قال موسى الكاظم عليك بالقيان فان لهن فطنا وعقولا ليست لكثير من النساء ✽ القيان جمع قينة قال صاحب الصحاح وهي الامة مغنية كانت او غير مغنية قال وبعض الناس يظن القينة المغنية خاصة وليس الامر كذلك انتهى ما ذكره صاحب الصحاح ✽ واعلم ان الكاظم انما اراد بالقيان الاماء المغنيات بالاصطلاح العرفي والذي ذكره صاحب الصحاح هو المدلول اللغوي (ابو الفرج في كتاب النساء) قال كتب هشام بن عبد الملك الى عامله على افريقية أما بعد فان أمير المؤمنين لما رأى ما كان يبعث به موسى بن نصير الى عبد الملك رحمه الله تعالى أراد مثله منك وعندك من الجواري البربريات

المالئات للاعين الآخذات للقلوب ما هو معروف لنا بالشام وما والاه فتلطف
في الاتقاء وتوخ أنيق الجمال وعظم الاكفال وسعة الصدور ولين الاجساد
ورقة الانامل وسبوطة العصب وجدالة الاسوق وجثول الفروع ونجالة
الاعين وسهولة الخدود وصغر الافواه وحسن الثغور وشطاط الاجسام
واعتدال القوام ورخامة الكلام ومع ذلك فاقصد رشدة المولد وطهارة المنشأ
فانهن يتخذن أمهات أولاد والسلام * أبو الفرج في الكتاب المذكور وابن
الكردبوس في الاكتفاء * دخل حديث بعضهما في بعض قالا كانت عند أبي
العباس السفاح أم سلمة بنت يعقوب بن عبد الله الخزومي وكان قد أحبها حبا
شديدا ووقعت في قلبه موقعا لطيفا فخاف لها أن لا يتخذ عليها سرية ولا يتزوج
عليها امرأة فوفى لها بذلك فخلا به خالد بن صفوان يوما فقال له يا أمير المؤمنين
فكرت في أمرك وسعة ملكك وانك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت
عليها فان مرضت مرضت وان حاضت حضت وحرمت نفسك التلذذ بالسراري
واستطراف الجواري ومعرفة اختلاف حالاتهن وأجناس التمتع بما يشتهى
منهن فهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء والبضة البيضاء والعتيقة الادماء
والذهبية السمراء والبربرية الجعزاء والمولدات المدنيات اللواتي يفتن
بمجاورتهن ويخلبن بحلاوتهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء من
مولدات البصرة والكوفة ذوات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط
المختصرة والثدي النواهد المحققة وحسن زيهن وشكلهن لرأيت فتنا ومنظرا
حسنا وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الاحرار والتظرف فيما عندهن من
الحياء والتخفر والدلال والتعطر وأقبل خالد يجيد في الوصف ويكثر في
الاطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه فلما فرغ قال له أبو العباس ويحك يا خالد
والله ما سألك مسامعي قط كلام أحسن مما سمعته منك فأعده علي فأعاده عليه
وزاد فيه ثم انصرف خالد وبقي أبو العباس متفكرا مغموما فدخلت عليه أم
سلمة وكانت تبرا كثيرا وتقف من مسرته وموافقته في جميع ما أراده فقالت له
مالي أراك مغموما يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك خبر ارتعت له
قال لم يكن شيء من ذلك قالت فما قصتك فجعل يكتم عنها فلم تزل به حتى أخبرها
بقول خالد قالت فما قلت لابن الفاعلة قال سبحان الله أينبغي وتشتمينه فخرجت
من عنده وأرسلت الى خالد عبيد الهما وأمرتهم بضربه والتنكيل به قال خالد
وكنت انصرفت الى منزلي مسرورا بما رأيت من استغناء أمير المؤمنين الى

كلامي واعجابه بما القيت اليه وأنا لا اشك في الصلة فلم ألبث ان جاء أولئك العبيد فلما رأيتهم اقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة فوقفوا على وسألوا عني فعرفتهم بنفسي فأهوى الى أحدهم بعمود كان في يده فبادرت الى الدار وأغلقت الباب ومكثت أياما لا أخرج من منزلي وطلبني أمير المؤمنين طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم قد هجموا علي فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت وقلت لم أردم شيخ أضيع من دمي وركبت فلم أصل الى الدار حتى استقبلني عدة رسل فدخلت الى أمير المؤمنين فوجدته جالسا فأومأ الي بالجلوس فشاب الى عقلي فجلست وفي المجلس باب عليه ستور قد أرخيت وخلفه حركة فقال لي يا خالد لم أرك منذ ثلاث قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال انك وصفت لي آخر خلة من أمر النساء والجواري عالم يخرق سمعي قط كلام أحسن منه فأعده علي قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمك ان العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحدا لم يكن عنده امرأتان الا كان في ضرر وتنغيص قال ويحك لم يكن هذا في حديثك قلت نعم يا أمير المؤمنين وأخبرتك ان الثلاث من النساء كأنات في القدر تغلي عليها أبدا وان الاربع شر مجموع لصاحبه يهرمنه ويسقمنه ويضعفنه وان أبكار الاماء رجال ولكن لا خصي لهن قال فقال برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت منك من هذا شيأ قط قال خالد بلى والله يا أمير المؤمنين وعرفتك ان بني مخزوم ريحانة قريش وان عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمع بعينيك الى الاماء والسراري قال فقال ويحك أتكذبني وتكذبني قلت أفتقتلني يا أمير المؤمنين قال فسمعت ضحكا من وراء الستر وقائلا يقول صدقت والله يا عماه بهذا حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك بما لم تنطق به قال خالد فقمت عنهما وتركتهما يتراوضان في أمرهما فما شعرت الا برسل أم سلمة ومعهم المال وتحف وثياب فقالوا لي تقول لك أم سلمة اذا حدثت أمير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا (قال ابن الكردبوس) هي أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي قال وكانت قبله عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان فهلك عنها وغيره ويقول انها كانت عند سلمة بن هشام بن عبد الملك قال فبينما هي يوما جالسة على قبره اذ مر بها السفاح وكان وسيما جميلا فسألت عنه فنسب لها فأرسلت اليه مولاتها تعرض له بخطبتها وأرسلت اليه معها بمال وكان لام سلمة مال عظيم وجوهر كثير فاعتذر أبو العباس لمولاتها بفقره فدفعت اليه

المال

المال الذى وجهت به اليه فقبله وتوجه الى أخيها فخطبها اليه فزوجه اياها وابتنى بها من ليلته ولما دخل عليها وجدها على منصة فصعد اليها فاذا كل عضو منها قد كمل بالجوهر فحاول مواقعتها على تلك الحال فلم تكن به نهضة فازالت الجوهر وغيرت لباسها ودنا منها فلم يستطع على شئ فاستسقه وقالت لا يضرك هذا فلم يزل هذا شأن الرجال ولم يزل طول ليلته يعالجها الى أن واقعها وقد حظيت عنده فغلبت عليه لما صار الامر له (قال) غير ابن الكردبوس ولم تزف له بعد موته فانها تزوجت بعده عمه اسمعيل بن على سرا فكان يأتيها مستخفيا وبلغ خبرها أبا جعفر المنصور فغضب غضبا شديدا وقال وفى لها فى حياته ولم تزف له بعد مماته وأرسل الى اسمعيل يحلف له بطلاق أم موسى ان لم تطلقها الاضربن عنقك فطلقها وأخذ منها أبو جعفر جميع ما صار اليها من أبى العباس من حلى وغيره وقال لو وفيت له لوفينا لك * قالوا ولم يكن أحد أحسن خلقا من أبى العباس اذا خلا مع أهله (قال) بعض موالية لما هدى به ليلة وأنا صغير وهو على سريره مع أم سلمة اذ مر به جاريتان صغيرتان لم أر مثلهما قط قد اختمرتا كما تختمر الجوارى الحرائر فاستدعى بهما وقال لهما اما ام حرائر فقالتا بل اماء قال فما لكما وللخمار قالتا ان ذلك شأننا فى بلادنا وكانت أم سلمة أوصتهما بذلك قصدا ان لا ينظر الى محاسنهما فقال انزعا خماركما فتأبيا عليه فرقا من أم سلمة فأمر بعض الخصيان فنزعها فاذا هما أجمل النساء شعرا وسهولة خد وتمام قد وقد نهدت الثدى فى صدورهما كأنهما حقاق عاج قال فنظر اليهما مليا ثم قال لغلام من خدمه اذهب بهما الى فلان وفلان وقل لهما يتخذاهما لانفسهما ويستوصيا بهما خيرا فانى سائلهما عن حالهما وكان ذلك ارضاء لام سلمة (عبد الملك بن حبيب) فى كتاب آداب النساء قال حدثنى مطرف عن مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه قال كان القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم من أبناء السراري (وقال) التيفاشى فى قادمة الجناح قال الاصمعى كان أهل المدينة يكرهون السراري حتى نشأ فيهم هؤلاء الثلاثة فذاقوا أهل المدينة علما وصلاحا فرغب الناس فى السراري (المبرد فى الكامل) قال وروى عن رجل من قريش لم يسم لنا قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فقال لى يوما من اخوالك فقلت ان أمى فتاة قال فكأنى نقصت من عينه فأمهلت حتى أتى عليه سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم وخرج من عنده فقلت له يا أبا عبد

الله من هذا فقال سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم فقلت من أمه قال فتاة ثم أبي القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم فجلس عنده ثم نهض فقلت له من هذا يا أبا عبد الله فقال ما أعجب أمرك أتجهل مثل هذا من قومك هذا القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم قلت له فمن أمه قال فتاة قال وأتاه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم فقلت له يا أبا عبد الله من هذا قال هذا الذي لا يسع مسلما أن يجهله هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم قلت فمن أمه قال فتاة قال قلت اني رأيتني نقصت من عيني لما علمت اني لام ولد فعالى في هؤلاء أسوة قال فجللت في عيني جدا (قال المبرد) وكانت أم علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما سلافة من ولد يزدجرد معروفة النسب وكانت خيرة وكان يقال لعلي بن الحسين ابن الخيرتين لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس (قال الحضرمي في الزهر) قال هشام بن عبد الملك لزيد بن علي في كلام خاطبه به بلغني انك تريد الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة قال زيد فقد كان اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام ابن أمة وأخوه اسحق ابن حرة فأخرج الله من صلب اسمعيل خير البشر وأخرج من صلب اسحق القردة والخنازير فقال اذا لا ترافي الاحيث تكره وكان من خروجه ما كان (المبرد في الكامل) قال كتب المنصور الى محمد بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم لما كتب اليه محمد واعلم اني لست من أولاد الطلقاء ولا من أولاد اللعناء ولا أعرفت في الاماء ولا حضنتني أمهات الاولاد ولقد علمت ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين فكتب اليه المنصور أما ما ذكرت من ولادة هاشم عليا مرتين وولادة عبد المطلب الحسن مرتين فغير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولا عبد المطلب الا مرة واحدة ولقد علمت انه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فآمن به اثنان أحدهما أبي وكفر بي اثنان أحدهما أبوك وأما ما ذكرت انك لم تعرف في الاماء فقد عرفت على بني هاشم طرا أولهم أبو الهيثم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علي بن الحسين الذي لم يولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله انتهى ما ذكره أبو العباس وكانت أم المنصور التي عرض بها

محمد بن عبد الله فى كتابه اليه مولدة من مولدات البصرة (الجاحظ فى البيان) قال قال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان لو كان رجل من ذهب لكنته قال وكيف ذلك قال لم تلد فى أمة بينى وبين آدم الا هاجر فقال له عبد الملك لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب (يقال) ان أول سرية ولدت ملكا فى الاسلام شاه فريد بنت فيروز بن يزدجرد كان الوليد بن عبد الملك تسرى بها فولدت له ابنه يزيد وهو المعروف بالناقص سمى بذلك لنقصه أعطية الجند وقيل سمى بذلك لطوله وكماله على الضد وهو القائل

أنا ابن عبد الملك بن مروان ❊ وقيصر جدى وجدى خاقان

(قال) ابن السيد فى الاقتضاب ومعنى شاه فريد سيدة البنات وقال غيره ملكة البنات * قال ابن حزم رحمه الله فى نقط العروس ولم يل الخلافة فى الصدر الاول من أمه امة حاشا يزيد وابراهيم ابنى الوليد ولا وليها من بنى العباس من أمه حرة حاشا السفاح والمهدى والامين قال ولم يلها من بنى ابى امية بالاندلس من أمه حرة أصلا انتهى كلام ابن حزم (وقد) أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان مثل هذا من اشراط الساعة فقال فى حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عن امارتها فقال ان تلد الامة ربتها او ان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان (قال) العلماء معنى قوله ان تلد الامة ربتها ان الاسلام يتسع وتكثر السرارى ويستولدهن الملوك وغيرهم من سائر الناس فكأن ابنة السرية وهى الامة ربتها الا ملك لابيها وملك الاب فى التقدير كأنه ملك للولد والله سبحانه وتعالى اعلم (قال) المبرد فى الكامل وأنشد فى الرياشى

ان اولاد السرارى ❊ كثروا يارب فينا
رب ادخلنى بلادا ❊ لا أرى فيها هجينا

وقال سليك بن سلكة وكانت أمه سوداء حبشية

أشاب الرأس أنى كل يوم ❊ أرى لى حالة وسط الرجال
يشق على ان يلقين ضيما ❊ ويعجز عن تخلصهن مالى

(وقال) عبد الله بن الحر وكان لام ولد

فان تك امى من نساء افاءها ❊ حداد القنا والمرهفات الصفائح
فقبلى الفضل الحران لم انل به ❊ كرائم أولاد النساء الصوالح

(أنعذ من قول عنترة)

انى امرؤ من خير عبس منصبا ❊ شطرى واحمى سائرى بالمنصل

(البزار) عن سعيد بن الحر عن سلمة بن كلثوم عن عطاء بن يسار عن سلمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اتخذ من الخدم غير ما ينكح ثم بغين فعليه مثل آثامهن من غير أن ينقص من آثامهن شيأ (قال) عبد الحق في الاحكام لا أعلم لعطاء سماعا من سلمان ولا لقاء ولا رأيت من ذكر ذلك انتهى ما ذكره عبد الحق وسعيد بن الحر الواقع في هذا السند مجهول وسلمة بن كلثوم لا يعرف حاله (عبد الملك بن حبيب) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال جاء عمر رضى الله تعالى عنه الى منزله فرأى امرأة عليها جلباب فرجع ثم جاء الى منزله ثانية ثم رجع حتى فعل ذلك مرارا فلما انصرفت قال لاهله من هذه التي عنتنا منذ اليوم قالوا هي أمة فلان فلما راح عمر قال للنساء لا تتشبه الامة بسيدتها لا تلبسوهن الجلابيب فان الله تعالى يقول يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن (قال) ابن حبيب ولم أر بالمدينة امة تخرج وان كانت رابية الا مكشوفة الرأس لا تلقى جلبابا على رأسها قال ولا بأس ان تصلي الامة كذلك مكشوفة الرأس والمعصم ولا بأس ان تبدي ذلك في غير الصلاة والسراري في هذا وغير السراري بمنزلة واحدة وفرق ابن القطان في كتابه المسمى بالنظر في هذا بين الاماء الحسان المصونات المقصورات الحاملات من الجمال أكثر ما تحمله الحرائر وبين الاماء المتبذلات فمال الى وجوب التستر على من كانت منهن بالصفة الاولى وسقوطه عمن كانت بضد ذلك وحكى عن الحسن البصري رضى الله تعالى عنه انه كان يوجب الخمار على السرية يعني الامة التي اتخذها الرجل لنفسه سواء كانت جميلة أو شوهاء وذكر انه لا وجه لذلك * وأما امهات الاولاد فان حكمهن حكم الحرائر في لباسهن وصلاتهن والله سبحانه وتعالى أعلم

* الباب الثالث عشر في تفصيل الاسنان وما ورد في ذلك من الاستقباح والاستحسان *

(البخاري) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست سنين وادخلت عليه وهي بنت تسع سنين ومكثت عنده تسعا (مسلم) عن عائشة رضى الله تعالى عنها مثل ذلك وفي بعض رواياته تزوجها وهي بنت سبع وزفت اليه وهي بنت تسع ومات صلى الله عليه وسلم عنها وهي بنت ثمان عشرة (قال) المازري

فى المعلم رأيت لابن حنبل انه جعل السبع سنين حد السن الذى يزوج فيه الاولياء البكر اليتيمة اذا رضيت أخذا بحديث عائشة هذا قال ولا معنى لهذا الاخذ الا أن يريد ابن حنبل رضى الله تعالى عنه انه السن الذى تميز فيه و يعتد برضاها أو أراد ان هذا السن قد تحيض فيه بعض الجوارى (قال) عياض فى الاكمال وهذا الحديث اصل فى حد وقت الدخول اذا حصل التشاجر فى ذلك فأوجبت طائفة اجبار بنت تسع على الدخول وهو قول أحمد وأبى عبيد (وقال) مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما حد ذلك أن تطيق الرجل قال الشافعى وتقارب البلوغ (وقال) أبو حنيفة حد ذلك ان تطيق الرجل وان لم تبلغ التسع ولاهلها منع الزوج منها اذا لم تطق ذلك وان بلغت التسع وهو نحو قول مالك (قال) عياض وحكم الزام الزوج فى ضمها والنفقة عليها حكم هذا فحيث يجبر هو على الدخول يجبر هو على الانفاق (قال) الداودى كانت عائشة رضى الله تعالى عنها قد شبت شبابا حسنا (الخطابى) فى غريب الحديث عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابنة سبع وبنى بى وانا ابنة تسع وانى لارتج بين عذقين اذجاءتنى امى فانزلتنى حتى انتهت بى الى الباب وانا أنهج فسكنت على وجهى بشئ من ماء وفرقت جميمة كانت على ودخلت بى على رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أرتج ألعب فى الارجوحة وهو حبل يربطه بين شجرتين فيتعلق به والعذق بفتح العين النخلة (وقولها) انهج بضم الهمزة وفتح الهاء تريد انها قد علاها البهر وقوة النفس (وفى) حديث آخر ذكره الخطابى عنها قالت تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى حوف فاهوالان تزوجنى فالقى على الحياء بالحوف بالحاء المهملة جلد يجعل على هيئة الازار يلبسه الصبيان أرادت عائشة رضى الله تعالى عنها انها كانت من الصبا وحداثة السن فى حال من يلبس هذا اللباس (أبو الفرج فى كتاب النساء) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت بنى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ألعب بالبنات واللعب وكان لى صواحب يلعبن معى فيتمنعن و يستحيين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما رآيته يخرج فيبعثهن الى واحدة واحدة * فى هذا الحديث جواز اتخاذ البنات واباحة لعب الجوارى بهن لرؤيته صلى الله عليه وسلم ذلك واقراره عليه فيكون ذلك تخصيصا لهن من جملة الصور المنهى عن اتخاذها (قال) عياض رحمه الله تعالى فى الاكمال والحكمة فى ذلك تدريب

الجوارى على تربية الاولاد واصلاح شأنهم قبل حصول الاولاد عندهن قال وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن وقد كانت لهن سوق يبعن فيها بالمدينة ورويت عن مالك رضى الله تعالى عنه رواية فى كراهة شرائهن قال وذلك محمول على تنزيه ذوى المروءات عن محاولتهن بالبيع والشراء لا على كراهة اللعب بهن للجوارى وفرقة من العلماء قالوا ان ذلك منسوخ بالنهى عن الصور قال وجمهور العلماء على خلافه (علقمة بن قيس) قال كنت امشى مع عبد الله يعنى ابن مسعود بمنى فلقيه عثمان فقام معه يحدثه فقال له عثمان يا أبا عبد الرحمن ألا نزوجك جارية شابة لعلها تذكرك بعض ما مضى وفى رواية أخرى لعلها ترجع اليك ما كنت تعهده وذكر بقية الحديث (قال) عياض رحمه الله تعالى فيه على دليل ان معظم المطلوب من النكاح الاستمتاع وهو من الشواب امكن وفيهن الملاهن عليه من رونق الشباب ونشاط الصغر وطيب الافواه واظهار الرغبة فى الاستمتاع الذى تنوفر عنه المسان من النساء (أبو الفرج فى كتاب النساء) قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بنت عشر سنين تسمن وتلين وبنت عشرين تسر الناظرين وبنت ثلاثين لذة للعانقين وبنت أربعين ذات رخاوة ولين وبنت خمسين ذات بنات وبنين وبنت ستين عجوز فى الغابرين (الابى فى نثر الدرر) قال قالت امرأة لاخرى ما تقولين فى ابن عشرين قالت ريحانة تشمين قالت فابن ثلاثين قالت شديد الطعن متين قالت فابن أربعين قالت أبو بنات وبنين قالت فابن خمسين قالت صاحب سعال وأنين (الزجاج فى أماليه) قال سأل النعمان بن المنذر ضمرة بن ضمرة عن وصف النساء فأنشده

متى تلق بنت العشر قد نض ثديها * كاؤلؤة الغواص بهتز جيدها
تجد لذة منها لخفة روحها * وعزتها والحسن بعد يزيدها
وصاحبة العشرين لا شئ مثلها * فتلك التى يلهو بها مستفيدها
وبنت الثلاثين الشفاء حديثها * هى العيش ما دقت ولا دق عودها
وان تلق بنت الاربعين فغبطة * وخير نساء ودها وولودها
وصاحبة الخمسين فيها بقية * من الباه واللذات صلب عودها
وصاحبة الستين لا خير عندها * وفيها متاع والحريص يريدها

(قال الزجاج) قال الاخفش لم يقل فى ترتيب أسنان النساء مثل هذا الشعر على ضعفه (قال الزجاج) وأنشدنى أبو عبد الله اليزيدى عن عمه قال أنشدنى محمد

ابن عبد الله بن طاهر لنفسه

مطيات السرور بنات عشر ❊ الى العشرين ثم قف المطايا
فان جاوزتهن فسر قليلا ❊ وقصر فى المسير ولا تمايا
مقاسات النساء مع الليالى ❊ اذا أولدتهن من البلايا

(عطاء بن مصعب) قال كنا بمجلس لنا بالبصرة ومعنا خالد بن صفوان اذ جلس الينا اعرابى من بنى العنبر فتذاكرنا النساء فقال خالد بن صفوان خير النساء التى احتنك سنها واستحكم رأيها وخمص بطنها وعظمت عجيزتها وملأت حضن معانقها فقال الاعرابى دع عنك الذى استحكم رأيها وعليك بها حين أكبت الى ان انهدت غرة لا تدرى ما يراد بها وأنشأ يقول

عليك أبا صفوان ان كنت ناكحا ❊ فتاة أناس ذات اتب وميزر
لها كفل وافٍ وبطن معكن ❊ وأخمص مثل القعب غير مقور

(وفى) معنى قوله غرة لا تدرى ما يراد بها انشد أبو على فى الامالى قال أنشدنا أبو عبد الله نفطويه للمجنون فقال

وعلقت ليلى وهى غر صغيرة ❊ ولم تبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا ❊ الى الآن لم نكبر ولم تكبر البهم

يقال غر للمذكر والمؤنث بلفظ واحد وقد يقال للمؤنث غرة والبهم صغار الضأن

(قال أبو الفرج فى الاغانى) بينا أبو مليكة يؤذن بمكة اذ سمع مغنيا يغنى بهذين البيتين فأصغى اليه ولما أراد أن يقول حى على الصلاة قال حى على البهم فسمعه أهل مكة فاصبح يعتذر اليهم ❊ ونحو من قول المجنون قول جميل فى هذا المعنى

أما تذكرين ليالى الحمى ❊ وأيامنا بلوى الاعصر
وأنت كاؤاة المرزبان ❊ وذيل شبابك لم يعصر
واذ انى كجناح الغراب ❊ تضمخ بالمسك والعنبر
صغيرين منشؤنا واحد ❊ فالى كبرت ولم تكبرى

(وقال نصيب)

ولولا أن يقال صبا نصيب ❊ لقلت بنفسى النشأ الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها ❊ اذا ظلمت فليس لها انتصار

(وأنشد الحضرى فى الزهر لبشار)

عجبت فطمة من نعتى لها ❊ هل يعيد النعت مكفوف البصر
بنت عشر وثلاث قسمت ❊ بين غصن وكثيب وقمر

درة بحرية مكنونة * مازها التاجر من بين الدرر

(قال أبو الفرج فى كتاب النساء) وأضفت الى كلامه هذا زيادات من كلام غيره

* أخلاق النساء فى اختلاف أسنانهن على ضروب *

(فمنهن الكاعب) وهى الحديثة السن وهى التى قد كعب ثديها أى ظهر ومن طباعها الصدق فى كل ما تسئل عنه وقلة الكتمان لما علمته وقلة الستر والحياء وعدم المخالفة من الرجال (ومنهن الناهد) وتسمى المملكة أيضا وهى التى نهد ثديها وفلك أى استدار ولم يتكامل بعد شبابها فتستتر بعض الاستتار وتظهر بعض محاسنها وتحب أن يتأمل ذلك منها (ومنهن المعصر) وهى الممتلئة شبابا التى قد استكمل خلقها وعظم ثدياها فيحدث عندهما دلال وأدب وتحلو ألفاظها ويعذب كلامها وتشتد غلمتها ويقال أيضا فيها معصرة (قال الشاعر)

معصرة أو قد دنا اعصارها * يخل من غلمتها أزارها

(ومنهن العانس) وهى المتوسطة الشباب التى قد تهيأ ثدياها للانكسار فتحسن مشيتها ومنطقها وتبدى محاسنها بغنج ودلال وأحب الاشياء اليها مفاكهة الرجال ومداعبتهم وهى فى هذه الحالة قوية الشهوة مستحكمتها (ومنهن المسلف) وهى المتناهية الشباب ولا شئ أشهى منها للمباضعة ويعجبها المطاولة فى الانزال (ومنهن النصف) وهى التى يأخذ ماء وجهها فى النقص ولحمها فى الاسترخاء وذلك بعد مجاوزة الاربعين وهى التى قال فيها الشاعر

وان أتوك وقالوا انها نصف * فان أحسن نصفيها الذى ذهبا

وتكون ملاطفة الرجال مداراة لهم شديدة الحرص عليهم * وما فوق ذلك فالعجوز التى يجب على العاقل أن يرغب عنها ولا يقرب منها (قال الاصمعى رحمه الله تعالى) خاصم رجل امرأته الى زياد وكانت قد أسنت فاشتد زياد على الرجل فقال الرجل أصلح الله الامير أن خير نصفى عمر الرجل آخرهما يذهب جهله ويثور حلمه ويجتمع رأيه وان شر نصفى عمر المرأة آخرهما يسوء عقلها ويعتد لسانها ويعظم رحمها فحكم له عليها (أبو الفرج فى الاغانى) قال لما أسنت رملة بنت عبد الله بن خلف وكانت ضرة لعائشة بنت طلحة عند عمر بن عبيد الله جعلت تتجنبه فى مثل ايام أقرائها تريه انها فى سن من تحيض فقال الشاعر فى ذلك

جعل الله كل قطرة حيض * قطرت منك فى حمالق عينى

(قال

(قال الزبير) حملت هند بنت أبي عبيدة بموسى بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم ولها ستون سنة قال ولا تحمل لستين الا قرشية ولا تحمل لخمسين الا عربية (قال الخطابي في غريب الحديث) عن ميمونة بنت كردم قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امرأة أراد نكاحها فقال وبقدر أي النساء هي قال قد رأت القتير برأسه الشيب قال دعها ويروى بقرن أي النساء هي يقال فلان على قرن فلان أي على سنه وخرج الحديث أبو داود عن ميمونة وذكر ان السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبوها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أرى أن تتركها (الخطابي أيضا) قال قال عمر لا ينكحن أحدكم الا لمته من النساء ملته خفيفة من كان في سنه كأنه كره للشاب أن يتزوج المسنة وللمسن أن يتزوج الشابة وقد قدمنا الكلام في هذا الاثر في باب قبل هذا (وكيع في مصنفه) عن معروف بن واصل عن محارب بن دثار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكحوا ايامكم والبجز والعقروهو مرسل (أبو الفرج في كتاب النساء) قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضباعة بنت عاقر الى أبيها سلمة بن هشام وقد كان ذكر له عنها جمال فقال حتى أستأمرها فأتاها فأخبرها قالت وماذا قلت له قال قلت حتى استأمرها قالت أوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأمرني ارجع زوجه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم انها قد كبرت فرجع اليه سلمة فعرضها عليه فسكت النبي صلى الله عليه وسلم (قال الاطباء) نكاح البجوز يسم من السموم يضني البدن ويورث الهم والحزن (وقال الشاعر)

لا تنكحن عجوزا ان دعوك لها * وانفض ثيابك عنها نفض محروبا
وان أتوك وقالوا انها نصف * فان أحسن نصفيها الذي ذهبا

ولم يشب أحد من الشعراء بالعجوز الا أبا الاسود الدؤلي فانه قال أنشده أبو تمام في الحماسة

أبا القلب الا أم عمرو وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفند
كسحق يماني قد تقادم عهده * ورقعته ما شئت في العين واليد

يقول هي كالثوب اليماني ذهبت جدته فهو يروق العين مرأى واليد ملمسا (وذكر) عاصم في شرحه للحماسة ان نفرا من صحابة ذي الرمة ارسلت الى القحيف ليشبب بها فقال لا اشبب بعجوز فبرزت له وقد أوت فأخذت بمجامع قلبه ورأى أحسن النساء فقال

لقد ارسلت خرقاء نحوى رسولها * لتجعلنى خرقاء ممن اضلت
وخرقاء لا تزداد الا ملاحة * ولو عمرت تعمير نوح وجلت

(ولابى منصور الثعالبى) فى كتابه المعروف بفقه اللغة فصل فى ترتيب الاسنان وفيه مخالفة لبعض ما تقدم قال هى طفلة ما دامت صغيرة ثم وليدة اذا تحركت ثم كاعب اذا كعبت ثديها ثم ناهد اذا دار ثم معصر اذا ادركت ثم عانس اذا ارتفعت من حد الاعتصار ثم خود اذا توسطت الشباب ثم مسلف اذا جاوزت الاربعين ثم نصف اذا كانت بين الشباب والتعجيز ثم شهلة كهلة اذا عجزت وفيها تماسك ثم حيزبون اذا رجعت عالية السن ناقصة القوة ثم لطلاط اذا انحنى قدما وسقطت اسنانها

﴿الباب الرابع عشر فى الابكار والثيب﴾

(قال) الله تعالى فى وصف نساء الجنة انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا أترابا فامتن سبحانه وتعالى على أهل طاعته بان انشأهن لهم ابكارا لم يعرفن غيرهم كما قال فى آية أخرى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان والطمث الافتضاض ولا يكون الا مع دم فلا يقال فى الثيب طمث كذا قال الفراء ومنه قيل للثيب طامث لاجل الدم وخالفه فى ذلك غيره (البخارى) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكحت يا جابر قلت نعم يا رسول الله قال بكرا أم ثيبا قلت بل ثيبا قال فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك (الخطابى فى غريب الحديث) عن مكحول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالابكار فانهن أعذب افواها وأنتق ارحاما وأغر غرة (قال) انتق ارحاما أى اقبل للولد وأغر غرة اشارة الى تضوع اللون فان الاسنة وطول التعنيس يحيلان اللون وفيه تفسير غير هذا وزاد أبو على فى الامالى وأرضى باليسير قال عبد الملك بن حبيب يعنى باليسير من الجماع (هشام بن عروة) عن أبيه قال قيل لعائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع اذا خلى فى بيته قالت والله ما كان الا بشرا ولكن الله أكرمه وأكرم به والله ان كان ليضع نعله ويرقع ثوبه ويحدث أحاديث الناس ولقد قلت له يوما يا رسول الله لوانك وجدت روضتين فى احداهما شجر ونبات قد رعى وأكل وفى الاخرى شجر ونبات أنف لم يرع فى أيهما كنت مرسلا بعيرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانف الذى لم يرع فقلت يا رسول الله فذلك مثلى ومثل

نسائك كاهن ليس منهن واحدة الا كانت عند غيرك قبلك اختصره البخارى فاخرج بعضه وقال تعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها (قال) الغزالى فى الاحياء فى البكر خواص لا توجد فى الثيب * منها انها لا تحن أبدا الى الزوج الاول فان الطباع مجبولة على الانس بأول مألوف وآكد الحب ما يقع مع المحبوب الاول غالبا * ومنها اقبال الرجل عليها وعدم نفوره عنها فان طبع الانسان ينفر عن التى مسها غيره ويثقل ذلك عليه معما يذكره وبعض الطباع فى هذا أشد نفورا من بعض * ومنها انها ترضى فى الغالب بجميع أحوال الزوج لانها أنست به ولم ترغيره وأما التى اختبرت الرجال وماريست الاحوال فربما لا ترضى ببعض الاوصاف التى تخالف ما ألفته فتقلى الزوج بسبب ذلك (أبو الفرج فى كتاب النساء) عن على رضى الله تعالى عنه قال لا تنسى المرأة باعذرها ولا قاتل بكرها * أبو عذرها هو الذى اقتضها أول مرة فازال عذرها والعذر والعذرة بمعنى وهو البكارة وبكرها أول ولد يولد لها (ابن عبد المؤمن) فى شرح المقامات قال قيل لابرويز وكان حكيما ما لذة ساعة فقال الجماع قيل فما لذة يوم قال الحمام قيل فما لذة جمعة قال النورة قيل فما لذة سنة قال تزوج البكر قيل فما لذة الابد قال اما فى الدنيا فحادثة الاخوان وأما فى الآخرة فنعيم الجنة (صاحب كتاب عقلاء المجانين) قال أراد رجل النكاح فقال لاستشيرن اول من يطلع ثم لاعملن برأيه وكان أول من طلع عليه هبنقة القيسى وهو راكب على قصبة فقال له انى أردت النكاح فما تشير على قال البكر لك والثيب عليك وذات الولد لا تقربها واحذر جوادى ان يرتحك (ولابى) محمد الحريرى رحمه الله تعالى فى احدى مقاماته فصل فى تفضيل البكر على الثيب قال فيه أما البكر فالدرة المخزونة والبيضة المكنونة والثمرة الياكورة والسلافة المدخورة والروضة الانف والطوق الذى ثمن وشرف لم يدنسها الامس ولا استغشاها الابس ولا مارسها عابث ولا اوكسها طامث ولها الوجه الحيى والطرف الخفى واللسان العيى والقلب النقى ثم هى الدمية الملاعبة واللعبة المداعبة والغزالة المغازلة والملحة الكاملة والوشاح الطاهر القسيب والضجيع الذى يشب ولا يشيب (وله) فصل فى ضد ذلك قال وهى المهرة الابية العنان والمطية البطيئة الاذعان والزبدة المتعسرة الاقتداح والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم ان مؤنتها كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها سلفة وذاتها مكلفة ويدها خرقاء وفتنتها عمياء وعريكتها خشناء وليلتها

ليلاه وفي رياضتها اعناء وعلى خبرتها اغشاء وطالما أخرت المنازل وفركت
المغازل واحتفت الهازل واضرعت الفتيق البازل ثم انها التي تقول
أنا البس واجلس فأطلب من يطلق ويحبس (وفصل له) في المقامة المذكور
في تفضيل الشيب تقول فيه أما الشيب فالمطية المذللة واللهنة المجللة والبغية
المسهلة والطية المعللة والقرينة المحببة والخليلة المقربة والصناع المدبرة
والفطنة المختبرة ثم انها عجالة الراكب وانشوطة الخاطب وقعدة العاجز
ونهزة المبارز عريكتها لينة وغفلتها هينة ودخلتها متينة وخدمتها
مزينة (وله فصل) في ضد ذلك قال هي فضالة المآكل وقمالة النهل واللباس
المستبذل والوعاء المستعمل والذواقة المستظرفة والخراجة المتصرفة
والوقاح المتسلطة والمحنكرة المتسخطة ثم كلتها كنت وصرت وطالما
بغى على فنصرت وشتان بين اليوم وأمس وهيهات القمر من الشمس وان
كانت الحنانة البروك والطماحة الهلوك فهي الغل القمل والجرح
الذي لا يندمل (قوله) في البكر ثم ان مؤنتها كثيرة ومعونتها يسيرة وفي الشيب
هي عجالة الراكب وانشوطة الخاطب اشارة الى قول عمر رضي الله تعالى عنه
البكر كالبرة تطحن ثم تعجن ثم تخبز ثم تؤكل والثيب عجالة الراكب تمر وسويق
يشير بذلك الى سهولة أمر الثيب وان البكر تحتاج في تزوجها والبناء بها الى
كلف شديدة * وكانت العرب يمر بها الراكب المستعجل فتعرض عليه النزول
للقرى فيمتنع لعجلته فتخرج له ما استيسر فيأكله وهو راكب فذلك هو عجالة
الراكب * وعلى قوله أما الشيب فالمطية المذللة حكى أبو الفرج في الاغاني قال
كانت فضل الشاعرة لرجل من النخاسين فاشتراها منه محمد بن الفرج واهداها
الى المتوكل وكانت برزة تجلس للرجال وتتحدث مع الشعراء فقال لها يوما أبو
دلف القاسم بن عيسى يعرض لها بان المتوكل انما اشتراها وهي ثيب

قالوا عشقت صغيرة فاجبتهم * اشهى المطى الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

(فاجابته)

ان المطية لا يلذ ركوبها * مالم تذال بالذمام وتركب
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف للنظام بمثقب

(ولعبد الله بن قيس في معنى بيتي أبي دلف)

حبذا الحج والثريا ومن بالخيف من أهلها وملقى الرجال

درة من عقايل البحر بكر * لم يشنها مشاقب للآلى

(الجوزى فى الاذكياء) قال عرضت على المتوكل جارية فقال لما أبكرانت ام ايش فقالت ايش يا أمير المؤمنين فضحك منها واشتراها (وذكر) فى الكتاب المذكور قال نظر اياس بن معاوية المشهور بالفطنة والالمعية الى جوار ثلاث فقال اما هذه فبكر واما هذه فثيب فتأمل وأما هذه فثيب فنظرن فوجدن كذلك فسئل من اين علم ذلك فقال انى رأيتهن فزعن من شئ فوضعت كل واحدة منهن يدها على اهم المواضع عندها فاما احداهن فوضعت يدها على فرجها فعلمت انها بكر وأما الاخرى فوضعت يدها على بطنها فعلمت انها حامل وأما الاخرى فوضعت يدها على ثديها فعلمت انها مرضع (وذكر فى كتاب المغفلين) قال اشترى رجل جارية على انها بكر وحملها الى منزله فذكر له نساؤه انها ثيب فانقسم فيها مع البائع فأمر القاضى ان توضع عند أمين الى ان يكشف القوابل أمرها فاودعت عند امام المسجد فلما أصبح الامام وصل الى القاضى وهو يتأوه ويقول ذهبت الامانة من الناس فسأله القاضى عن قضيته فقال ان مشترى الجارية قد اطلع أن الى بائعها وأخذها منه على انها بكر فخدعه فيها وخانه وانى قد جربتها البارحة فوجدتها ثيبا واسعة فمن ذا الذى يوثق به ومن ذا الذى يركن اليه (ابن الحصين فى تاريخه) قال رأى القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب جارية فعشقها ولم يزل يسعى فى تملكها الى أن اشتراها فلما هيأت له وعزم على افتضاضها وكانت بكرا ادركها الحيض فاعلمته بذلك فكف عنها وأعلم بذلك ابا اسحق الزجاج النحوى وطلب منه ان ينظم فى ذلك شعرا فقال أبو اسحق

فارس ماض بحربته * درب بالطعن فى الظلم

رام ان يدمى فريسته * فاتقته منه بدم

(ومن غير تاريخ ابن الحصين) اتفق مثل هذه القضية للمأمون ليلة بنائه ببوران أراد افتضاضها فرأت دم الحيض فقالت له أتى أمر الله فلا تستعجلوه فكف عنها (الجاحظ فى البيان) قال تزوج معاوية بن مروان بن الحكم بعض بنات الاشراف وكانت بكرا فافتضها فلما أصبح قال لابيها على رؤس الاشهاد ما أرتنا ابنتك البارحة دما فاستحيا وقال انها من نساء يخبأ ان ذلك لازواجهن (معاوية هذا) هو شقيق عبد الملك أمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة وكان يحمق وهو الذى رأى جرسا على بعض دواب الطحن فسأل رب الدابة عن ذلك فقال

ربما ادركتني نعسة فاذا لم أسمع صوت الجرس علمت انها قد وقفت فصحت بها قال فان وقفت وحركت رأسها هكذا وهكذا وجعل معاوية يحرك رأسه يمينا ويسرة فقال ومن لدابتي بمثل عقل الامير (أبو الفرج في الاغاني) عن محمد بن الفضل السكوني قال تزوج حماد عجرد امرأة بكرا فدخلنا اليه صبيحة بنائه لنسأله عن خبره فأنشدنا

قد فتحت الحصن بعد امتناع * بمنجنيق فاتح للقلاع
ظفرت كفي بتفريق شمل * جاءنا تفريقه باجتماع
انما يلتئم الشمل منا * حين نرمي شمله بانصداع

حماد عجرد هذا هو حماد بن عمرو بن كليب مولى لبني عامر بن صعصعة مخضرم أدرك الدولتين وكان خليعا ماجنا متهما في دينه والعجرد في اللغة التعري من الثياب (ابن بسام في الذخيرة) قال تأخر الوزير عبد الملك بن مروان بن شهيد عن المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته فلما عاد المنصور من غزوته وقد افتتح وسبا كتب اليه ابن شهيد يطلب منه جارية من السبي

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا * وبنفسي أقيك كل الرزايا
ورسول الاله اسهم في الفي * ء لمن لم يحث فيه المطايا

فبعث اليه ابن أبي عامر بأربع من الجواري ابكار وكتب اليه

قد بعثنا بها كشمس النهار * في ثلاث من المها ابكار
فانشدوا جهد فانك شيخ * قد جلا الليل عن بياض النهار
صانك الله عن كلالك فيها * فن العار كلة المسمار

قال فافتضهن الشيخ من ليلته وكتب اليه صبيحة يومه فقال

قد قضينا ختام ذاك السوار * واصطبغنا من الخميع الجاري
وصبونا في ظل أطيب عيش * ولعبنا بالدر أو بالدراري
وقضى الشيخ ما قضى بحسام * ذي مضاء عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا * واتخذه خلا على الكفار

(صاعد في الفصوص) عن أبي زياد الكلابي قال كان عندنا شيخ يعرف بابي غريب وكان أنس اليه فتزوج بكرا ولم يدخل فاجتمعنا على بابه وصحنا

أولم ولو ببربوع * قتلتنا من الجوع

فاولم واجتمعنا عنده فلما أصبح من عرسه غدونا عليه فنادينا ياليت شعري عن أبي غريب * اذبات في مجاسد وطيب

معانقا للـــرشا الرتيب * أأحمد المختار فى القليب
ام كان نخوانا نأس القضيب

قال نفرج الينا وهو يقول نأس القضيب والله * نأس ينؤس اذا اضطرب واسترخى (وأنشد الحصرى) فى كتاب الزهر والنور لابن المعتز فى هذا المعنى

تظل الشمس ترمقنا بطرف * خفى لحظه من تحت ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يحاول فتق بكر

(وقال) ابراهيم بن على بن هرمة فيما له تعلق بهذا الباب

أبو ثابت يتشهى المديح * ويرغب عن صلة المادح
كبكر تحب لذيذ النكاح * وترهب من صولة الناكح

(وقد ذكر ابن هرمة هذا المعنى فى قوله)

فأنت والمدح كالعذراء يجفلها * مس الرجال ويثنى قلبها الفرق

(قال أبو الفرج فى الاغانى) قال أبو العباس بن الوليد ما بال الشعراء تمدح أهل بيتى ولا تمدحنى وكان أبو العباس بخيلا لا يحب ان يعطى أحدا شيأ فبلغ قوله ابن هرمة وكان مدحه فلم يثبه فقال هذا البيت من جملة أبيات يعرض به (ومن) بيت ابن هرمة أخذ مهيار قوله

يشتهون المال أن يبقى لهم * فلماذا يشتهون المدحا

(الباب الخامس عشر فى السمن والضمور)

(قال مصعب بن الزبير) النساء فرش فاطيبها أوثرها وكان يقول استأثروا فى فرشكم (ابن شبرمة) ما رأيت لباسا على الرجل أزين من فصاحة ولا رأيت لباسا على امرأة أزين من شحم (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) أرادت أمى تسمننى لدخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أقبل على شئ مما تريده حتى أطعمتنى القثاء بالرطب فسمنت عليه كاحسن السمن (أبو سلمة بن عبد الرحمن) عن عائشة رضى الله عنها قالت تسابقت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأنا جويرية فسبقته فلما حملت اللحم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى أسابقك فقلت وكيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال قال لابد فسابقته فسبقنى فقال هذه بتلك (قال الاصمعى) سئل امرؤ القيس ما أطيب للذات الدنيا قال

بيضاء رعبوبة * بالحسن مكبوبة
بالشحم مكروبة * بالطيب مشبوبة

(أبو الريحان فى كتاب الجماهر) قال كانت عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية عند هشام بن عبد الملك وكانت مفرطة السمن لا تستغنى فى القيام عن الاستعانة بثلاث او أربع من الجوارى فاهديت الى هشام يوما الدرة اليتيمة المتوارثة وكان وزنها فيما يقال ثلاثة مثاقيل وكانت قد حازت جميع الصفات المستحسنة من الصفاء والنقاء والاستدارة فقال لعبدة ان قمت بنفسك من غير استعانة باحد فهى لك فحاولت القيام بشدة ومشقة وماتم نهوضها حتى خرت على وجهها وسال الدم من انفها وقام هشام يغسل ما أصابها من الدم وأعطاها الدرة فبقيت عندها الى أن أخذها منها عبد الله بن على بعد انقضاء دولة بنى أمية وقتلها بسببها خوف ان تتم به السفاح (قال أبو ياسر) فى رسالته المعروفة برسالة الطيب وكان عبد الله بن على غير راغب فى النساء ولكنه لما رأى عبدة رأى جمالا رائعا وحسنا بارعا فيقال انه هم منها بشئ الله أعلم به فامتنعت فطلب منها التزويج فأبت فكان ذلك من أكبر الدواعى له على قتلها خوفا ان تعلم السفاح بشئ مما جرى بينهما قال وفى عبدة يقول الشاعر وهو عمر بن أبى ربيعة

أعبدة ما ينسى تذكرك القلب * ولا عنك تسليه رخاء ولا كرب

وعبدة بيضاء الترائب طفلة * منعمة تصبى الحليم ولا تصبو

(أبو الفرج فى الاغانى) عن أبى بردة عن أبى موسى قال وجهنى الحجاج لاخطب له هند ابنت اسمعيل بن خارجة فلما خطبتها من أبيها ازوجها منه وكانت حاضرة قامت مبادرة وعليها مطرف خز اسود فوالله لرأيته بين ظهرها وعجيزتها ولم تستقل قائمة حتى انثنت ومالت لاحد شقيها من شحمها فعرفت الحجاج بذلك فوجه اليها بثلاثين غلاما مع كل غلام عشرة آلاف درهم وثلاثين جارية مع كل جارية تخت ثياب وقال انى أكره أن أبيت خلوا ولى زوجة فقالت وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها صداقها وكرامتها ثم أصلحت من شأنها وأتت من ليلتها (قال المدائنى) بلغنى عن المرأة التى تولت زفها اليه انها قالت دخلنا على الحجاج وهو فى بيت عظيم فى أقصاه ستارة وهو دون الستارة على فراشه فلما دخلت عليه سلمت فأومأ الى بقضيب كان فى يده فجلست عند رجليه ومكث ساعة لا يتكلم ونحن وقوف فضربت بيدها على فخذه وقالت ليس هذا موضع سوء الخلق فتبسم وأقبل عليها واستوى جالسا فدعونا له وارخينا الستور عليها (قال أبو عبيدة) دخل مالك بن الحرث الاشتر

على عـلى رضى الله تعالى عنه صيحة بنائه على بعض نسائه فقال كيف وجد أمير المؤمنين أهـله فقال نكـح امرأة لولا أنها قيساء جـداء قال وهـل يريد الرجال من النساء الا ذاك يا أمير المؤمنين قال كلا حتى تدفئ الضجيع وتروى الرضيع ✽ القيساء الضامرة اللطيفة الكشحين والجـداء الصـغيرة الثـديين فهـذا يدل على استحسان على رضى الله تعالى عنه لضخم المرأة وشحمها ويدل عـلى استحسانه أيضا الكبر الذى وسيأتى من ذلك ما نقف عليه فى بابه ان شاء الله تعالى (أبو الفرج فى الاغانى) قال دخل عقال بن شبة المحاشعى على المهدى فقال له يا أبا الشيصبان أى النساء أحب اليك التى جدلت جـدل الضأن واهـتزت اهـتزاز البان ام التى بدنت فعظمت وكملت فتمت فقال يا أمير المؤمنين أحبهن الى ما وصف أبو جبيلة فانه كان له جارية صغيرة لطيفة وهبها له عمك أبو العباس السفاح فـكان اذا غشيها اصغرت عنه وقلت تحته فقال

انى وجدت المركب الزونكا ✽ غـير منيـك فابغنى منيكا
شـيأ اذا حركته تحركا

فوهب له المهـدى جارية كاملة فلما أصبح عقال غدا على المهدى متشـكرا فخرج اليه وهو يضحك فقال له مم تضحك يا أمير المؤمنين أدام الله سرورك فقال يا أبا الشيصبان انى اغتسلت الآن من شئ اذا حركته تحرك وذكرت قولك فضحكت الزونك بالزاى والواو مفتوحين والنون مشـددة الذميم الحقير (قال صاحب الصحاح) وربما قيل فيه زونزك بسكون النون وتكرير الزاى ✽ قال أبو الفرج فى كتاب النساء اكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة النقد يقدمون المجدولة التى تكون بين السمينة والمشوقة ولابد أن تكون كاسية العظام ولذلك قالوا كأنها غصن بان وقضيب خيزران وجدل عنان ✽ قال والتثنى فى مشى المرأة أحسن ما فيها ولا يمكن ذلك مع السمن (قال) وقد تخلص أبو نواس هذه الصفة فاحسن انشاءه بقوله

فوق القصيرة والطويلة فوقها ✽ دون السمين ودونها المعزول

(وقال قيس بن الحطيم)

بين شكول النساء خلقتها ✽ قصد فلا جبلة ولا قضف

الجبلة بكسر الجيم المرأة الضخمة وبعض اللغويين يقولها بفتح الجيم والقضف بفتح الضاد المجمة المهزولة (قال) الرقاشى السمن فى النساء غلمة وفى الرجال

عقلة (ويحكى) عن الحسن البصرى انه قال لاتسمنوا نساءكم فان كنتم ولابد فاعلين فاحفظوهن وهو معنى قول الرقاشى (قال الجاحظ) كان أبو معمر بن هلال يقول عذرت الطويل الابرفى ان يشتهى السمينة ولكن ما أعذر الصغير الابرفى ذلك (وقال) الفرزدق يفضل زوجة حمدراء بنت رفق ابن بسطام على زوجة النوار وكانت حمدراء عربية هيفاء مجدولة وكانت النوار حضرية جسيمة فقال

لعمرى لاعرابية فى مظلة * تظل بروقى بيتها الريح تخفق
كأم غزال او كدرة غائص * تكاد اذا مرت لها الارض تشرق
احب الينا من ضنك ضفنة * اذا وضعت عنها المراويح تعرق

الضنك بكسر الضاد وقد تقدم المفرطة السمن وكذلك الضفنة بكسر الضاد (قال) أبو منصور الثعالبى فى كتاب فقه اللغة له ان كانت المرأة ضخمة وعلى اعتدال فهى زمعلة فاذا زاد ضخمها ولم تقبح فهى سجلة فاذا دخل فى حد مايكره فهى مفاضة وضنك فاذا أفرط ضخمها مع استرخاء شحمها فهى عفضاج (وقال) غيره يقال امرأة سمينة وقد سمنت تسمن بالضم فيهما وسمنت بالكسر تسمن بالفتح اذا ضخمت من الشحم فاذا زادت قليلا فهى رضراضة فاذا زادت فهى خدبجة فاذا امتلأت سمنا فهى عركركة فاذا تناهت فى السمن فهى عضنكة وضفنة وبالله تعالى التوفيق

﴿ الباب السادس عشر فى الالوان ﴿ وفيه ثلاثة فصول ﴿

﴿ فصل فى البياض ﴿ قالت عائشة رضى الله تعالى عنها البياض نصف الحسن وقالت لاناس من بنى تميم بلغنى انكم تعالجون الرقيق فما أخطأكم من شئ فلا يخطئنكم البياض والطول فانهما يغتفران الحسن اغتفارا ﴿ يغتفرانه أى يضمانه ويجمعانه (وقال) المؤمل بن اميل

شهد المؤمل يوم يلقى ربه * ان البياض طراز كل جمال

(وجاء) فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أبيض اللون مشربا حمرة بذلك وصفه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه (وقال) انس رضى الله تعالى عنه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابيض الامهق ولا بالآدم الابيض الامهق الشديد البياض الذى لاحمرة فيه يقول لم يكن كذلك (وفى) حديث عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة

خرجه الترمذي في الشمائل ولا معارضة بينه وبين وصف علي له صلى الله عليه وسلم بالحمرة لان الحمرة كانت في وجهه صلى الله عليه وسلم وأنس انما وصف جسده (قال أبو الفرج في كتاب النساء) يمازج البياض لونان يزيدانه حسنا الحمرة والصفرة * فاما الحمرة فتعتري البياض من رقة اللون وصحة الدم قال البكري في اللآلئ العرب تسمي النساء الحسان الحمر * ومنه قول جرير وقد سئل عن الاخطل فقال هو أوصفنا للخمر والحمر يعني حسان النساء (وقيل) لاعرابي تمن فقال حمراء مكسال من بنات الاقيال قال وأصل ذلك من اللون وظهور الدم في الوجه فانه يزيد البياض حسنا قال سيبويه ولما كثر استعماله لهذه الصفة في النساء لزمت فصارت كالاسم (قال) البكري ومن شبه المرأة بالنار فانما أشار الى هذا المعنى قال وقولهم في المثل الحسن أحمر وهو من هذا الباب (وقال الشاعر)

هجان عليها حمرة في بياضها * يروق بها العينين والحسن أحمر

(وقال بشار)

واذا خرجت تقنعي * بالحسن ان الحسن احمر

(وقد) قيل في المثل غير ماذكره البكري وأن الحمرة كناية عن الشدة والجهد أي من طلب الحسن صبر على الشدائد والمشاق وتقدم في باب الزينة شئ من هذا (رجعنا الى كلام أبي الفرج) قال وأما الصفرة فتعتري البيض لاستتارهن وملازمتهن المكن والنعمة والخفض والدعة وتعتريهن أيضا الملازمتهن التضمخ بالطيب * ويصدق هذا الذي ذكره أبو الفرج قول الشاعر

وما تعشقت من بيضاء حالية * كالعاج صفرها الا كنان والطيب

(قال أبو الفرج) ويقال ان المرأة اذا كانت عتيقة الحسن ناعمة البدن فان لونها يكون من أول النهار الى ابتداء العشية يضرب الى الحمرة ومن ابتداء العشية الى آخر النهار يضرب الى الصفرة ولذلك قال الاعشى

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرارة

(وقال الآخر)

قد علمت بيضاء صفراء الاصل * أني ساغنى اليوم ما اغنى رجل

ومعنى هذا الذي ذكره أبو الفرج ان المرأة الرقيقة البشرة والصافية اللون تتلون بتلون الهواء والهواء عند الطفل يصفر باصفرار الشمس ويتوضح بالغداة لبياضها وهذا كله مبالغة في وصف المرأة بالصفاء والنعمة وليس شئ

منه على الحقيقة على انه قد قيل فى بيت الاعشى والرجز الذى بعده انه أراد انها تمسى رادعة وتغتسل بالغداة فتبيض ضحوتها لاجل ذلك (وأنشد أبو الفرج) فى استحسان لون الصفرة لذى الزمة

بيضاء فى دعج صفراء فى نفج * كانها فضة قد مسها الذهب

(وقال قيس بن الحطيم)

هيفاء مثل الشمس عند طلوعها * فى الحسن او كدنوها الغروب

(وقال آخر)

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

(وقال أبو زبيد)

أشربت لون صفرة فى بياض * وهى فى ذاك لدنة غيداء

(وقال بشار)

بانت بقلبى صفراء رادعة * صبت عليها من حسنها فتنا

كانها روضة منورة * تجمع طيبا ومنظرا حسنا

فهذا قد أخبر ان صفرتها انما هى لاجل الطيب على ان فى البيت محتملا لغير ذلك (قال) أبو الفرج ومن شبه المرأة بالبيضة فانما أراد الصفرة التى فيها وقد جاء ذلك فى كتاب الله عز وجل يريد قوله سبحانه وتعالى كانهن بيض مكنون (قال) وقول امرئ القيس

كبكر مقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير المحلل

يجوز فيه ان يكون البكر كناية عن البيضة ويجوز ان يكون كناية عن الدرة

﴿فصل فى السمرة﴾

(أبو على) فى الامالى عن بهدل الزبيرى قال أتى رجل ابنة الحسن يستشيرها فى امرأة يتزوجها فقالت انظر هل مكاء جسية أو بيضاء وسية فى بيت جد أو فى بيت حد قال أبو على والمكاء ههنا السمراء والمكة السمرة (وذكر) هذا الخبر أبو الفرج فى الاغانى على غير هذا فقال قال غيلان بن سلمة لبنيه حين احتضر يا بنى عليكم ببيوتات العرب فانها مدارج الكرم وعليكم بكل رمكاء ركينة أو بيضاء عرزينة فى بيت جد أو بيت حد يريد بقوله فى بيت جد او بيت حد أنها اذا كانت فى بيت جد بالجيم فقد جمعت الى شرفها الثروة وان كانت فى بيت حد بالحاء كانت أرضى باليسير واقنع بالبلغة وادنى الى الاستحداء

والالفة

والالفة * وغيلان بن سلمة هذا هو أبو بادنة ابنة غيلان التي يأتي ذكرها في الباب السابع عشر بعد هذا ان شاء الله تعالى (وقال) أعرابي وذكر امرأة:

من السمر اللدان اذا اسبكرت * وصرف الموت في السمر اللدان
شبيهات الرماح قيامتون * وكلما في القلوب بلا سنان

(وقال مسكين الدارمي)

انا مسكين لمن يعرفني * لونى السمرة الوان العرب

(وجاء) في الاثر عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال من تزوج امرأة سمراء ثم طلقها فعلى مهرها وذلك منه رضي الله تعالى عنه مبالغة في محبة البياض وكراهة السمرة وقد تقدم في الفصل السابق وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالبياض (وجاء) في حديث يرويه خالد بن عبد الله عن حميد عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمر اللون (قال) الخطابي في غريب الحديث تفرد به خالد عن حميد والمعروف من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض كما تقدم (قال) وقد يمكن ان يجمع بين الحديثين بان تكون السمرة فيما يبرز للشمس من بدنه صلى الله عليه وسلم والبياض فيما توارى به الثياب (قال) ويوضح ذلك قول ابن أبي هالة في وصفه عليه الصلاة والسلام انور المتجرد (قال) وأيضا قد تقدم في الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان أبيض مشربا يعني بحمرة قال والحمرة اذا أشبعت حكت السمرة فيمكن ان يكون وصفه بالسمرة اشارة الى هذا المعنى (وقال) غير الخطابي انما كان في بعض الاوقات دون بعض لانه صلى الله عليه وسلم قد يقابل الشمس في الاسفار وغيرها فيعتري وجهه وجسمه صلى الله عليه وسلم سمرة ثم تذهب وقد استوفينا الكلام على هذا في كتابنا الوفاء في شرح الشفاء (وقال بعض المتأخرين)

وسمراء باهى كلفة البدر وجهها * اذا لاح في ليل من الشعر الجعدى
شحيحة من حبة القلب لونها * ولينتها للمسك والعنبر الوردى

(وأنشد ابن بسام في الذخيرة)

قد قضيب وبدر يجور * وغزير ولحظ يعقور
نازل قلبي وأي مصطبر * بين بتلك اللواحظ الحور
كانما نوره وسمرته * مسك مشوب بذوب كافور

من قول الآخر

انما السمرة فيه * ذوب كافور بمسك

(فصل فى السواد) ليس للنساء السود من الصفات المستحسنة مما يتميزن به الا نقاء الثغور وحرارة الفروج والصفات المذمومة عليهن مع ذلك غالبة من تشقق الاطراف والشفاه وخشانة الابدان وصغر الفروج ونتن العرق وشراسة الاخلاق ويقال ان سودغانة سالمات من هذه الصفات المذمومة كلها (قال) الشاعر المكفوف لما اشتهر قولى

حب سود النساء من لذة العيـ ـش على انه من حياة القلوب
مشبهات الشباب والمسك تفديهن نفسى من طارقات الخطوب
كيف يهوى الفتى اللبيب وصال الـ ـبيض والبيض مشبهات المشيب

لقيتنى امرأة فقالت لى أنت الذى أعمى الله بصيرتك كما أعمى بصرك قلت وما ذاك قالت ألست القائل وأنشدتنى الابيات (واخذ ابن رشيق معنى أبياته هذه فقال)

دعابك الحسن فاستجبى * يا مسك فى صبغة وطيب
تيهى على البيض واستطيلى * تيه شباب على مشيب
ولا يروعنك اسودادلون * كقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد * فى أعين الناس والقلوب

(والسابق لهذا أبو حفص الشطرنجى بقوله)

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعدة
لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحدة

(وللعباس بن الاحنف وكان معاصراله)

احب النساء السود من أجل بكتم * ومن أجلها أحببت من كان أسودا
فهى بمثل المسك أطيب نكهة * وهى بمثل الليل أطيب مرقدا

أخذ العباس بيته الاول من قول الاعرابى

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وانشد الجاحظ)

وان سواد العين فى العين نورها * ومالبياض العين نور فيعلما

اخذه ابو الطيب فقال يمدح كافورا

فجاءت به انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها وأماقيا

(وقال الشريف الرضى)

أحبك يا لون الشباب فانى * رأيتك كما فى العين والقلب توأما

سواد بود البدر لو كان رقعة ❊ بجبهته أوشق فى وجهه فما
سكنت سواد القلب اذ كنت مثله ❊ فلم أدر من عز من القلب منكما
وما كان سهم العين لولا سواده ❊ ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى القلبى فلا تلم ❊ جنونى عن القلبى الذى كله لمى

(أخذه بعض المحدثين فقال)

يكون الخال فى خد مليح ❊ فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف بلام معشوق على من ❊ يراها كلها فى العين خالا

وكرر هذا المعنى أيضا فى قوله

لام العواذل فى سواد عذاره ❊ كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا ❊ أنى أهيم بشخص كله خال

(وللرضى فى معنى قطعته الاولى)

لاموا ولو وجدوا وجدى لقد عذروا ❊ وذنب من لام ذنب غير مغتفر
لما تمادوا على عذلى أجبتهم ❊ بعزم معترف لاذل معتذر ❊
أهوى السواد برأسى ثم أمقته ❊ فكيف يختلف اللونان فى نظرى
تأتى طلائع بيض ذر شارقها ❊ فى عارضى ان يكون البيض من وطرى
انى علقت سواد اللون بعدكم ❊ علاقة تشمت الظلماء بالقمر
لو لم يكن فوق لون البيض مارقت ❊ صبغ الغوالى على الاجياد والعذر
والليل استر للخالى بلذته ❊ والصبح أفضح للسارى على غرر
وللفتى فى ضلال الليل معذرة ❊ وماله فى الضحى ان ضل من عذر
وكيف يذهب عن قلبى وعن بصرى ❊ من كان مثل سواد القلب والبصر

وقد تقدم التنبيه على هذه المعانى ❊ ولمحمد بن يونس بن محمد بن عبد الرحمن بن يونس المنتاتى ممن تقدم عصرنا قليلا فى سوداء تسمى درة وهو أحسن ما أنشدنا أشياخنا عنه

يارب سوداء تسمى درة ❊ ومن العجائب درة سوداء
سوداء ليل الوصل منها أبيض ❊ ومن العجائب ليلة بيضاء

(كانت) عند أبى الفضل الهاشمى سوداء وكان يحبها حبا شديدا فطلب من ابن الرومى أن يذكرها فى شعره ويستغرق أوصافها الباطنة والظاهرة فقال من قصيدة طويلة

اكسبها الحسن انها صبغت ❊ صبغة حب القلوب والحدق

وفضل مافضل السواد به * والحق ذو سلم وذو نفق
أن لا يعيب السواد حلكته * وقد يعاب البياض بالبهق

(ولما) كان الغالب من صفات السودان ماذكرناه قبل هذا من تشقق الاطراف والشفاه ونتن العرق نفى ذلك عنها بقوله

ليست من الغبش الاكف ولا الـ * ـفلج الشفاه الخبائث العرق

ثم تعرض لذكر صفات السودان المحمودة التى قدمنا ذكرها وهى نقاء الثغور وحرارة الفروج فقال

يفتر ذاك السواد عن يقق * من ثغرها كاللآلى النسق
كأنها والمزاح يضحكها * ليل تغرى دجاه عن فلق
غصن من الابنوس ركب فى * ميزر معجب ومنقطق
يهتز من ناهديه فى غدر * ومن دواجى ذاره فى ورق
لها حرتستعير وقدته * من قلب صب وصدر ذى حنق
كأنما حره لذائقه * ما ألهبته حشاه من حرق

وأراد امتثال طريقة النابغة فى تحرزه حين وصف المتجردة بقوله زعم الهمام فقال

وصفت فيها الذى هويت على الوهـ * ـم ولو اختبر ولم أذق
الا باخبارك التى وقعت * منك الينا عن طيبة العرق
اخلق بها أن تقوم عن ذكر * كالسيف يفرى مضاعف الحلق
أن جفون السيوف أكثرها * أسود والحق غير مختلق

(قال) صاحب الزهر فامتثل أبو الفضل الهاشمى ما أشار به ابن الرومى عليه وأولدها فانجبت (أخذ) بيت ابن الرومى الذى أوله غصن من الابنوس وبيت العباس بن الاحنف الذى قدمنا انشاده بعضهم فقال

غصن من الابنوس أبدى * من مسك دارين لى ثمارا
ليل نعيم أظل فيه * للطيب لا أشتهى نهارا

(وفى) الاشارة الى شدة حرارة فروجهن يقول سكرة الشاعر الهاشمى

وسوداء بورك فى بضعها * ولا نال بؤسا فما أضيقا
نزوت عليها ولا علم لى * بأن لها كعثبا محرقا
فكدت من الحر أن انشوى * ومن شدة الضيق ان أحنقا

(وقال الخفاجى فى مثل ذلك)

تجردت عن غسق * وابتسمت عن فلق

وأمكنت من فلقتى * ملتهب محترق
ثم انثنت تعثرنى * فضلة برد شرق
كما تولت ليلة * تسحب ذيل الشفق

(عبد الملك بن حبيب) فى كتاب آداب النساء له قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وفى حديث آخر أمة سوداء ذات دين خير من حسناء لا دين لها * وذكر الحديث الاول الغزالى فى الاحياء وحسبك بهذين الحديثين ذما للون السواد وعد بعضهم هذا فى تصحيف المحدثين وقال انما الحديث سوداء ولوءوبهمزة عوض الدال قال والسوداء القبيحة والذى قال يمكن ان تثبت الرواية به وما أقرب أن يكون القائل هذا هو المصحف

(أبو أمية الثقفى) عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وإياكم والزنج فانه خلق مشوه أبو أمية ضعيف (عبد الملك بن حبيب) عن عبد الرحمن بن موسى عن خلف بن ياسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرك فى نسبه السودان قال عبد الحق هذا حديث مرسل ضعيف جدا وقد قدمنا فى الباب الرابع عن موسى الكاظم خبرا يحسن ذكره هنا

* (الباب السابع عشر فى الطول والقصر) *

(قال خالد بن صفوان) الطول عماد الجمال وقال قيس بن زهير عليكم بالطوال فانهن أمهات الرجال وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لا تأمن من بنى تميم بلغنى انكم تعالجون الرقيق فما فاتكم من شئ فلا يفوتنكم الطول والبياض فانهما يغتفران الحسن اغتفارا وتقدم معنى الاغتفار * وفى حديث عروة بن الزبير قال ما عشقت من امرأة قط الا اشرفها قال قاسم بن ثابت كان الاصمعى يقول الشرف هنا الطول قال وظاهر الاثر يدل على انه أراد الحسب وصراحة النسب

(ومن الوصف بالطول قول النابغة)

اذا ارتعثت خاف الجبان رعاتها * ومن يتعلق حيث علق يفرق

(وقول عمر بن أبى ربيعة)

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

وأرباب البيان يقولون فى هذين البيتين انهما كناية عن طول العنق وعندى فى ذلك استدراك أذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى فى باب آخر (وقال الشاعر)

ولما التقى الصفان واختلف القنا ✻ نهالا وأسباب المنايا بنهبالها
✻ تبين لى ان القماءة ذلة ✻ وان أشد اء الرجال طوالها

(ومن) هذا الباب قول العرب فى المدح طويل النجاد وانما هو كناية عن الطول وامتداد القامة والنجاد حمائل السيف ولا تطول الحمائل الا اذا كان حاملها طويلا اذ لو كان قصير القصر لها (قال) أبو العباس فى الكامل العرب تمدح بالطول وتضع من القصر فلا يذكرهم الا محتج عن نفسه ولا يمدح به غيره وأنشد لعنترة

بطل كأن ثيابه فى سرجه ✻ تحذى نعال السبت ليس بتوأم

(وقال جرير)

وانى لارضى عبد شمس وما قضت ✻ وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

انتهى ما ذكره أبو العباس (ولبهاء الدين) زهير بن محمد المهلبى ممن تقدم عصرنا قليلا يصف طويلة

وهيفاء تحكى الرمح لونا وقامة ✻ لها مهجتى مبذولة وفؤادى
لقد عابها الواشى فقال طويلة ✻ فقال حسود مظهر لعناد
فقلت له بشرت بالخير انها ✻ حياتى فان طالت فذاك مرادى
وما عابها القصد الطويل وانه ✻ لاول حسن للمليحة بادى
رأيت الحسون الشم تحفظ أهلها ✻ فاعددتها حصنا لحفظ ودادى

(ووصف) اعرابى امرأة فقال ما يمس ثوبها منها الا مشاشتى منكبيها وحلمتى ثديها ورانفتى أليتيها تطول القصار فهى فوقهن وتطولها الطوال فهى دونهن ✻ فهذا المستحسن المتوسطة بين الطول والقصر وهو كما قال الآخر

فداؤك يا سلمى قصار زعانف ✻ وعطل طوال فى النساء قباح
فانت منى قلبى اذا كنت خاليا ✻ وفوق المنى لو كان فيك سماح
كأنك هيأك المشهى لنفسه ✻ على ما اشتهى ما فى منال جناح
لك الفضل أم الفضل فى الناس بين ✻ كما فضل الليل البهيم صباح

✻ ومن أبيات الحماسة ✻

جديدة سربال الشباب كأنها ✻ سقية بردى غثها غيولها
مجللة باللحم من دون تربها ✻ تطول قصارا والطوال تطولها

الغيول جمع غيل وهو الماء الجارى (وقال ابن الرومى فى هذا المعنى)

كأنما أفرغت من ماء لؤلؤة ✻ فى كل ناحية من وجهها قمر

كما اشتهت خلقت حتى اذا اكتملت ❊ تمت قواما فلا طول ولا قصر

(ولبهاء الدين زهير بن محمد المذكور فى مثل ذلك)

كافت بها وقد تمت حلاها ❊ فلا طول يعاب ولا اختصار

وشعر واصل الخلخال منها ❊ فاضحى قرطها قلقا يغار

حكت فصل الربيع بحسن قد ❊ تساوى الليل فيه والنهار

(وجاء) فى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان معتدل الخلق ليس بالطويل الباش ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن بماشيه أحد ينسب الى الطول الا طاله وصلى الله عليه وسلم آية خصه الله تعالى بها (قال أبو العباس فى الكامل) لم يختلف أهل الحكمة والنظر من العرب والعجم ان الكمال فى الاعتدال ولا يقال غير هذا عن حكيم وأبين ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال وقد كان يقال الكيس فى القصر وقد قيل فى خير قصير وكيده ما قيل مما سار كالمثل ❊ وهذا من اغلاط أبى العباس رحمه الله تعالى فان قصيرا اسم لرجل وهو قصير بن سعد ولا يعلم أطويلا كان أم قصيرا (أبو الفرج فى كتاب النساء) عن الاصمعى قال قال ابن الزبير لا يمنعنكم من تزوج امرأة قصيرة قصرها فان القصيرة تلد الطويل والطويلة تلد القصير ولكن تجنبوا المذكرة فانها لا تنجب (قاسم بن ثابت) عن الاصمعى قال كان اعرابى طويلا قبيحا فخطب امرأة وقال أريد ها قصيرة جميلة ليأخذ الولد طولى وجمالها قال وتزوجها على تلك الصفة فجاء ولده على قبحه وقصرها (وقال كثير)

وأنت التى حببت كل قصيرة ❊ الى ولم يشعر بذاك القصائر

أردت قصيرات الحجال ولم أرد ❊ قصار الخطا شر النساء البحاتر

البحاتر القصيرات من قصر القامة (أبو الفرج فى كتاب النساء) قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا قصيرا فقال من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به غيرى وفضلنى عليه وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله مما ابتلاه به كائنا ما كان فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم القصر بلية يستعاذ بالله منه (وفى) حديث محمد بن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل نغاش أو قال نقاشى فخر ساجدا لله ثم سأل الله العافية قال الخطابى فى غريب الحديث النغاش بضم النون وبالغين والشين المعجمتين الرجل القصير

(الباب الثامن عشر جامع فى الملاحة والجمال)

(مكحول) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال (وفى) حديث ابن مسعود قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى ليعجبنى أن يكون ثوبى غسيلا وشراك نعلى حسنا وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه أفمن الكبر هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هذا من الجمال والله يحب الجمال ولكن الكبر سفه الحق وظلم الناس (أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة تجلو البصر الخضرة والماء الجارى والوجه الحسن ويروى أيضا عن ابن عمر مرفوعا (نظم الشاعر ذلك فقال)

ثلاثة تجلو عن القلب الحزن * الماء والخضرة والوجه الحسن

(ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر الى الوجه الحسن يورث الفرح والنظر الى الوجه القبيح يورث الكلح * الكلح تقبض الوجه من العبوس (وفى) الشهاب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال النظر الى الجارية الحسناء يزيد فى البصر (قال) بعض العلماء اذا كان النظر الى الوجه الحسن يزيد فى البصر فيقتضى ان النظر الى الوجه القبيح ينقص منه (قال) الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء يقال ان المرأة اذا كانت حسنة الصفات حسنة الاخلاق متسعة العين سوداء الحدقة مقببة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهى على صفة الحور العين قال الله تعالى حين وصفهن فيهن خيرات حسان أراد بقوله تعالى خيرات حسن الخلق وهذا بناء على أن الاصل خيرات بالتشديد فخفف وبقوله تعالى حسان حسن الصفات وقال تعالى وحور عين فالحور جمع حوراء وهى الشديدة سواد الحدقة والعين جمع عيناء وهى المتسعة العين * وقال سبحانه وتعالى عربا أترابا فالعرب هى المتحببة لزوجها المشتهية للوقاع قال وبذلك تتم اللذة (وقال) عز وجل فيهن قاصرات الطرف قال المفسرون معناه قاصرات الطرف على أزواجهن لا يرين بهم بدلا (البزار) عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أردتم الى بريدا فابردوه حسن الوجه حسن الاسم (وفى حديث) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اطلبوا الخير عند حسان الوجوه نقال الشاعر يشير الى ذلك

أنت شرط النبى اذ قال يوما * اطلبوا الخير من حسان الوجوه

(ابن عباس رضى الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله وجها حسنا وخلقا حسنا واسما حسنا فهو من صفوة خلق الله (وفى) أثر من

كان له صورة حسنة وحسب لا يشينه ووسع عليه فى الرزق فهو من خالصة الله (عائشة رضى الله تعالى عنها) قالت يؤم القوم اقراؤهم لكتاب الله عز وجل فان كانوا فى القراءة سواء فاصبحهم وجها (وكان) جعفر بن محمد يقول الجمال مرحوم وقالوا شفيع الحسن مقبول (ونظم ذلك ابن قنبر المازنى فقال)

ويلى على من أطار النوم فامتنعا ❊ وزاد قلبى الى أوجاعه وجعا
كأنما الشمس فى اعطافه لمعت ❊ حسنا أو البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وان كثرت ❊ منه الذنوب ومعذورا بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو اساءته ❊ من القلوب وجيه حيثما شفعا

(قال يحيى بن على المنجم) كنت يوما بين يدى المعتضد وهو مقطب اذ أقبل بدر مولاه وكان من الحسن على الصفة التى كان عليها فلما رآه من بعيد ضحك وقال يا يحيى من الذى يقول ❊ فى وجهه شافع يمحو اساءته ❊ الابيات فقلت ابن قنبر فقال لله دره ثم استنشدنى الابيات فأنشدته اياها وقد انقلب تقطيبه ضحكا وسرورا (ومن) هذا أخذ المطرز الشاعر قوله

ياصاحبى باعلام المطيرة لى ❊ ظبى اذا آنست عينى به نفرا
اذا تكلم واستحلت محاسنه ❊ عينى خلعت عليه السمع والبصرا
فان رنا قلت عن عين الغزال رنا ❊ وان مشى قلت غصن يحمل القمرا
اذا أتى وجهه بالصبح متضحا ❊ جاءت ذوائبه بالليل معتكرا
وما جنى قط ذنبا غير معتذر ❊ الا أتى وجهه بالحسن معتذرا

(التيفاشى فى قادمة الجناح) قال حاصر السعلوى مدينة بالشام فأشرف على تملكها وكان فيها امرأة مشهورة بالحسن فقالت لاهل المدينة انا أكفيكموه وخرجت فطلبت الوصول اليه فلما حضرت بين يديه قالت ألست القائل

نحن قوم تذيبنا الاعين النجـ ـل على اننا نذيب الحديدا
وترانا الذى الكريهة أحرا ❊ راو فى السلم للحسان عبيدا

قال نعم فألقت البرقع عن وجهها وقالت أحسنا ترى أم قبيحا قال بل حسنا قالت فان كنت عبد الحسان كما ذكرت فاسمع وأطع وارتحل عنا قال فنادى من حينه بالرحيل فقال له قواده ان البلد فى ايدينا وقد أشرفنا على فتحه فقال لا سبيل الى الاقامة عليه ساعة واحدة وخطب المرأة بعد ذلك فتزوجها (الحكم بن عبد الله) قال رأيت شريحا على باب المسجد الحرام فقلت له ساوقوفك ههنا يا أبا أمية فقال أقف لعلى أنظر الى وجه حسن (وقال الشاعر)

انى امرؤ مولع بالحسن أتبعه * لاحظ لى فيه الالذة النظر

(صاحب الكشاف) قال كان محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان يسمى الديباج لجماله وقالت له امرأة يوما أنت تفخر بالجمال وانما ذلك فخر النساء وفخر الرجال بالاجمال فقال لها واذا اجمع الرجل بين الجمال والاجمال فقد حاز مرتبة الكمال (حماد ابن اسحق) عن أبيه قال كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها فعاتبها مصعب بن الزبير فى ذلك فقالت ان الله وسمنى بميسم جمال فاحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلى عليهم فلو علمت فى وصمة استتر بها لاستترت لها وكان مصعب اذا عزم عليها فى الاستتار استترت واذا سكت عنها اسفرت وباشرت الناس (قال) ابن حزم كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا رأى امرأة منتقبة قال لها اسفرى نقابك فان رآها حسنة أمرها أن تنتقب وان رآها قبيحة منعها من النقاب (وأنشد الزبير بن بكار)

ليت النقاب على النساء محرم * كى لا تغر قبيحة بنقابها

(أبو الفرج فى الاغانى) قال نازعت عائشة بنت طلحة زوجها الى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فسقط خمارها عن وجهها فقال أبو هريرة سبحان الله ما أجللك وأحسنك والله لكأنما خرجت من الجنة قال فلما سمع زوجها ذلك هاج فى نفسه منها هائج فقام فقرضها وأخذ بيدها ورجع الى ما أرادت منه (الحضرى فى الزهر) قال خرج أبو حازم يرمى الجمار ومعه قوم فاسكون وهو يحدثهم فبينما هم كذلك اذ نظروا الى امرأة من أجمل الناس تتلفت يمنة ويسرة وقد شغلت الناس وبهتوا ينظرون اليها وخاض بعضهم فى بعض فقال لها أبو حازم يا هذه اتقى الله فانك فى مشعر من مشاعر الله وقد فتنت الناس فاضربى على جميلك بخمارك فان الله تعالى يقول وليضربن بخمرهن على جيوبهن فأقبلت تضحك من كلامه وقالت يا هذا انى ممن قال فيه الحرث بن خالد

أماطت كساء الخز عن حر وجهها * وأرخت على الكشحين بردا مهلهلا

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة * ولكن ليقتلن البرى المغفلا

فاقبل أبو حازم على أصحابه فقال يا هؤلاء تعالوا ندع الله ان لا يعذب هذه الصورة الحسنة بالنار فجعل يدعو وأصحابه يؤمنون وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال أما والله لو كان بعض بغضاء العراق لقال لها اغربى قبحك الله ولكنه ظرف عباد أهل الحجاز * أبو حازم هذا هو أبو حازم سلمة بن دينار من كبار التابعين روى عنه مالك وابن أبى ذئب ونظراؤهما (قال الاصمعى) رأيت فى الطواف جارية

كأنها مهاة قد فتنت الناس جميعا بجمالها فوقفت انظر اليها واملأ عيني من محاسنها فقالت مالك يا هذا قلت وما عليك من النظر فانشدت تقول

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا ❊ لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر ❊ عليه ولا عن بعضه أنت صابر

(وفي) بعض روايات هذا الخبر عن الاصمعي قال كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون جاءت الصعيل ونهضوا فنهضت معهم لانظر فاذا جارية قد وردت الماء لم أر قط مثلها حسن وجه وكمال خلق قال فلما رأت تشوق الناس والحاحهم بالنظر نحوها أرسلت برقعها فكأنما غمامة غطت شمسا فقلت يا أمة الله لو متعتينا من النظر الى هذا الوجه الحسن فأنشدت البيتين المتقدمين (وكست) سكينة بنت الحسن رضي الله تعالى عنها ابنة لها مدراكتيرا وقالت والله ما كسوتها اياه الا لتفضحه بحسنها (وقال خليلان المغني) دخلت دار هرون الرشيد فرأيت جارية خماسية من أحسن الناس وجها على خدها سطران مكتوبان بالغالية فيهما مما عمل في طراز الله فتنة لعباد الله خليلان هذا هو عتاب بن عباد بن سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب الاموي من ذوي الشرف الذي أخل الغناء بشرفهم (وقالوا) الجملة هي التي تأخذ بصرك على البعد والملحة هي التي تأخذ بقلبك على القرب (قال أبو الفرج في الاغاني) قالت سكينة بنت الحسن يوما لعائشة بنت طلحة أنا أجمل منك وقالت عائشة بنت طلحة بل أنا أجمل منك واختصما الى عمر بن أبي ربيعة فقال لاقضين بينكما أما أنت يا سكينة فاملح وأما أنت عائشة فاجمل قال فقالت سكينة قضيت لي والله عليها (وقالت) امرأة لخالد بن صفوان ما أجملك يا أبا صفوان قال وكيف تقولين ذلك وليس لي عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه أما عموده فالقوام والاعتدال وأنا قصير وأما رداؤه فالبياض ولست بابيض وأما برنسه فسواد الشعر وجعودته وأنا أصلع ولو قلت ما أملحك لصدقت (أبو الفرج في كتاب النساء) قال كان محمد بن المنذر بن الزبير يسمى الديباج لجماله وحسن وجهه وقد تقدم أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم كان يسمى كذلك قال خطب هو وعبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم امرأة فجعلت تسأل عنهما ثم خرجت ليلة تريد الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فرأتهما قائمين في القمر يتعاتبان في شأنها وكان وجه عبد العزيز اليها فنظرت الى بياضه وطوله فقالت ما يكون أحد

أجل من هذا فتزوجته فجمع الناس وأقبل للدخول فكان فيمن وصل اليه محمد ابن المنذر فأكرمه عبد العزيز ورفع مجلسه فلما فرغ الناس من طعامهم بارك له وانصرف فرأته فندمت على ما فاتها من جماله قال ويقال انها ماتت أسفا عليه (وذكر اعرابي رجلا جميلا فقال) والله لو أبصرته العيدان لتحركت أوتارها ولو رأته مؤنسة لانحل ازارها (وقال بعض الاعراب)

ماذا تظن بسلمى ان ألم بها * مرجل الشعر صافي اللون مزاح
خز عمامته حلو فكاهته * في كفه من رقى ابليس مفتاح

(وهذا كقول عبد الرحمن بن الحكم)

وكاس ترى بين الاناء وبينها * قذى العين قد نازعت أم أبان
ترى شاربيها حين يعتورانها * يميلان أحيانا ويعتدلان
فاظن واشبنا ببيض ماجد * وبيضاء خود حين يلتقيان
دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتني أخاها بعد ما كان بيننا * من الامر مالا يفعل الاخوان

(وفي) معنى قوله دعتني أخاها قول العرب في مثل من أمثالها رب أخ لك لم تلده أمك * واصل المثل ان لقمان بن عاد رأى امرأة وقد خلا بها رجل وهي تلاعبه ومعها صبي يبكي وهما قد أقبلا على شأنهما لا يكترثان به فسألها عن الرجل فقالت هو أخي فقال رب أخ لك لم تلده أمك أي اتخذاه وأخوك بالمحبة والصداقة لا بالولادة (قال بعضهم) كانت الفرس تتيمن بالوجه الحسن وتقول ان الحسن أول سعادة المرء فان الله تعالى بلطيف حكمته وشريف ابداعه وصنعته لم يخلق شيأ عبثا ولم يجعل الصور مختارة الصفات سليمة من الآفات الا عن فضل احتفاء منه تعالى بها (قالوا) وقلما توجد الاخلاق الا تابعة للخلق تناسبا يطرد وأصلا لا ينعكس (وقال أبو الريحان البيروني) في فصل من كتابه المسمى بالجماهر فاما الحسن ففي الصورة والجمال في الهيئة فهما محبوبان بالطبع مرغوب فيهما حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستوفد حسان الوجوه والاسماء وكان ينقل الاسماء المستكرهة في الناس والبقاع الى الاسماء المستحسنة وقد قدمنا أيضا نحن آنفا حديث بريدة في قوله صلى الله عليه وسلم اذا أردتم الى بريد الحديث (وفي) حديث قتادة عن أنس قال ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا خرجه الدارقطني وذكره عياض في الشفاء

(وهذا

* (وهذا فصل) * في ترتيب أوصاف الحسن وتنزيل الالفاظ اللغوية عليها منقول من كتاب فقه اللغة (قال) أبو منصور اذا كانت على المرأة مسحة من جمال فهي جميلة ووضيئة فاذا أشبه بعضها بعضا في الحسن فهي حسانة فاذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية فاذا كانت لا تبالي أن تلبس ثوبا حسنا ولا تتقلد قلادة حسنة فهي معطال فاذا كان حسنها ثابتا كأنه قد وسم فهي وسيمة فاذا قسم لها حظ من الحسن فهي قسيمة فاذا كان النظر اليها يسر الروح فهي رائعة فاذا غلبت النساء بحسنها فهي باهرة (وقال) في فصل ثان من الكتاب المذكور الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة والجمال في الانف والحلاوة في العينين والملاحة في الفم والظرف في اللسان والرشاقة في القد واللباقة في الشمائل وكمال الحسن في الشعر (وقال) غيره والبراعة في الجيد والرقة في الاطراف وأكثر التذييل على التقريب والتحقيق منه بعيد

* الباب التاسع عشر في ذكر أوصاف النساء على الاجمال *

(كان) بالمدينة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من المخنثين يدخلون على النساء فلا يحجبون وهم هيت وهرم ومانع * وكان هيت يدخل الى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخل يوما دار أم سلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فأقبل على أخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال ان فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك ببادية بنت غيلان بن سلمة بن معتب فانها مبتلة هيفاء شموع نجلاء ان قامت تثنت وان قعدت تبنت وان تكلمت تغنت تقبل بأربع وتدبر بثمان مع ثغر كالاقحوان وثدي كالرمان أعلاها قضيب وأسفلها كثيب وبين رجليها كالعقب المكفوء فهي كما قال قيس بن الخطيم

تفترق الطرف وهي لاهية * كأنما شاف وجهها ترف
بين شكول النساء خلقتها * قصد فلا جبلة ولا قضف

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع كلامه لقد غلغلت النظر ما كنت أحسبك الا من غير أولي الاربة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطن من كلامه ويظن ذلك نقصا من عقله فلما سمع منه ما سمع قال لنسائه لا يدخل هيت عليكن وأمر أن يسير الى خارج فبقي هناك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولي أبو بكر رضي الله تعالى عنه كلم فيه فأبى أن يرده فلما

ولى عمر رضى الله تعالى عنه كلم فيه فأبى أن يرده وقال ان رأيته بالمدينة ضربت عنقه فلما ولى عثمان كلم فيه فأبى أن يرده فقيل له انه قد كبر وضعف واحتاج فأذن له أن يدخل كل جمعة فيسأل ويرجع الى مكانه هذه رواية أهل الاخبار (وخرجه) مسلم عن عائشة مختصرا فقال فيه كان يدخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخل النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكن قال فحجبوه زاد أبو داود فى هذا الحديث فأخرج وكان بالبيداء يدخل كل جمعة يستطعم (قوله فانها مبتلة هيفاء) المبتلة التامة الخلق التى لم يركب بعض لحمها بعضا ولا يوصف الرجل بذلك والهيفاء اللطيفة البطن الضامرة الخصر جموع اللعوب الضحوك والخلاء المتسعة العين (وقوله وان قعدت تبنت) قال الاصفهانى فى كتاب أفعل التبنى تباعدما بين الفخذين قال وقيل معنى تبنت صارت كالبنيان (وقوله تقبل بأربع وتدبر بثمان) قال المازرى فى المعلم عن أبى عبيدة معناه تقبل بأربع عكن ولكل عكنة طرفان فتصير ثمانية تدبر بهن وهذا كلام غير مفهوم ولكن الشراح استمروا عليه قال وانما انث فقال بثمان ولم يقل بثمانية والاطراف مذكرة لانه لم يذكر الاطراف ولو ذكرها لم يكن بد من التذكير (وقوله) فى شعر قيس ابن الخطيم تفترق الطرف بالغين المعجمة أى تستغرق نظره وتستوفيه قال السهيلى فى الروض الانف ويقال ابن دريد صحف هذه اللفظة فقالها بالعين المهملة وصحف أيضا قول معلل

أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم

فقال فيه الخباء بالخاء المعجمة فقال فيه الشاعر

ألم تصحف فقلت تعترف الطر * ف بجهل مكان تفترق

وقلت كان الخباء من أدم وهـ * ـو حباء يهدى ويسترق

(وهيت) الاشهر فيه انه بناء معتلة بعدها تاء صحيحة مثناة وقال بعضهم صوابه هئ بنون ساكنة بعدها باء مفردة حكاه عياض عن بعض شيوخه (وأما) بادية فبالباء المفردة بعدها دال مهملة ثم ياء معتلة وسمعت بعض شيوخنا يذكر أن الصواب فيها بادنة بالنون عوض الياء المعتلة ولم أر ذلك منقولا ويذكر أن بادية هذه توفيت فى زمن عمر رضى الله عنه وانه صلى عليها فرأى منها

مايشق عليه يريد من شحمها فأخبرته أم سلمة انها رأت بأرض الحبشة أعوادا يغطى بها النعش ووصفتها له فقال عمر نعم ودرج الظعينة هذا فكانت أول امرأة غطى نعشها (قال أبو الفرج فى الاغانى) وكان هيت مولى لعبد الله بن أبى أمية فلذلك خصه على بادية ووصفها له قال ولما فتحت الطائف تزوج بادية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فولدت له ابنته بريهة وسيأتى فى باب الغيرة ذكر المخنثين (قال اسحق بن ابراهيم) قيل لنعمان المخنث كيف رأيت عائشة بنت طلحة قال أحسن البشر قيل له صفها قال تتاصف وجهها فى القسامة وتجزأ معتدلا فى الوسامة ان تكلمت تغنت وان مشت تثنت (قوله) تتاصف وجهها فى القسامة أى أخذ كل موضع منه حظه من الحسن لم ينفرد بالحسن موضع دون موضع فيفضل بعض أحد المواضع حقه والقسامة الحسن وهو أيضا معنى قوله وتجزأ معتدلا فى الوسامة أى ان الوسامة عمت جميع أجزائه بالسوية * قال * الزبير فى الموفقيات بلغ الحرث بن عمرو بن حجر الكندى عن الحسناء بنت عوف ابن محلم الشيبانى جمال وكمال فأرسل اليها امرأة من كندة يقال لها عصام فقال لها اذهبى فاعلمى لى علم الجارية قالت فأتيت فاذا امرأة كأنها الهاة الوحشية واذا حولها بنات لها كأنهن الغزلان فأعلمتها بالذى جئت له وأرسلت الى ابنتها أى بنية هذه خالتك قد جاءتك لتنظر بعض شأنك فلا تستترى عنها شيأ من أوصافك وناطقيها ان استنطقتك قال فأذنت لها فلما دخلت عليها وتوسمت خلقها رأت أحسن الناس وجها وجسما ثم خرجت وهى تقول ترك الخداع من كشف القناع حتى دخلت على الحارث فقال ماوراءك يا عصام قالت أصلح الله الامير أقول حقا وأخبرك صدقا رأيت وجها كالمرآة الصقيلة يزينه حالك كذنب الحسملة فيه حاجبان كأنهما خطا بقلم أو سودا بحمم تقوسا على مثل عين الظبية المعبرة بهتمان المتوسم ان فتحتهما ويخالان بأشفارهما ما تحتهما بينهما أنف كحد السيف الصقيل لم يزر به قصر ولم يعبه طول حفت به وجنتات كالارجوان فى بياض محض كالجمان شق فيه فم لذيذ المبسم فيه ثنايا ذات أشر وأسنان كالدر ينطق فيه لسان ذو فصاحة وبيان ركب ذلك على عنق فضى فوق صدر غض نشأ فى ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عنهما ثيابهما ويمنعانهما من تقلد سخابها تحت ذلك كله بطن كالقباطى المدبجة كسى عكنا كالطوامير المدرجة أحاطت تلك العكن بسرة لها كحدة العاج ينتهى ذلك الى خصر لطيف تحته كفل ينهضها اذا

قامت ويقعدها اذا نهضت كأنه دعص رملة وتحته فخذان لفاوان متصل بها
ساقان ابيضان يحمل ذلك كله قدمان كحد اللسان فتبارك الله مع صغرها
كيف يطيقان حمل ما فوقهما واما ماسوى ذلك فاني تركت وصفه لوقت
مشاهدته قال فأرسل الحارث اليها انزوجها وهي أم أولاده المتوجين انتهى
ماذكره الزبير بالحسيلة الانثى من البقر والمعبهرة الحسنة الخلق الممتلئة
الجسم والاشر تحزيز يكون في أطراف الاسنان وهو مما يستحسن وأكثر
مايكون مع الصغر والسخاب قلادة تتخذ من غير الجوهر وقد تقدم ذكر وصية أم
هذه المرأة لابنتها حين اهدتها للحرث في باب قبل هذا (ابو الفرج في الاغاني)
قال اجتمع مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر وعمرو بن سعيد
ابن العاص وابنتهم عزة الملاءة فقالوا لها انا قد خطبنا واردنا ان نتزوج فنظري
لنا نساءنا فسألت مصعبا عن خطب فقال عائشة بنت طلحة وسألت عبد الله
فقال أم القاسم بنت زكريا بن أبي طلحة وسألت عمرو بن سعيد فقال عائشة
بنت عثمان فتوجهت لتنظر اليهن فبدأت بعائشة بنت طلحة فدخلت عليها
فأكرمتها عائشة وسرت بها وسألتها عن حاجتها فقالت لها انى كنت
في نسوة من قريش فتذاكرنا جمال النساء وخلقهن فذكرتك فلم أدر كيف
أصفك فقالت فاذا تريدين قالت فديتك أقبلي وادبري فاقبلت وادبرت فاربح
منها كل شئ فقالت لها عزة خذي ثوبك فأخذته قرأتها من أحسن الناس
صورة وأعظمهم محاسن فعوذتها وقالت لها ما أظن ان الله تعالى جمل صورتك
هذه شبيها في الدنيا وودعتها وانصرفت الى أم القاسم فأكرمتها وسرت
بها وسألتها عن حاجتها وعرفتها مثل ذلك وسألتها ان تقبل وتدبر فاقبلت
وأدبرت فرأت منها ما أعجبها فعوذتها وقالت لها يا أم القاسم ما رأيت حسنا
الا وأنت أحسن منه وودعتها وانصرفت وفعلت مثل ذلك مع عائشة بنت
عثمان ورجعت اليهم وهم ينتظرونها فقالوا لها ما صنعت فقالت اصبت أما
عائشة فلا والله ما رأيت حولها قط مقبلة ولا مدبرة مخطوطة المتنين عظيمة
العجيزة ممتلئة الترائب نقية الثغر وضيئة الوجه فرعاء الشعر لفاء الفخذين
ممتلئة الخصر خميصة البطن ذات عكن ضخمة السرة بين أعلاها
وأسفلها وفيها عيبان أذنان يجاوزان الحد في الكبر وقدمان كذلك ولكن
الاول يواريه الخمار والثاني يواريه الخف ثم قالت لعبد الله بن عبد الرحمن وأما أم
القاسم فكأنها خوط بان أو جدول عنان لو شئت ان تعقد أطرافها لفعلت

ولكنها تحمة الصدر وأنت عريض الصدر وان كان ذلك قبيحا والله حتى يملأ كل شئ مثله وقالت لعمرو بن سعيد وأما عائشة فوالله ما رأيت مثل خلقتها قط لكأنها أفرغت فى قالب حسن افراغا غير ان فى وجهها ردة قال فوصلوها وبرزوجوهن (قولها) غير ان فى وجهها ردة بفتح الراء تريد ان وجهها ينقص فى الحسن عن بدنها وقال بعضهم الردة تقاعس فى الذقن (أبو على فى الامالى) قال كان لرجل من مقاول حمير ابنان قد برعا فى الادب والعلم فكان اسم أحدهما عمرا واسم الآخر ربيعة قال فلما بلغ الشيخ أقصى عمره دعاهما ليبلو عقولهما ويعرف مبلغ علمهما فقال لعمرو وكان الاكبر يا عمرو أخبرنى عن أعجب النساء التى لست فقال المركولة اللفاء المكورة الجيداء التى يشفى السقيم كلامها ويبرئ الوصب لمامها التى اذا أحسنت اليها شكرت وان أسأت اليها صبرت وان استعتبتها اعتبت الفاترة الطرف الطفلة الكف العميمة الردف قال ما تقول يا ربيعة قال نعت فاحسن وغيرها أحب الى منها قال ومن هى قال الفتانة العينين الاسيلة الخدين الكاعب الثديين الرداح الوركين الشاكرة للقليل المساعدة للخليل الرخيمة الكلام الجماء العظام العذبة اللثام الكريمة الاخوال والاعمام (قال أبو على) اللفاء الملتفة اللحم والمكورة المطوية الخلق والرداح الثقيلة الجميزة الضخمة الوركين والرخيمة اللينة الكلام والجماء العظام التى لا يوجد لعظامها حجم قال وقوله العذبة اللثام أراد موضع اللثام فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وبقى مما لم يفسره ابو على المركولة وهى العظيمة الوركين والجيداء هى الطويلة العنق والطفلة الكف هى الرخصة (ومن الكتاب المذكور) قال وصف اعرابى نساء فقال يتلثمن على السنابك ويتشحن على النيازك ويتزرن على العوانك ويرتفقن على الارائك ويتهادين على الدرانك ابتسامهن وميض عن كالاغريض وهن الى الصباصير وهن الخنانير (قال) أبو على يقال تلثمت المرأة وتلفعت فالثام على الفم واللفام على طرف الانف والنيازك جمع نيزك وهو الرمح القصير والعوانك جمع عانك وهو الرمل المنعقد والارائك السرر واحدها أريكة كذا قال أبو على وقال صاعد فى الفصوص الاريكة الحجلة اذا كانت على سرير فان لم تكن على سرير فهى حجلة ويتهادين أى يمشين مشيا ضعيفا والدرانك الطنافس واحدها درنك بضم الدال وضم النون والوميض اللمعان الخفى والاغريض طلع النخل وصوراى مواثل ونوراى نفر (أبو الفرج) قال قال

رجل لاعرابية انى اريد أن أتزوج فصفى لى النساء فقالت عليك بالبضة البيضاء الدرماء اللعساء الشماء الجيداء الزجلة السجلة المديجة المتن الخمصة البطن ذات الثدى الناهد والفرع الوارد والعين النجلاء والحدقة الكحلاء والجبيرة الوتيرة والساق المكورة والقدم الصغيرة فان أصبتها فاعطها الحكم فانها غنم من الغنم (وقال الاصمعى) سمعت امرأة من العرب تقول فى وصف امرأة هى سعطاء بضة بيضاء غضة ردماء سهلة فناء طفلة تنظر بعينى شادن ظمآن وتبسم عن نور كالاقحوان فى غب التهتان وتشير باساريع الكثبان خلقها عميم وكلامها رخيم (قال) وتزوج اعرابى امرأة فقيل له كيف وجدتها قال رصوفاء رشوفاء ألوفاء أنوفاء * رصوفاء ضيقة الفرج ورشوفاء طيبة المقبل وألوفاء محبة لبعلها وأنوفاء بعيدة عما لا خير فيه (ووصف) عرابى نساء فقال كلامهن اقتل من النبل واوقع فى القلب من الوبل فى المحل وفروعهن أحسن من فروع النخل (وقال اعرابى) قدمت البصرة فرأيت بها عيونا دعجا وجواجب زجا يسحبن الثياب ويسلبن الالباب (وذكر بعضهم) امرأة فقال كاد الغزال يكونها لولا ما تم منها ونقص منه (وقال آخر) خلوت بها والقمر بيننا فلما غاب ارتبته (وذكر آخر) امرأة فقال كانما وجهها بستان وكانما قدها غصن بان وكانما خصرها جدل عنان شعرها سرج ورؤيتها فرج وفرج كانها شمس وقمر ونوروزهر (وذكر آخر) امرأة فقال مطلع الشمس من وجهها وملقط الدر من فمها ومنبت الورد من خدها ومنبع السحر من طرفها ومبادى الليل من شعرها ومغرس الغصن من قدها ومهيل الرمل من ردفها اعلاها كالغصن ميال واسفلها كالدعص منهال (وسئل) اعرابى عن امرأة فقال هى أرق من الهواء وأطيب من الماء وأحسن من النعماء وأبعد من السماء (وقيل) لاعرابية أتحسنين صفة النساء قالت نعم قيل لها صفى لنا امرأة كاملة قالت اذا سحرت عيناها وسهل خداها ونهد ثدياها ولطفت كفاها وأنعم ساعداها وعظم وركاها والتفت فخذاها وخدل ساقاها فقالت هم النفس ومناها (وروى) عن بعض الاكاسرة انه قال ينبغى أن يكون فى المرأة أربعة سود وأربعة بيض وأربعة حمر وأربعة كبار وأربعة صغار وأربعة واسعة وأربعة ضيقة * فاما الاربعة السود فشعر الرأس والحاجبين واشفار العينين والحدقتان * وأما الاربعة البيض فاللون وبياض العينين والثغر والظفر الا أن يصبغ * وأما الاربعة الحمر فالوجنتان والشفتان واللسان واللثة * وأما

الاربعة الكبار فالثديان والفرج والجحيزة والركبتان * وأما الاربعة الصغار فالاذنان والفم واليدان والرجلان * وأما الاربعة الواسعة فالجبين والعينان وأصول الثديين والسرة * وأما الاربعة الضيقة فالمنخران والاذنان والخصر والفرج * وبقريب مما فسرت ههنا الاربعة الكبار رد ما فسر قول عروة بن اذينة أنشده الحضرمي في الزهر وذكر الابيات بكمالها والمراد البيت الخامس منها

ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هوى لها وكما خلقت هوى لها
كيف الذي زعمت به وكلاكما * ابدى لصاحبه الصبابة كلها
ولعمرها الوكان حبك فوقها * يوما وقد صحبت اذا لاظلها
فاذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلبانه فاد قها وأجلها *
لما عرضت مسلما لى حاجة * أنشى صعوبتها وأرجو ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي * ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة * فى بعض رقبتها فقلت لعلها

(قال ابن الاعرابي) أدقها اى أدق حاجبيها وأنفها وخصرها وأجلها اى أجل عضديها وساقيها وفرجها * وهذا كما قال الآخر

فدقت وجلت واستكرت وأكملت * فلو جن انسان من الحسن جنت

وقوله فى هذه الابيات * فاذا وجدت لها وساوس سلوة * البيت هو كما قال الاخوص

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر

(وقوله) فيها * ما كان أكثرها لنا وأقلها * قال البكرى فى اللآلئ يريد ان تحيتها وان كانت نزرة قليلة فانها عنده كثيرة جليلة فالضمير على هذا عائد على التحية قال وهذا كما قال العباس بن قطن

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل

وكما قال اسحق بن ابراهيم

ان ما قل منك يكثر عندى * وكثير ممن تحب القليل

وقال ابن جنى معناه ما كان أكثرها لنا فيما مضى وأقلها الآن قال وهو على حذف المضاف أى ما كان أكثر وصالها أو مودتها وقول البكرى أحسن (قال) مصعب بن عبد الله الزبيرى حدثنى عروة بن عبد الله قال كان عروة بن أذينة

نازلا فى دارى بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه هذه الابيات قال فأتانى ابو السائب المخزومى فقلت له بعد الترحيب به ألك حاجة قال نعم أبيات لعروة بلغنى انك سمعته ينشدها فأنشدته الابيات فلما بلغت قوله

فدنا وقال لعلها معذورة * فى بعض رقبتها فقلت لعلها

طرب وقال هذا والله الدائم الصبابة الصادق العهد لا الذى يقول

ان كان أهلك يمنعونك رغبة * عنى فأهلى بى أضن وأرغب

لقد عداه هذا الاعرابى طوره وانى لارجو أن يغفر الله لصاحب هذه الابيات بحسن الظن بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ما كنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى الليل وانصرف (وأنشد) أبو الفرج الاصفهانى هذه الابيات فى كتاب القيان وزعم أنه وجدها فى شعر أبى الشيص وزاد فيها بعد البيت الثانى

انى لاضمر فى الحشا وجدا بها * لو كان تحت فراشها الاقلها

وقال بعده * ولعمرها لو كان حبك فوقها (ومن) هذا البيت والذى قبله أخذ القائل قوله انى أحبك حبا لو كان تحتك لاقلك ولو كان فوقك لاظلك وبالله سبحانه وتعالى التوفيق

* وهذا فصل فى تفصيل الاوصاف المحمودة من خلق المرأة والمستحب من سائر تصرفاتها وأفعالها منقول من كتاب نقه اللغة لابى منصور رحمه الله تعالى *

(قال) اذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهى خود فاذا كانت جميلة الوجه حسنة المعرى فهى جهنكة فاذا كانت ضخمة فهى زبطة فاذا زاد ضخمها ولم تقبح فهى سبطة فاذا كانت دقيقة المحاسن فهى مكورة فاذا كانت حسنة القد لينة العصب فهى مبتلة فاذا كانت لطيفة البطن فهى هيفاء وقباء وخمصانة فاذا كانت لطيفة المكشحين فهى هضيم فاذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهى عشوقة فاذا كانت طويلة العنق فى اعتدال وحسن فهى عطبول فاذا كانت عظيمة الوركين فهى مركولة فاذا كانت عظيمة العجيزة فهى رداح فاذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهى خدلجة فاذا كانت ترتج من سمنها فهى مرمارة فاذا كانت كأنها ترعد من الرطوبة والغضاضة فهى رهرهة فاذا كانت كأن الماء يجرى فى وجهها فهى رقراقة فاذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهى بضة فاذا عرفت فى وجهها نضرة

النعمة فهى مق فاذا كان فيها فتور عند القيام لسمنها فهى أتاة وهنانة فاذا كانت طيبة الريح فهى بهنانة فاذا كانت عظيمة الخلق مع الجمال فهى عبهرة فاذا كانت ناعمة جميلة فهى عبقرة فاذا كانت مغشية من اللين والنعمة فهى غيداء أوغادة فاذا كانت طيبة الفم فهى رشوف فاذا كانت طيبة ريح الانف فهى أنوف فاذا كانت طيبة الخلوة فهى لعوب فاذا كانت لعوبا ضحوكا فهى شموع فاذا كانت تامة الشعر فهى فرعاء فاذا لم يكن لرفقيها حجم من سمنها فهى ردفاء فاذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها فهى لفاء ﴿وله فى فصل ثان من الكتاب المذكور﴾ قال اذا كانت المرأة حبيبة فهى شفرة وخريدة فاذا كانت تظهر للناس وتحادثهم فهى برزة فاذا كانت منخفضة الصوت فهى رخيمة فاذا كانت محببة للزوج متحببة اليه فهى عروب فاذا كانت نفورا من الريبة فهى نوار فاذا كانت عروسا فهى مدى فاذا كانت بخاتم زوجها فهى بكر وعذراء فاذا فض خاتمها فهى ثيب وعوان فاذا كانت عفيفة فهى حصان فاذا أحصنها زوجها فهى محصنة فاذا كانت كثيرة الولد فهى نئور فاذا كانت قليلة الولد فهى نزور فاذا كانت تلد الذكور فهى مذكار فاذا كانت تلد الاناث فهى مئناث فاذا كانت تعاقب بين الذكور والاناث فهى معقاب فاذا كانت لا يعيش لها ولد فهى مقلاة فاذا كانت تأتى بتوأمين فهى متآم فاذا كانت تلد النجباء فهى منجاب فاذا كان لها ضرات فهى مضرة

﴿الباب العشرون فى ذكر أوصافهن على التفصيل وما ورد فى ذلك من الخايرة والتفضيل ﴿وفيه عشرون فصلا﴾﴾

﴿(فصل فى ذكر الشعور)﴾ ﴿أبو الفرج فى كتاب النساء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج أحدكم المرأة فليسأل عن شعرها فان الشعر أحد الجمالين (حمزة بن الحسن الاصبهانى) فى كتاب الاوصاف له قال كان يقال استجيدوا من المرأة شعرها فان الشعر أحد الوجهين وقال خالد بن صفوان الشعر الاسود برنس الجمال (أبو منصور الثعالبى) فى كتاب فقه اللغة له قال كمال الحسن فى الشعر وقال فى فصل من الكتاب المذكور عقد لتفصيل أوصاف الشعر يقال شعر جعفال اذا كان كثيرا ووصف اذا كان متصلا وكث اذا كان كثيفا مجتمعا وملتف كذلك اذا زادت حكاثفه ومنسدر اذا كان

منبسطا وسبط اذا كان مسترسلا ورجل اذا كان بين السبط والجعد وسحام اذا كان حسنا ليّنا ومغدودن اذا كان طويلا ناعما انتهى ماذكره أبو منصور (وقال غيره) وجثل اذا كان ضخما عظيما وأثيث اذا كان كثيرا ملتفا ووارد اذا كان طويلا مسترسلا واشترط بعضهم فيه أن يصل الى الكفل (ومن) أوصاف الذم فيه شعر جعد بسكون العين اذا كان منكسرا غير مسترسل وقطط بفتح الطاء وكسرها اذا اشتد جعودته ومقلعط بسكون القاف وفتح اللام وكسر العين المهملة اذا زاد على القطط ومفلفل اذا كان في نهاية الجعودة كشعر الزنج

* ومن الشعر في هذا الباب قول امرئ القيس *

وفرع يغشى المتن اسود فاحم * أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات الى العلا * تظل العذارى في مثنى ومرسل

يغشى المتن أي يكسو الظهر لطوله وجثولته والمتعثكل المتداخل ومستشزرات كناية عن ضفره من (وأنشد) أبو علي في الامالي لبكر بن النطاح وهو من أشعار الحماسة قوله

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وحف أسحم
فكأنها فيه نهار مشرق * وكأنه ليل عليها مظلم

قوله تسحب من قيام يريد من بعد قيامها وذلك هو الغاية في الطول والسبوغ (قال أبو علي) ومن أحسن ماقيل في هذا الباب قول ابن الرومي أنشده الناجم عنه

وفاحم وارد يقبل عمشا * واذا اختال مرسلا عذره
أقبل كالليل من مفارقه * مقدرا لا يذم مخدره
حتى تناهى الى مواطئه * يلثم من كل موطئ عفره
كأنه عاشق دنا شغفا * حتى قضى من حبيبه وطره

العذر بضم العين المهملة وفتح الذال المعجمة جمع عذرة وهي الخصلة من الشعر (قال) الثعالبي وأخذ ابن مطران هذا المعنى فقال

اظباء أعارتها المها حسن مشيها * كما قد أعارتها العيون الجاذر
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبلت * مواطئ من أقدامهن الغدائر

انتهى كلام الثعالبي * والغدائر ههنا بالغين المعجمة والدال المهملة جمع غديرة (وهي الضفيرة) وقال ابن المعتز في مثل ذلك

مهضومة الكشح وجهها قمر * تنشق عنه حنادس الظلم

دعت خلا حيلها ذوائبها * فجئن من قرنها الى القدم

(وأنشد أبو علي في الامالي أيضا لابن المعتز قوله)

سقتني في ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب

فامسيت في ليلين للشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب

(أخذ أبو الطيب معناهما فقال)

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فأريت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

أراد بالقمرين الشمس والقمر فجعل وجهها شمسا قابل من بدر السماء قمرا

(وقال) أبو الفتح كشاجم يذكر سواد الشعر وبياض الفرق

رنت فأصابت سرقلبي بلحظة * لها في الحشا الذع وليس لها جرح

وقد حسرت عن واضح الفرق فاحم * كخط على ظلام شق بينهما صبح

* ومما * يتعلق بذكر الشعر ماذكره ابن بسام في الذخيرة قال ومن نوادر الاتفاق الحلوة المساق الغريبة الاتفاق خبر النحلي مع المعتمد بن عباد وذلك انه مشت بين يديه يوما بعض نسائه في غلالة لا يكاد يفرق بينها وبين جسمها وذوائب تخفي أيأة الشمس في مدلهمها فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه فامتزج الجميع لينا واسترسالا وتشابه طيبا وجمالا وأدركت المعتمد أريحية الطرب ومالت بعطفه راح الادب فقال شعرا

وهويت سالبة النفوس عزيزة * تختال بين أسنة وبواتر

ثم تعذر عليه المقال واشتغل عن تلك الحال فقال لبعض الخدام القائمين على رأسه مر الى النحلي وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فأضاف النحلي اليه الاول وقوع الرقعة بين يديه هذين البيتين

راقت محاسنها وراق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر

تندى بماء الورد تسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر

فلما قرأه المعتمد استحسنه واستحضره فقال أو كنت معنا فقال النحلي بكلام معناه يا قاتل المحل أوما تلوت وأوحى ربك الى النحل (الخطابي في غريب الحديث) قال قالت جارية لابيها يا أبت اشتر لي لوطا أغطي به فرعي فاني قد عنقت قال اللوط الرداء والفرع الشعر وقولها قد عنقت تريد قد أدركت

* (فصل في ذكر الجبهة والجبين وما يتصل بهما من ذكر الطرر والسوالف) *

الجبهة على التقريب موضع السجود من الانسان والجبينان يكتنفانها من جانبيها (قال) ابن قتيبة فى أدب الكتاب ولا يكاد الناس يفرقون بين الجبهة والجبين وانما الجبهة مسجد الرجل الذى يصيبه ندب السجود والجبينان مكتنفان لها من كل جانب جبين انتهى كلام ابن قتيبة * ويستحب من الجبهة استرسالها ورقة بشرتها وعدم تعضنها ويقال ان كان بهذه الصفة صلت الجبهة وطلقها وواضح الجبين وليس وضح الجبين كناية عن البياض اذ قد يقال ذلك لمن كان أسمر اللون وضد الصلت والواضح الاغضن والمرأة غضناء وواحد الغضون غضن بالسكون وغضن بالتحريك وتسمى هذه الغضون الاسارير واحدها سرر بكسر السين وفتح الراء وكأن الاسارير جمع أسرار بفتح الهمزة والاسرار جمع سرر فالاسارير على هذا جمع الجمع ويقال فى معنى السرر سرار بزيادة الالف وجمعه على هذا أسرة (قال أبو كثير الهذلى)

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

ويستحب أيضا فى الجبهة اتساعها من غير افراط (قال أبو الفرج فى الاغانى) كانت علية بنت المهدى شقيقة ابراهيم جميلة الصورة الا أنه كان فى جبهتها اتساع مفرط فمن أجلها اخترعت العصائب المكللة (قال الاعشى)

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوحل

فحكى أبو الفرج فى كتابه المذكور عن حماد بن اسحق عن أبيه عن الاصمعى قال قلت لاعرابية ما الغراء فقالت هى التى بين حاجبيها بياض وفى جبينها اتساع يتباعد معه قصتها عن حاجبيها فيكون بينهما تغضف * وهذه القصة التى وصفت الاعرابية هى الطرة وحقيقتها أن تقطع مقدم الناصية وتصف ما بقى منها على الجبهة والجبين صفا معتدلا بحيث لا يصل ذلك الى الحاجبين فيبقى ما بين القصة والحاجبين نقيا من الشعر وجمعها طرر تشبيها لها بطرة الثوب وهى حاشيته وهذا شئ كان النساء يفعلنه قبل هذا الوقت وقد قال الحريرى فى مقاماته لا والذى زين الجباه بالطرر والعيون بالحور وقال فى موضع آخر لو لم تبرز جبهته السين لما تغشت الخمسين شبه أطراف الشعر المصفوف برؤس السينات اذا كتبت وهو مقلوب من قول التهامى

وفى كمالك فاعذر من تيم به * من الحماسن ما فى أجمل الصور

الطرس كالخد والنونات دائرة * مثل الحواجب والسينات كالطرر

والسوالف كناية عن خصل من الشعر ترسل على الخد واحدها سالف

وسالفة وفاعل اذا كان اسما ولم يكن صفة يجمع على فواعل وأصل السالفة صفحة العنق فسميت خصلة الشعر سالفة لاتصالها بالسالفة اذ السالفة هي موضع ارسالها وقد تسمى أيضا اصداغا لهذا المعنى اذ الصدغ هو مبتدأ ارسالها (قال) صاحب الصحاح الصدغ خصلة من الشعر ترسل بين العين والاذن قال ومنه قالوا صدغ معقرب (وأنشد الحصري) في كتابه الموسوم بالنورين لابي فارس وذكر السوالف والاصداغ

سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عيني تمايله
وما السلاف دهتني بل سوالفه * وما الشمول ازدهتني بل شمائله
ألوى بصبري اصداغ لوين له * وغل صدري بما تحوي غلائله

(ولبعض أهل عصرنا وذكر السالف بغير تاء)

أرى سهم لحظ حول عقرب سالف * وكيف نجاتي بين سهم وعقرب
وألحظ ما ظل تسه بالحظ من دمي * على وجنتيها والبنان المخضب

(وقال الشاعر وذكر الاصداغ)

ظباء كالدنانير * كناس في المقاصير
وقد عقرين أصداغا * كاذناب الزرازير

(وقال آخر)

وبنفسي من اذا حسسته * نثر الورد عليه ورقه
واذا مست يدي أصداغه * أفلتت منها فعادت حلقه

أخذ هذا من حكاية تروى عن المغيرة بن عبد الرحمن قال حججت مع أبي وأنا غلام وعلى جمة فجئنا للسلام على عمر بن أبي ربيعة فسلمنا عليه وجلسنا عنده فجعل يعد الخصلة من شعري ثم يرسلها فتتبع الى ما كانت عليه فيقول واشبابا وذكر الحكاية (وقوله فعادت حلقة) أبو عمرو الشيباني لا يجيز حلقة بفتح اللام ويقول انه ليس في كلام العرب حلقة الا جمع حالق وغيره يجيز ذلك على ضعف وانما الوجه تسكين اللام في حلقة الحديد وحلقة الناس

(فصل في ذكر الحواجب) من أوصاف الحواجب الزج وهو دقة طرفي الحاجبين وامتدادهما الى مؤخر العين حتى كأنهما خطا بالقلم وضده الزبب وهو غلظ شعرهما وكثافته (ومن) أوصافها البلج وهو أن يكون ما بين الحاجبين نقيا من الشعر وهو من صفات السود عند العرب وكانوا يتيمنون بالسيد الابلج (وقال الحريري) في مقاماته لا والذي زين الثغور بالفلج والحواجب بالبلج (وقال) أبو

طالب يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وضد البلج القرن وهو أن يطول الحاجبان حتى يلتقى طرفاهما (قال) ثابت في كتاب خلق الانسان يقال رجل أقرن وامرأة قرناء فاذا نسبت الى الحاجبين قلت مقرون الحاجبين ولا يقال أقرن الحاجبين والمعروف من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم البلج ووقع في الحديث لام معبد وصفه صلى الله عليه وسلم بالقرن وهو خلاف المعروف من وصفه ولعل القرن من وصفه صلى الله عليه وسلم كان خفيا جدا وقد تكلمنا على هذا في كتابنا في شرح الشفاء (ولعلي بن رستم الساغاني) وذكر البلج

واحور ساج لم أكن قبل حبه * لاعرف ما وجد باحور ساج

يريك جبينا ساطعا تحت طرة * كسر صباح في صدور دياجي

اذا راش سهم الناظرين برمية * وان كان سهما غير يوم هياج

غداه وترا من حاجبيه حنية * لها البلج الوضاح قبضة عاج

(ولعلي بن المؤمل من شعراء البتيمة وذكر القرن)

أبدين مكنون الهوى لمابدى * للعين لؤلؤ ثغره المكنون

والقلب مقرون بكل بليتة * مذ لاح ذاك الحاجب المقرون

* (فصل في ذكر العيون) * من أوصاف العيون المستحسنة (الكحل) وهو اسوداد الحدقة من غير كحل حتى كأنها قد كحلت (والحور) وهو شدة اسوداد سواد العين مع شدة ابيضاض بياضها وكان أبو عمرو بن العلاء يقول الحور هو أن تتسع حدقة العين حتى لا يظهر معها شئ من البياض كاعين الظباء والبقر قال وليس في بني آدم حور وانما هو تشبيه لها باعين الظباء (والدعج) وهو سعة الحدقة وشدة اسوداد ها (والبرج) وهو سعة العين وشدة ابيضاض بياضها (والنجل) وهو اتساع العين مع حسنها * ومثله العين بالتحريك والمرأة عيناء وجمعها عين (والوطف) وهو طول أشفار العين وتمامها * ومثله الهدب بفتح الهاء والدال المهملة كذا في مختصر العين (ومن) أوصاف العين المستحسنة الفتور وهو انكسار النظر وذبوله في أصل الخلقة وهو معنى وصفهم العين بالمرض والسقم (وقال جرير)

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

وقال

(وقال ابن ميادة)

ونظرن من خلل الستور باعين ❊ مرضى يخالطها السقام صحاح

(وقال عبد الله بن جندب)

ألا ياعباد الله هذا أخوكمو ❊ قتيل فهل فيكم به اليوم ثائر
خذوا بيدى ان مت كل خريدة ❊ مريضة جفن العين والطرف ساحر

(وقال أبو نواس)

ضعيفة كر اللحظ تحسب انها ❊ قريبة عهد بالافاقة من سقم

وهذا الفتور والذبول هو الذى قصد من شبه العيون بالنرجس ألا ترى ان ابن المعتز نبه على ذلك بقوله

وسنان قد طرق النعاس بجفونه ❊ فحكى بمقلته عيون النرجس

ولا يصح ماذكره بعضهم من أن التشبيه انما وقع بنرجس فى المشرق فى أعلاه دائرة كالاصيص بها ورق بيض على شكل العين فان ذلك لم يثبت ولو ثبت لكان لا يشبهها به الا من علم وجوده والتشبيه واقع ممن علم وجود ذلك وممن لم يعلم واستحسن بعضهم فى العين القبل وهو ميل الحدقة فى النظر الى الانف

(وأنشد الثعالبى فى كتابه فقه اللغة)

أشتهى فى الطفلة القبلا ❊ لا كثيرا يشبه الحولا

ولا أعلم لهذا الاستحسان وجها وهو الى المعايب أقرب منه الى المحاسن (ومن) ألوان العيون الزرق والزرقة وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم الزرق فى العين يمن وفى حديث ذكره أبو الفرج فى كتاب النساء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الزرق فان فيهن يمنا (وقال) معاوية رضى الله تعالى عنه لصحار العبدى انك لازرق فقال له معاوية والبازى أزرق (وأخذه الشاعر فقال)

أحبك ان قالوا بعينيك زرقة ❊ كذاك عتاق الطير زرق عيونها

(وقال بعض المتأخرين)

قالوا به زرقة قلت لهم ❊ بذاك تمت خصاله البهجة
ما كحل العين مثل زرقتها ❊ كم بين ياقوتة الى سبجة

(وأنشد الثعالبى فى اليتيمة للواوا الدمشقى)

يا من هو الماء فى تكوين خلقته ❊ ومن هو الخمر فى أفعال مقلته
ومن بزرقة سيف اللحظ طال دمى ❊ والسيف ما فخره الا بزرقته

علمت انسان عيني أن يموم فقد * جادت سباحته في بحر دمعته

قال الثعالبي وهذا كقول السري الموصلي

وقالوا بقلته زرقـــاء * تشين فظل لها مطرقا

وهل يقطع السيف يوم الوغى * اذا لم يكن متنه أزرقا

(ومن) ألوانها الشكلة بضم الشين المعجمة وسكون الكاف وهي حمرة يسيرة تكون في بياض العين فان كانت في سوادها فهي الشهلة وكلاهما مما يستحسنه كثير من الناس والرجل منهما أشكل وأشهل ومثل الاشكل الاسجر بالسين المهملة والجيم (وجاء) في حديث جابر رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العينين خرجه مسلم رحمه الله تعالى من طريق شعبة عن سماك عنه قال شعبة قلت لسماك ما ضليع الفم قال عظيمه قلت فما أشكل العينين قال طويل شقهما (قال) عياض رحمه الله تعالى في الاكمال تفسير سماك ههنا الشكلة بطول شق العين وهم عند جميعهم والصواب في الشكلة انها حمرة بياض العين كما قدمناه نحن قبل وكان الاصمعي يخالف في الاسجر فيقول هو بمعنى الاشهل بالهاء وأكثر اللغويين على خلافه وفي حديث حميد عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أسجر العينين ولم يرد في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهلة وانما وردت في وصف الشكلة (ومن) معايب العين الحوص بالحاء المهملة وهو ضيقها والخوص بالخاء المعجمة وهو ضيقها مع غورها والغمص باللام والخاء المعجمة وهو غلظ الجفن الاعلى والبخص مثله الا انه بالباء المفردة وهو غلظ الجفن الاسفل قال ثابت وذلك خلق في العين ليس داء حادثا فيها

* (فصل في ذكر الانوف) * من أوصافها الشمم وهو استواء أعلى قصبة الانف مع ارتفاع يسير في الارنبة وهو من صفات الجمال وعلامة السودد في الرجال (قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه)

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

(وقال الفرزدق)

يكفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع في عرنينه شمم

وضد الشمم القنا وهو حديداب قصبة الانف مع نزول الارنبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشم بذلك وصفه أصحابه وفي بعض الاحاديث ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان أقنى والمعروف ما ذكرنا والقنا كان فيه

صلى الله عليه وسلم خفيا جدا كما ذكرناه فى البلج والقرن وقد بين ذلك ابن أبى هالة بقوله أقنى العرنين يحسبه من لم يتأمله أشم (ومن) أوصافها الدلف وهو قصر الانف وصغر الارنبة وبعضهم يستحسنه (قال) أبو الخطاب أنشدنى ثابت فى كتاب خلق الانسان

للشم عندى بهجة وملاحة * وأحب بعض ملاحة الدلفاء

(وقريب من الدلف الخنس) وهو قصر الانف وارتفاع يسير فى الارنبة كأنوف الظباء والبقر وهو من المعايب (الجوزى) فى كتاب الاذكياء عن الاصمعى رحمه الله قال كنت عند الرشيد اذ دخل عليه رجل بجارية أراد بيعها فتأملها الرشيد ثم قال خذ جاريتك فلولا خنس بانفها وكلف بوجهها الاشتريتها قال فانطلق الرجل بها فلما بلغت الباب طلبت الرجوع فأمر الرشيد بردها فأنشدته

ما سلم الفاني على حسنه * كلا ولا البدر الذى يوصف

الظبى فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

فأعجبته بلاغتها واشتراها فكانت أحظى جواريه عنده (ومن) معايب الانف ضخامته وكبره (قال) أبو الفرج فى الاغانى كانت رملة بنت عبد الله بن خلف جميلة حسنة الجسم وكان انفها عظيما فكان ذلك يعيبها وتزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر وكانت عنده عائشة بنت طلحة فقال يوما لعائشة فعلت يوم أبى قديد كذا وفعلت يوم سجستان كذا وأقبل بعدد أيام حروبه فقالت له عائشة أنا أعلم انك أشجع الناس وأعرف لك بما كنت فيه أشجع منك فى جميع الايام التى ذكرت قال وما هو قالت يوم اجتليت رملة وأقدمت على أنفها (ومن) معايبه القمع بالقاف والعين المهملة وهو تطامن فى وسطه كذا ذكره ثابت وقال الثعالبى هو اعوجاج فيه والقطس وهو تطامن شديد فيه مع عرض واتساع والكزم بتحريك الزاى وهو قصر أجمع وافتتاح خرقيه كأنوف السودان

* (فصل فى ذكر الخدود) * من الخدود الاسجح وهو المتسع وضده السهل وهو الذى فيه طول يستحسن وكذا الاسيل قال امرؤ القيس

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى * بناظرة من وحش وجرة مطفل

(وقال الاخطل)

أسيلة تجرى الدمع أما وشاحها * فيجرى وأما القلب منها فلا يجرى

والوجنات من الخدود ما ارتفع منها ويجوز تحريك الواو من مفردها بالحركات

الثلاث * وتشبيه الشعراء حمرة الخد بحمرة التفاح والورد وحمرة الخمر والدم باب واسع شائع تكاد شهرته تغني عن ايراد شئ منه ولكن نذكر هنا من ذلك قول العباس بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وذكر التفاح

زارتك من بعض الخدور * بيض نواعم كالبدور
حور تحور الى ضنا * ك باعين منهن حور
* وكأنما برضابهن جنى الرحيق من الخمور
يصبغن تفاح الخدو * د بماء رمان الصدور *

(وقال آخر)

ومنعم كالماء يشفي ذا الصدا * كشفائه ويشف مثل شفيفه
تلقى بخدي التفاح من وجناته * وترى بخدي الورد من تطريفه

(وقال العطوي)

ذات خدين ناعمين ضنينين بما فيهما من التفاح
وثنايا وريقة كسلاف * من رحيق وروضة من اقاح

(وقال البحتري وذكر الورد)

لما مشين بذي الاراك تشاجرت * أعطاف أغصان به وقدود
في روضة حبرورض فالتقى * وشيان وشي رباوشي برود
وصفرن فامتلأت عيون راقها * وردان ورد جنى وورد خدود

(وقال ابن المعتز يضمنت اوصافا)

ليل وبدر وغصن * شعر ووجه وقد
خمر ودر وورد * ريق وثغر وخد

(وعكس خالد الكاتب هذا التشبيه فقال)

رأت منه عيني منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنيرين في الارض
عشية حيانى بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهن الى بعض

(قال حفظة) حدثني خالد الكاتب قال جاء في رسول ابراهيم بن المهدي فسرت اليه فرأيت رجلا أسود جالسا على فرش قد غاب فيه فاستجلسني واستنشدني فأنشدته البيتين فزحف حتى صار على ثلثي الفراش وقال يا فتى نشبه الناس الخدود بالورد وأنت تشبه الورد بالخدود وذكر بقية الخبر (وأنشد) صاحب الزهر لتميم بن المغيرة

ورد الخدود أرق من ❊ ورد الرياض وانعم
هذا تنشقه الانو ❊ ف وذا يقبله الفم
فاذا عدلت فافضل الـ ـوردين ورد يلتثم
❊ لا ورد الا ما تولى صبغ حمرته الدم
سبحان من جعل الخدو ❊ د شقائق تتبسم
وأعارها الاصداغ فهى بها شقيق معلم

(ومن) هذه الابيات أخذ المستنصر العباسى قوله وقد تمشى ببغداد فى بستان الخلفاء المعروف بالرقة مع فضة التى اشتهر بحبها فرأى أغصان ورد وقد مال النسيم بها على النهر فقال

يا نسيم الريح ان بكرت للنهر ورودا
وتمشيت على الرقة سكران عميدا
قل لغصن الورد فى الرو ❊ ض بحق أن تميدا
أظهر المحبوب خدين وأظهرت خدودا
غير ان الفضل عندى ❊ للذى أضحى فريدا
أحسن العالم عينين وخدين وجيدا

(وقال الصنوبرى وذكر الخمر)

ذات خد يكاد يدميه وهم ❊ من مشير بالجد او بالمزاح
فى بياض وحمرة كان قد صبغ حسنا من ماء مزن وراح

(وأنشد ابن أبى طاهر)

له وجنات من بياض وحمرة ❊ فخافاتها بيض وأوساطها حمر
رقاق يجول الماء فيها كأنها ❊ زجاج أجيلت فى جوانبها خمر

(وقال ابن وكيع وذكر الخمر)

أسقم جسمى بسقم طرف ❊ حيرنى فى الهوى احوراره
عجبت من جمر وجنتيه ❊ يحرقنى دونه استعاره

(وأنشد) ابن الجلاب فى روح الشعر لاحمد بن أبى الحكم بن شكيل

أرى عقرب الصدغ فى خدها ❊ وفى كبدى حمة العقرب
وفى وجنتيها شعاع اللهيـ ـب وفى أضلعى قبس الملهب

(وقال) محمد بن يا قوت وذكر الدم قال أبو بكر بن دريد أنشدنيه لنفسه

يصفر لونى اذا تأمله ❊ طرفى ويحمر خده خجلا

حتى كأن الذى بوجنته * من دم خدى اليه قد نقلا

(وأنشد ابن بسام فى الذخيرة لابى أحمد بن جبرة)

مالى بجور الحبيب من قبل * هل حاكم عادل فيحكم لى

حمرة خده من دمى صبغت * ويدعى أنها من الخجل

* (فصل فى ذكر الشفاه واللثات) * الشفاه جمع شفة وثبوت الهاء فى الجمع دليل على ان الاصل ثبوتها فى الواحد ولكنها حذفت منه ومن جمع شفة على شفوات فالمحذوف عنده من شفة الواو * واللثات جمع لثة وهى اللحم المغشى لاصول الاسنان ويسمى ما نزل منه بين الاسنان على هيئة الشرف العصور واحدها عمر ويسمى أيضا القيود ومنه قوله

لمرتجة الاطراف هيف خصورها * عذاب ثنايا الطاف قيودها

(ويستحسن) من الشفاه الشفة اللمياء واللمى مقصورا سمرة يسيرة مستحسنة تكون فى الشفاه واللثات وقد تكسر اللام منه وتضم وحكى الكسر المطرز وحكى الضم أبو على الهجرى (وأنشد القالى لجميل)

تبسم عن ثنايا واضحات * عذاب الطعم زينها الماها

قال وقد يكون اللمى فى غير الشفاه واللثات يقال شجرة لمياء اذا اسود ظلها لكثافة اغصانها (ويستحسن) منه أيضا الشفة الحواء واللعساء والحوة بضم الحاء وتشديد الواو سمرة يسيرة وهو نحو من اللمى وربما كانت أشد منه (قال ذو الرمة)

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى أنيابها شنب

(واللعس) سمرة شديدة تضرب الى السواد ماهى وقالوا شجر ألعس كناية عن كثافته واسوداد ظله (ومن) الشفاه المستحسنة الشفة الظمياء والظما مقصورا سمرة يسيرة مع رقة وضمور ومعنى ذلك فى الشفة ظاهر واذا وصفوا به الريق كنوا به عن رقته وسمرته واذا وصفوا به الظل كنوا به عن السمرة وعدم الكثافة * ورقة الشفاه مما يستحسن وضده الدلم بالتحريك والمرأة دلماء (قال) أبو عبيدة فى كتاب النقائض عند قول الفرزدق

دعون بقضبان الاراك التى حنا * لها الركب من نعمان أيام عرف

فحن به عذب الثنايا غروبة * دقاق واعلى حيث ركبن العجف

قال وقوله حيث ركبن أراد به لحم اللثة يخبر انها قليلة اللحم والعرب تمدح بقلته وتذم بكثرته فلذلك ذكر العجف قال ويستحب أيضا فى الشفة الحوشة وهى

الرقة

الرقة فان غلظت قيل شفة بشعاء بالباء المفردة والثاء المثلثة والعين المهملة والرجل أبشع قال ويقال فى مثل ذلك امرأة شفاهية أى كبيرة الشفة ورجل شفاهى انتهى كلام أبى عبيدة (وقيل) لابن سيرين ان فلانا اشترى جارية غليظة الشفتين فقال لو اشتراها غليظة الشعرين كان خيرا له (ومما) ورد فى ذكر الشفاه واللثات من الشعر قول النابغة

تجلو بقادمتى حمامة أيكة ❊ برد أسف لثاته بالاثمد
كالاقحوان غداة غب سمائه ❊ جفت أعاليه وأسفل ندى
زعم الهمام بان فاها بارد ❊ عذب مقبله شهى المورد
زعم الهمام ولم أذقه انه ❊ عذب اذا ماذاقته قلت ازدد

شبه شفتيها بقادمتى الحمامة وهما الريشتان اللتان فى مقدمتى جناحيها لرقتهما وشدة سمرتهما فجعلها يجلوان اسنانها أى يظهران بياضها بما فيهما من السمرة وكان نساء العرب يحمرن لثاتهن ويجعلن الاثمد عليها فيبقى سواده فيها وهذا كقول الآخر أنشده سيبويه

كقراح ريش حمامة نجدية ❊ ومسحن باللثتين عصف الاثمد

(وقوله) كالاقحوان الخ البيت شبه الثغر بالاقحوان وقد مطر ليلا فجلاه المطر وصفى لونه ثم جف الماء من أعلاه فاشتد بياضه بسبب ذلك وبقى أسفله مترويا بندى الماء وبقية الابيات بينة المعنى (وقال ذو الرمة)

من الواضحات البيض تحوى عقودها ❊ على ظبية من رمل فاردة بكر
❊ تبسم عما رض الغاية جنها ❊ رواق من الظلماء فى منطق نزر

يريد على ظبية بكر من رمل فاردة وهى الرملة التى انقطعت عن معظم الرمل وشبه اسنانها بلمع البرق يشير بذلك الى بياض الثغر وقوله بجنها رواق من الظلماء اشارة الى سمرة شفتيها ولثاتها (ومن هنا أخذ ابن المعتز قوله)

لما تغرى أفق الظلماء ❊ مثل ابتسام الشفة الملياء

(وأنشد الحصرى فى الزهر لكشاجم)

عرضن فعرضن القلوب من الجوى ❊ لابرح من كى القلوب على الجمر
كان الشفاه اللعس منها خواتم ❊ من التبر مختوم بهن على الدر

(وأنشد أبو الفرج فى كتاب النساء)

فما أنسها الا أنس منها اشارة ❊ بسبابة اليمنى على خاتم الفم
وأعلنت بالشكوى اليها فاومأت ❊ حذارا من الواشين أن لا تكلم

فلم أر شكلا راق لى فوق شكلها * كعنابة يرمى بها فوق عندم

(وقال آخر)

عذبت فى الرشف منها شفة * رشفها أطيب من نيل الامل

* وعلتها حمرة فى لعس * تستعير اللون من ورد الخجل

* (فصل فى ذكر الثغور) *

يقال ثغر وثل بفتح الثاء وقد تكسر اذا كان حسن الوصف مستوى النبات والرجل وثل بالكسر فاذا كان بين الاسنان كلها تفريق يسير فالثغر شتيت والرجل شتيت الثغر وليس ذلك بمكروه فان كان التفريق بين الثنايا خاصة فالثغر أفلج والرجل أفلج الاسنان (قال ابن دريد) ولا تقول رجل أفلج الا اذا ذكرت الاسنان معه والفلج من الاوصاف المستحسنة وقد قدمنا قول الحريرى لا والذى زين الثغور بالفلج والحواجب بالبلج وجاء ذلك فى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثنايا صلى الله عليه وسلم خرجه الترمذى رحمه الله فى الشمائل (وقال) عياض رحمه الله تعالى فى الشفاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج ايلج كذا قال وقد سمعت آنفا ما حكيناه عن ابن دريد والاشر فى الاسنان حدة فى اطرافها وتحزيز يكون فى اعلاها وهو مما يستحسن وأكثر ما يكون مع الصغر وحداثة السن والهمزة منه مضمومة وأما الشين فان شئت ضممتها وان شئت فتحتها والشنب هو الماء الجارى على الاسنان وقال بعضهم هو بردها وعذوبة مذاقها (ويروى) عن الاصمعى انه قال سألت رؤبة عن الشنب فأخذ حبة رمان فاذا هى برق فاوما الى بريقها وقال هذا هو الشنب ومثل الشنب بالتفسير الاول الرضاب ومثلها الظلم بفتح الظاء (أنشد ثابت)

وهند نبهت قلبى * غداة النحر اذ ترمى

بوجه مشرق صاف * وثغر بارد الظلم

(وقال أبو على فى الامالى) أنشدنا أبو بكر بن الانبارى فيما أملاه علينا من معانى الشعر

اذا ما احتلى الرانى الها بطرفه * غروب ثنايا ها أنار واظلما

قال الغروب حد الاسنان والرانى المديم النظر وانار من النور أى أصاب نورا واظلم من الظلم وهو ماء الاسنان (قال الرياشى) سمعت الاصمعى رحمه الله تعالى

يقول

يقول أحسن ماقيل فى وصف الثغور قول ذى الرمة

* وتجلو بفرع من أراك كأنه * من العنبر الهندى والمسك ينضح
ذرى اقحوان رائح الليل وارتقى * اليه الندى من رامة المتروح
هجان الثنايا مغربا وتبسمت * لأخرس عنه كاد بالقول يفصح

(وقال) الحصرى فى الزهر ومن قديم هذا المعنى وجيده قول النابغة وذكر الابيات التى أنشدناها فى الفصل الذى قبل هذا قال ومن قوله فيها ولم اذقه أخذ كل من أتى بهذا المعنى وانشد لبشار فى مثله

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * ثنى ولا تجعليها بيضة الديك
يا رحمة الله حلى فى منازلنا * حسبى براحة الفردوس من فيك

(وأنشد) غيره فى مثل ذلك للمجنون ويروى لنصيب الشاعر

كان على أنيابها الخمر سعها * بماء الندى من آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم من أعلى السحابة بارق

(وأنشد أبو الفرج فى الاغانى) هذين البيتين ونسبهما الامرئ القيس

وثغر أغر شتيت النبات * لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظنى به * وبالظن يقضى عليك الحكم

(قال) وسمع مصعب بن الزبير صبيحة بنائه بعائشة بنت طلحة مغنية تغنى بها فقام حتى دنا منها وقال ياهذه انا ذقناه فوجدناه على ماوصفت (وقال ابن الرومى)

تغنت بالمسواك أبيض صافيا * تكاد غرار الدر منه تحدر
وما سر عيدان الاراك بريقها * تأودها فى أيكها تتبصر
لئن عدمت سقيا الندا ان ريقها * لاعذب من هاتيك سقيا واخصر
وماذقته الا بثم ابتسامها * وكم مخبر يدنيه للعين منظر

(كأنه نسج على ابيات ابن أبى ربيعة التى منها)

يمج ذكى المسك منها مفلج * نقى الثنا ياذو غروب مؤشر
يرق اذا يفتر عنه كأنه * حصا برد أو اقحوان منور

(وقال أيضا)

تبسمت عن واضح نير * مفلج عذب اذا أقبلا
كاقحوان الرمل فى حائر * أو كسنى البرق اذا ما علا

الحائر موضع يجتمع فيه الماء (وأخذ أبو حية النميري) قوله أو كسنى البرق فقال

وبيضاء مكسال لعوب خريدة * لذيذ لدى ليل التمام شمامها
كان وميض البرق بين وبينها * اذا حان من بعض البيوت ابتسامها

(وقال ذو الرمة)

اسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * رداح كايماض البروق ابتسامها
كان على فيها وماذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

(وقال الشريف الرضي)

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى * يلفنا الشوق من قرن الى قدم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي * مواقع اللثم في داج من الظلم

(ومن بيتي الشريف أخذ الآخر قوله)

ضممته ضم مغرط الضمم * لا كاب مشفق ولا أم
ألثمه في الدجى وبرق ثنا * يا مريني مواقع اللثم

(وأنشد لحظة)

ومن طاعتي اياه عطر ناظري * اذا هب وأبدى من ثناياه لي برقا
كان دموعي تبصر الوصل هاربا * فمن أجل ذا تسعى لتدركه سبقا

(أخذه أبو الطيب فقال)

تيل خدي كلما ابتسمت * من مطر برقه ثنا ياها

(وتبعه السري بقوله)

اريتني مطرا يسهل ساكبه * من العيون لبرق لاح من برد

وأنشد الحريري في مقامة البيت الاخير من هذه الابيات وهي للبحتري

بات نديما لي حتى الصباح * اهيف مهضوم مكان الوشاح
أمزج ريقي بجنى ريقه * وانما أمزج راحا براح
كأنما يبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو اقاح

وعارض ذلك ببيتيه اللذين قال في البيت الثاني منهما انه البيت النزر الجامع لمشبهات الثغر

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب فاهل من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

(وقال) أبو الريحان في كتاب الجماهر قولهم في اللؤلؤ الرطب رطب انما ذلك كناية عما فيه من ماء الرونق والبهاء ونعومة البشرة وتمام البقاء لان الرطوبة

فضل مقدم لذات الماء فهى تنوب عنه فى الذكر (قال) وليس نعنى بالرطوبة فيه المعنى الذى هو نقيض اليبوسة (وأنشد) فى الكتاب المذكور لبعضهم معتذرا عن كبر الشعر

يقتر عن مثل نظام الدر اتقنه * بحسن تأليفه فى النظم متقنه
عابوا وفوزتنا يا فقلت لهم * الدر أكبر فى العين اثمنه

أخذ معنى هذين البيتين أبو عثمان سعيد بن يحيى الندرومى وهو من تقدم عصرنا قليلا فقال

يعيبون من ثغرى جفاء بنظمه * وعندهم ذاكم يعيب ويبخس
ألم يعلموا ان النفاس جوهر * وان كبار الدر اغلا وأنفس

* (فصل فى ذكر الاعناق) * يقال عنق وجيد وتليل وهاد وكرد وكاد بمعنى وقال بعضهم الكرد أصل العنق وذكر السهيلى ان الجيد عالم تستعمله العرب الا فى المدح لا تقول جيد قبيح ولا جعلت الغل فى جيده وأورد على نفسه قوله عز وجل فى جيدها حبل من مسد فاجاب بان ذلك من نحو قوله سبحانه فبشرهم بعذاب أليم ومن نحو قول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع

* (ومن) أوصاف الاعناق المستحسنة التلع وهو اشراق العنق وانتصابها والسطع وهو كناية عن الطول وجاء ذلك فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم والجيد وهو قريب من السطع والرجل اجيد والمرأة جيداء على القياس فى مثل هذه الصفات (وقال قيس بن الخطيم)

حوراء جيداء يستضاء بها * كأنها عود بانة قصف

وطول العنق مما يستحسن مالم يفرط فاذا أفرط عاد ذما (قال الشمردل)

يشبهون ملوكا فى تحلبهم * وطول أنضية الاعناق واللمم

الانضية بالضاد المعجمة جمع نضى وهو ما بين الرأس والكاهل من العنق كذا قال صاحب الصحاح وقال أبو العباس فى الكامل النضى مركب النصل من السلاح يعنى من السهم قال وانما ضربه فى البيت مثلا (وكان) واصل بن عطاء يعاب بطول عنقه وسمى نعامة لاجل ذلك فقال فيه بشار

مالى اشايع غزالا له عنق * كنقنق الدران ولى وان مثلا

(وكان) جعفر بن يحيى بن خالد طويل العنق طولا مفرطا فقال فيه أبو نواس

ذاك الامير الذى طالت علاوته * كأنه ناظر فى السيف بالطول

وزعموا أن جعفر بن يحيى هو أول من اتخذ هذه الاطواق العراض فى اللباس

المفرج ليستريح اعنقه واستحسنها الناس بعده واستعملوها (وقال امرؤ القيس)

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى * بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل

ليس بفاحش اى ليس بمفرط الطول تحرز بذلك مما ذكرناه (وذكر) أرباب البيان ان من وصف العنق بالطول قول النابغة

اذا ارتعثت خاف الجبان رعانها * ومن يتعلق حيث علق يفرق

وانه أول من فتح للشعراء هذا الباب فتبعوه وأن ابن أبي ربيعة تناوله فاوضحه بقوله

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

وعندى أنه ليس فى هذه الابيات تعرض للعنق ولا اشارة لوصفه بطول ولا قصر وانما يدل على طول المرأة لا على طول عنقها الا ترى انها لو كانت وقصاء وكانت مع ذلك طويلة لصح ان يقال فيها بعيدة مهوى القرط فتأمل هذا الاستدراك تجده صحيحا ان شاء الله تعالى (وقال المران بن منقذ)

وهى هيفاء مضيم كشحها * ضخمة حيث تشد المؤتزر
مسلة الخد طويل جيدها * ضخمة الثدى ولما ينكسر

(وقال ذو الرمة)

لها جيد أم الخشف ربعت فاتلعت * ووجه كمثل الصبح ريان مشرق
وعين كعين الريم فيها ملاحة * هى السحر أو أدنى التباسا وأعلق

(وقال آخر)

وأعجب منها غسداة لقيتها * تهيل أرداف لها ومحاجر
وجيد كاملود الرخام رعاته * بمهلكة صبت عليه الغدائر

(وقال قيس بن الخطيم)

ترائت لنا يوم الرحيل بمقلتى * غرير بملتف من السدر مفرد
وجيد كجيد الريم حال يزينه * توقد ياقوت وفضل زبرجد

(وقال العرجى)

ترى لك وجها فوق جيد كأنما * مثل رخام المرمر المتدمج
كأنما الحلى على نحرها * نجوم بجر ساطع أبلج

(وقال الشاعر وذكر طبية)

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * خلا ان عظم الساق منك دقيق

(ومن) معايب العنق الوقص وهو قصرها والمنع وهو تطامنها والصعر وهو ميلها ومثله الحدل بالحاء والدال المهملتين والغلب وهو غلظها (قال ثابت) ومن كان اغلب لم يستطع ان يلتفت الا بعنقه كلها

* (فصل فى ذكر المعاصم والاعضاد) * المعصم موضع السوار من الذراع وقد يطلق ويراد به الذراع نفسها ويقال معصم خدل بفتح الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة أى ممتلئ ريان وكذلك معصم غيل بفتح الغين المعجمة وسكون الياء المعتلة (المبرد فى الكامل) قال قال أبو المخشن الاعرابى كانت لى ابنة تجلس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة فى ذراع كأنها جمارة فما تقع عينها على اكلة نفيسة الا خطفتنى بها فزوجتها وصار يجلس معى على المائدة ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنابة فى ذراع كأنها كربة فما تقع عينه على لقمة طيبة الا سبقت يده اليها * الجمارة قلب النخلة ويقال قلبها بضم القاف وتشبيه المعصم بها كناية عما فيها من البياض والرطوبة والبضاضة والغضاضة قال أبو حنيفة ورعا شبهوا بها المرأة لاجل ذلك فقالوا كأنها جمارة والكرنابة ما يبقى فى النخلة من السعفة بعد قطعها والكربة بالتحريك الشئ المقطوع منها (وقال أبو حية النميرى)

* ومنه أناة من ربيعة عامر * نؤوم الضحى فى مأثم أى مأثم

فقلن لها فى السر نفديك لا برح * صحيحا والا تقتليه بألم

فالقت قناعا دونه الشمس واتقت * باحسن موصولين كف ومعصم

(أخذه من قول النابغة)

قامت تراآى بين سجفى كلة * كالشمس يوم طلوعها بالاسعد

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

يريد فاجاءتها فسقط نصيفها فسترت وجهها بمعصمها أو بكفها والنصيف ثوب يعجز به (قال الهيثم بن عدى) قال لى صالح بن حسان المدنى أتعلم أن النابغة كان مخنثا فقلت له وكيف ذلك قال ألم تسمع قوله سقط النصيف البيت والله ما يحسن مثل هذه الاشارة الا مخنث من مخنثى العقيق (وأخذه جميل فقال يصف امرأة)

غدا الاعبا فى الحى لم يدر أننا * عمدنا لأرض لنا بطريق

فلما انتصينا اتقانا بكفه * وأعلن منا روعة بشهيق

(وقال) مسلم بن الوليد فى مثل ذلك وأحسن كل الاحسان على بشاعة تشبيهه وشناعته

فاقسمت أنسى الداعيات الى الصبا * وقد فجأتها العين والستر واقع
* فغطت بايديها ثمار نهودها * كايدى الاسارى أثقلتها الجوامع

(وأنشد أبو الفرج فى كتاب النساء لجميل)

وسواعد عرضت وكشح ضامر * جال الوشاح عليه كل مجال
* وبجيد غرير ساق خدلة * بيضاء تسكت منطق الخلخال

(وأنشد أيضا لابى دهبل الجمحى وذكر الخضاب)

وكف كهداب الدمقسى لطيفة * لها درس حناء حديث مضرج
تجول وشاحاها ويغرب خصرها * ويشبع منها وقف عاج ومرمر

(ومن أناشيد الثعالبى فى اليتيمة)

قد حجبت وجهها عن النظر * بمعصم حل عقد مصطبرى
كأنه والعيون ترمقه * عود صليح فى دارة القمر

(ومما يتعلق بهذا الفصل الابيات المتداولة التى يتغنى بها)

صل من هويت ودع مقالة حاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متوسدين عليها كف الهوى * متعانقين بمعصم وبساعد
يا من يلوم على الهوى أهل الهوى * هبهات تضرب فى حديد بارد

(وفى) مثل هذه الابيات فى شهرتها وتداولها والتغنى بها وهى مما نحن بسبيله الابيات الاخرى التى أولها

مشتاقة طرقت فى الليل مشتاقا * أهلا بمن لم تخن عهدا وميثاقا
أهلا بمن ساق لى طيف الاحبة بل * أهلا وسهلا وترحيبا بمن ساقا
يا زائرا زار من قرب على بعد * آنست مستوحشا لا ذقت ما ذاقا
الله يعلم لو انى استطعت لقد * فرشت عمشاك خدا فوق آماقا
يا ليل عرج على العين قد جعلا * عقد السواعد للاعناق أطواقا
فناق العناق وضم الشوق بينهما * ضم الفريقين أعناقا فاعتاقا

أنشد هذه الابيات أبو محمد الرشاطى فى كتابه المسمى باقتباس الانوار وذكر انها لابى عبد الله الجامدى بالجيم منسوب الى الجامدة قرية من قرى واسط وتروى لعمر بن أبى ربيعة وادعاها كثير من الشعراء (وأنشد) الرشاطى أيضا

لابى عبد الله الجامدى عفا الله تعالى عنه

سقانى وحيانى وبات معانقى ✻ فيا عطف معشوق على دل عاشق
وبالليلة باتت سواعدنا بها ✻ تدور على الاعناق دور المخانق
نبث من الشكوى حديثا كأنه ✻ قلائد در فى نحور العواتق ✻

✻فصل فى ذكر الانامل وتطريفها بالحمرة والسواد✻

(قال امرؤ القيس بن حجر)

وتعطو برخص غير شثن كأنه ✻ أساريع ظبى أو مساويك اسحل

تعطو أى تتناول والشثن الغليظ الجافى يقول ان أناملها ليست كذلك والاساريع جمع أسروع وهى دود بيض الاجساد حمر الرؤس شديد الغضاضة والنعومة فشبهها بها لبياضها ونعومتها وقد يمكن ان يكون أشار الى أن هذه الانامل قد طرفت بالحمرة كأنها رؤس تلك الاساريع وظبى موضع معروف وهذه الاساريع هى بنات النقى التى قال فيها ذو الرمة

نواعيب أملود كأن بنانها ✻ بنات النقى تخفى مرارا وتظهر

والاسحل شجر يشبه الاثل تتخذ منه المساويك فشبه البنان بمساويكه للطافتها واستوائها (وفى هذه المساويك يقول ذو الرمة وذكر البنان)

جرى الاسحل الاحوى برخص مخضب ✻ على الغر من أنيابها فهى تصدع

(وقال النابغة)

بمخضب رخص كأن بنانه ✻ عنم يكاد من اللطافة يعقد

يقال العنم التى شبه النابغة بها هى الاساريع التى شبه امرؤ القيس بها ويقال بل العنم شجر لين الاغصان محمر الثمر يشبه به البنان المخضوبة وكثير من الرواة يروى بيت النابغة ✻عنم على أغصانه لم يعقد✻ فهذا يدل على ان العنم نبت لا حيوان ✻ وكذلك قول الشريف الموسوى

والمستنى وقد جد الوداع بنا ✻ كنا شبيهة غصنان من العنم

يدل على أن العنم عنده شجر (قال ابن رشيق فى العمدة) تشبيه امرئ القيس الانامل المخضوبة بالاساريع من أبدع التشبيهات اذ هى كأحسن البنان لينا وبياضا وطولا واستواء قال غيره ان نفس الحضرى المولد اذا سمعت قول أبى نواس فى ذكر الكاس

تعاطيكها كف كأن بنانها ✻ اذا اعترضته الكف نف مرارى

أو قول علي بن العباس الرومي

سقى الله قصرا بالرصافة شاقني * بأعلاه قصرى الدلال رصافي
أشار بقضبان من الدر رقمت * بواقيت حمرا فاستباح عفافي

أو قول عبد الله ابن المعتز

اشارت باطراف رطاب كأنها * أنامل در رقمت بعقيق
وقالت كلانا الله في كل موطن * مكانك من قلبي مكان شقيق

كان ذلك أحب اليها من تشبيه البنان بالدود في بيت امرئ القيس وان كان تشبيهه أشد اصابة انتهى كلام ابن رشيق

(وقال الصنوبري في نحو مما تقدم)

بسطت أنامل لؤلؤ أطرافها * فيها تطاريف من المرجان
وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى * وتنقبت بشقائق النعمان

(ومن قديم ما قيل في هذا المعنى قول عكاشة العمي)

قم فاسقني من قهوة أكوابا * تدع الصحيح بعقله مرتابا
من كف جارية كان بنانها * من فضة قد طرفت عنابا

(ولابن المعتز في التطاريف السود)

وكف كان الشمس مدت بنانها * الى الليل تجلوه فقبلها الليل

(وقال بعض المتأخرين)

وحوراء اللواحظ بين قلبي * وبين جفونها حرب البسوس
ترى ماء النعيم يجول فيها * كمثل الخمر في صافي الكؤوس
كأن بنانها اقلام عاج * مرصعة الرؤس بآبنوس

(وانشد ابن الجلاب في روح الشعر لابي بكر محمد بن عياض القرطبي)

* وعلقتها فتانة أعطافها * تزري بغصن البانة المياد *
من للغزالة والغزال بمقلتها * في الخد أو في العين أو في الهاد
خضبت أناملها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

(وقد) قدمنا في باب الزينة ما ورد في السنة من كراهة التطريف والنقش واستحباب الغمس أي الخضاب ثم تلونا ذلك بما ورد في اباحتها والترخيص فيها اما أغنى عن تكراره هنا فينظر ذلك هنالك

* (فصل في ذكر النحور والصدور) *

النحر موضع القلادة من الصدر كذا قال صاحب الصحاح قال وكذا اللبة وقال

الاعلم فى شرحه للاشعار الستة عند قول امرئ القيس

مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترائبها مصقولة كالسجنجل

قال الترائب جمع تريبة وهى موضع القلادة من الصدر فتخرج من كلامهما ان النحور واللبات والترائب الفاظ مترادفة وفى ذلك نظر (ومن أبيات الحماسة)

سود ذوائبها بيض ترائبها * ردم مرافقها فى خلقها عمم

ردم أى ممتلئات باللحم وعمم أى تمام وكمال (وأنشد ثابت فى كتاب خلق الانسان)

والزعفران على ترائبها * شرق به اللبات والنحر

فهذا قد أخبر ان صفرة ترائبها انما هى لاجل الخلوق فأما قول بن مطيرة أنشده أبو على فى الامالى

بصفر تراقيها وحمر أكفها * وسود نواصيها وبيض خدودها

(وقول بشار)

وصفراء مثل الزعفران شربتها * على صوت صفراء الترائب رود

حسدت عليها كل شئ يمسها * وما كنت لولا حبها بحسود

فيحتمل أن تكون هذه الصفرة صفرة الخلوق كما تقدم وأن تكون صفرة الحلى المذهب كما قال عاصم فى شرحه للحماسة (وقال الشاعر فيما يتعلق بهذا الفصل)

حقاق من العاج قد ركبت * على صحن صدر من المرمر

(وقال ابن المعتز)

وذات دلال سبت مهجتى * بمستشرفين على مرمر

كأن العقود على نحرها * نجوم تنظر الى المشترى

(أخذه من قول الحارث بن خالد)

كأنما الحلى على نحرها * نجوم بفرسا طلع أبلج

(وقال الاعشى)

عهدى بها فى الحى قد سربلت * هيفاء مثل المهرة الضامر

قد نهد الثدى على نحرها * فى معصر ذى بهجة ناضر

لو أسندت ميتا الى نحرها * عاش ولم ينقل الى قابر

(أنشد صاحب الزهر للعباس بن الحسين بن عبد الله بن العباس بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم)

أتاح لك الهوى بيض حسان * سبينك بالعيون وبالثغور

نظرت الى النحور فكدت تقضي ❊ وأولى لو نظرت الى النحور

❊ (فصل في ذكر الثدي واختلاف الناس فيما يستحسنون من كبرها أو صغرها) ❊

يقال للمرأة اذا كعب ثديها أي ظهر كاعب فاذا فلك أي استدار قيل مفلكة فاذا نهد أي علا وأشرف قيل ناهد وبعضهم يجعل الناهد والمفلكة واحدا (قال أبو الفرج) قيل لابراهيم بن سيار النظام أي مقادير الثدي أحمد فقال وجدت الناس يختلفون في الشهوات وسمعنا الله تعالى يقول حين وصف الحور العين وكواعب أترابا ولم يقل فوالك ولا بواهد (وقالت العرب) يسار الكواعب ولم تقل يسار الفوالك ولا يسار النواهد فآثر النظام ابتداء النهود وفي ضمن ذلك تفضيله صغر الثدي على كبره (وقال كثير في مثل هذا)

نظرت اليها نظرة وهي عاتق ❊ على حين شبت واستبان نهودها

نظرت اليها نظرة ما يسرني ❊ بها حمر أنعام البلاد وسودها

وبين ابن الجهم القدر الذي يريده من يريد صغر الثدي بقوله

يملأ الكف ولا يفضله ❊ واذا أثنيته لا ينثني

(وسئل آخر فقال)

أريده ضخما في غير تعديد ❊ مركنا في غير تبديد

فهذا استصغر كبره وأراد منه أن يكون مركنا أي ذا أركان وهو المقعد الذي عناه النابغة بقوله

والبطن ذو عكن لطيف طيه ❊ والثغر ينفحه بثدي مقعد

(قال أبو عبيدة) دخل مالك بن الحارث الاشتر على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صبيحة بنائه على بعض نسائه فقال له كيف وجدت أهلك يا أمير المؤمنين قال نكحت امرأة لولا أنها جداء قباء فقال وهل يريد الرجال من النساء الا ذاك قال لا حتى تروى الرضيع وتدفئ الضجيع الجداء صغيرة الثديين والقباء اللطيفة الكشحين (الجاحظ في البيان) قال كتب الحجاج بن يوسف الى الحكم ابن أيوب أن يخطب على ابنه عبد الملك امرأة جميلة من بعيد سليمة من قريب شريفة في قومها دليلة في نفسها أمة لبعلها فكتب اليه ان قد أصبتها وهي خولة بنت مسمع لولا عظم ثديها فكتب اليه الحجاج لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها وزوجها ابنه (وقال المرار بن منقذ)

ضليلة الخد طويل جيدها ❊ ضخمة الثدي ولما ينكسر

(ومن هذا أخذ بشار قوله)

والثدى تحسبه وسنان أو كسلا ❊ وقد تمايل ميلا غير منكسر

(ومن أبيات الحماسة)

أبت الروادف والثدى لقمصها ❊ مس البطون وان تمس ظهورا

واذا الرياح مع العشى تناوحت ❊ فبهن حاسده وهجن غيورا

يقول ان ارتفاع ثديها يمنع الثوب أن يمس البطن وارتفاع ردفها يمنعه أن يمس الظهر فاذا تناوحت الرياح اى أتت من كل ناحية وبعدت بين جسمها والثوب هواء خاليا فتكنت من رفعه فيبدو ما تحته فينتبه حسد الحاسد وتهيج غيرة الغيور ❊ وينظر الى طرف من هذا المعنى قول الفرزدق

اذا بطحت فوق الاثاث رفعنها ❊ بثديين فى صدر عريض وكعثب

زعم انها اذا بطحت على وجوهها لم تمس الارض بشئ من بدنها الا برؤس ثديها وبكعثبها العظم ذلك فصارت لبدنها كالاثاث وسيأتى الكلام على هذا البيت بعد هذا (وقال الاعشى فى الناهد)

عهدى بها فى الحى قد سربلت ❊ هيفاء مثل المهرة الضامر

قد نهد الثدى على نحرها ❊ فى مشرف ذى بهجة ناضر

(وقال عبد الله بن أبى السمط)

كأن النهود وقد ذلكت ❊ وزان العقود عليها النحورا

سقاق من العاج مكنونة ❊ حملن من المسك شيأ يسيرا

(وهذا كقول ابن الرومى)

صدور فوقهن سقاق عاج ❊ ودرزانه حسن اتساق

يقول القائلون وقد رأوه ❊ أهذا الدر من هذا السقاق

ونحو منه قول الآخر

سقاق من العاج قد ركبت ❊ على محض صدر من المرمر

خشين السقوط فانبتنها ❊ بشبه مسامير من عنبر

والاصل فى ذلك كله قول عمرو بن كلثوم

وثديا مثل حق العاج رخصا ❊ حصانا من أكف اللامسينا

(وقال ابن المعتز)

وذات دلال بت منها بمستشرفين على مرمر

كأنهما خيرطا كافورة ❊ باعلاهما نقطتا عنبر

(وأنشد الجمازي في المشهب لبعضهم)

يا صاحبي بحجتي خصانة * مالت فمال الغصن من أعطافها
في الصدر منها للطعان أسنة * ما أشرعت الا الى قطافها
ان افكرت قتلي هناك فتشا * تهدادي قد حف في أطرافها

ويتطرف طرفا من معنى هذه الابيات ما أنشده ابن الابار في كتاب الحلة السيراء للامير المقدس أبي زكريا رحمه الله تعالى

وحمراء تستعلي بنهدين أشرعا * ولا غرو ان بدعوهما فأتبعه
تقول وقد رقت لما بي أجازع * وأنت جرى والاسنة مشرعة
فقلت لها خفناك عز المجد لدى * ونهداك مذ انفس هيمان موجعه
ومازات ألقى القرن بعسل رمحه * فكيف بمن تلقى الفؤاد بأربعه

وقال ابن الابار صدر هذا عنهم (وقد) أنشد بجملهم للقاضي أبي بكر بن العربي في مداعب له من فتيان الملثمة هزر رمحه عليه وأومأ به اليه

يهز على الرمح ظبي مهفهف * لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

قال كذا قرأته في ديوان شعره والبيتان عندي بالاسناد للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (أبو الفرج في كتاب النساء) قال كان هشام بن عبد الملك مشتهرا بحب ابنته عائشة دون سائر أخواتها وكان لا يصبر عنها وكان اذا ركب في جنده ركبت بين يديه وان نديها في صدرها كالرمانتين

* (فصل في ذكر الخصور) *

(قال امرؤ القيس)

وكشح لطيف كالجديل مخصر * وساق كأنبوب السقي المذلل

الكشح الخصر والجديل العنان المظفور يشير بذلك الى رقة الخصر واضماره

(ومن أبيات الحماسة)

عقيلية أما ملاث ازارها * فدعص وأما خصرها فبتيل

ملاث ازارها الموضع الذي يلاث الازار عليه أي يلف يريد ردفها والدعص هو الكثيب من الرمل وبتيل أي رقيق والبتل القطع يريد انه لرقته قد يكاد ينقطع وهذا كقول ابن عبد ربه

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب خليقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * دراية ومن الحياء عقيقا

واذا نظرت الى محاسن وجهه ❊ ألفيت وجهك فى سناه غريقا
يامن تقطع خصره من رقه ❊ مابال قلبك لا يكون رقيقا

(ويقال) ان أبا الطيب المتنبي لما سمع هذه الابيات صفق بيديه استحسانا لها وقال والله يا ابن عبدريه لتأتينك العراق حبوا (وقال حبيب)

معها الوحش الانها أوانس ❊ فنا الخط الان تلك ذوابل
من المهيف لو ان الخلاخل ضمرت ❊ لها وشحا جالت عليها الخلاخل

(وقال أبو الطيب)

وخصر تثبت الابصار فيه ❊ كأن عليه من حدق نطاقا

(أخذه السرى فقال)

وأغيد مهتز على لحن خصره ❊ غلائل من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيون الناظرين بخصره ❊ فصار له دون النطاق نطاق

(وقد) أنشدنا فيما تقدم من الفصول بيتى العباس بن الحسن وهما

أباح لك المهوى بيض حسان ❊ سبيناك بالعينين و بالثغور
نظرت الى الخصور فكدت تقضى ❊ وأولى لو نظرت الى الخصور

(وقال أحمد بن المغلس من شعراء اليتيمة)

أبروق تلالأت أم ثغور ❊ وليال دجت لنا أم شعور
وغصون تأودت أم قدود ❊ حاملات رمانهن الصدور
مثقلات أردافهن ولكن ❊ مرهفات من فوقهن الخصور

❊(فصل فى ذكر العكن)❊ من استحسن من المرأة الخصور والهيف لزم أن يكون غير مستحسن للعكن فان العكن لا تكون الا مع السمن ولاجل هذا احتاج النابغة الى التحرز فى قوله

والبطن ذو عكن لطيف طيه ❊ والخصر تنفجه بثدى مقعد

قوله لطيف طيه تحرز من السمن المعيب فاراد ان بطنها ألطف ما يمكن أن تكون عليه بطن ذات عكن وقد تقدم حديث هيت المخنث وقوله لعبد الله بن أبى أمية عليك ببادية بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان مراده بذلك انها تقبل باربع عكن ولكل واحدة طرفان مما يلى ظهرها فهى تدبر بثمان

(قال الشاعر)

لما رأت ان الرحيل قد سان ❊ قامت تهادى فى رقيق الكتان
بواضح الوجه جميل الخيلان ❊ وعكن مثل متون الغولان

وقال يزيد بن معاوية فى زوجته أم خالد بنت هاشم بن عتبة

لها عكن بيض كأن متونها * اذا شف عنها السابرى قداح

(وقال آخر)

لها كفل وافٍ وبطن معكن * وخشم مثل القعب غير منوّر

وقد تقدم انشاد هذا البيت مع صلته قبل هذا * والرشاطى فى اقتباس الانوار * قال كان سابور بن اردشير أجمل ملوك فارس وكان قد استولى على بعض الشام وتوجه الى سواد العراق فحاصر صاحب الخضر وهو حصن منيع كان هنالك فأقام عليه أربعة أعوام لا يقدر منه على شئ وأشرفت ابنة صاحب الحصن وكانت تسمى نظيرة وكانت أجمل نساء زمانها فرأت سابور فهويته وراسلته فاشترط لها ما أرادت ودلته على غرة من الحصن فملكه وقتل أباها وأعرس بها فلم تزل ليلتها تلك تتقلب على فراشها الا تنام فسألها عن ذلك فقالت له ان جنبى لينبو عن فراشك هذا فقال انه لمن خز الصين وانه لمحشو بالقز وما نامت الملوك على ألين منه ثم أمر بان يلتمس ما كان يؤذيها فوجدوا ورقة آس قد كانت على الفراش قد لصقت باحدى عكنها فأزيلت من عكنها وقد أثرت فيها وجرى الدم من مكانها وذلك للينها ونعمتها وفى الحكاية طول (وقال ابن وكيع) فى غاية تعلق بهذا الفصل أنشده الخضرى فى كتاب نور الطرف

خذها بكفى فاتر الجفون * مدامة كدمعة المحزون

على غدير املس المتون * مثل فرند الصارم المسنون

أمواجه كعكن البطون

(وكرر ابن وكيع هذا المعنى فى قوله)

سقانى كأس الراح شاطئ جدول * تدار بجه يحكين بطنا معكنا

اذا صافحته راحة الريح خلته * بتكسيرها اياه ثوبا معينا

(وأنشد ابن الجلاب فى روح الشعر لابن صارة)

والنهر قد رقت غلالة متنه * وعليه من ذهب الاصيل طراز

تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن البطون تضمها الاعجاز

* (فصل فى ذكر السرر) *

قال صاحب الصحاح تقول كان ذلك قبل أن يقطع سرك بالضم ولا تقول قبل أن تقطع سرتك لان السرة لا تقطع انما هى اسم للموضع الذى يكون فيه السر والسر

هو الطرف الذى يقطع منها وقد قدمنا فى باب الاوصاف الجملة ان السرة من الاربعة التى يستحب اتساعها من المرأة وذكرنا أن قولهم فى وصفها كمدهن العاج اشارة الى اتساعها وبياضها (وقال) ابن المعتز وجمع بين ذكر العكن والسرر

وتحت زنانير شددن عقودها * زنانير أعكان معاقدها السرر

(قال) أبو الحسن الباخرزى فى كتاب دمية القصر لم أزل أستحسن هذا المعنى لابن المعتز ويمكنى الاعجاب به حتى سمعت قول التهامى

وغادرت فى العداطعنا يخف به * ضربا كما خفت الاعكان بالسرر

فغطى استحسانى لهذا البيت على استحسانى لما قبله (ومن) كتاب كنوز المطالب لابن سعيد وذكر تميم بن المعز فقال ومن أحسن ما قيل فى نيل مصر قوله

يوم لنا بالنيل مختصر * ولكل يوم مسرة قصر
والسفن تصعد كالخيول بنا * فى موجه والماء يخدر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما دارانه سرر

(قال) ابن سعيد وقد رويت هذه الابيات للامير منصور بن دبيس فى نيل العراق (ولبهاء الدين زهير بن محمد المصرى)

هب ذا نفحة ريح * فرجت عنى غمه
ضربت ثوب فتاة * فأظهرت فيها وشمه
فرأيت البطن والسرة والخصر وثمه

(وذكر الباخرزى) فى كتاب دمية القصر المذكور قبل مما يتعلق بهذا الفصل وان لم يكن فيه تصريح بذكر السر قال أمر بهاء الدولة أبا الحسن بن أحمد البتى أن يكتب له أبياتا من الشعر من نظمه مستحسنة لتكتب على تكة سراويل فقال ارتجالا

لم لا أنيمه ومضجعى * بين الروادف والخصور
* واذا نسجت فانى * بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة * بأكف رباب الخدور

(قال الباخرزى) وصدق هذا من أحسن ما قيل فى هذا المعنى قال الباخرزى والتكة هى قفل اللذة

* فصل فى ذكر الفرج وما ورد فى النظر اليه منها واباحة *

لم يختلف أحد فى استحسان ضخامة الفرج وكبره ومن اختلف فى استحسان

السمن أو الضمور وكبر الثدى وصغره ووفور العجيزة أو توسطها لم يختلف فى هذا بل جميعهم متفق على ان الفرج مهما ازداد ضخامة ووفورا ازداد حسنا واستحق تفضيلا ومدحا (قال النابغة) يذكر المتجردة امرأة النعمان وقد كان النعمان سأل ذلك منه فقال

واذا المست لمست أخشم جاثما * متميزا عكانه مس اليد
واذا طعنت طعنت فى مستهدف * رابى المجسة بالعبير مقرمد
واذا نزعت نزعت عن مستخصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

الاخشم بالخاء المعجمة والشاء المثلثة العريض المرتفع والجاثم بالجيم هو الذى ثبت فى موضعه وتمكن وأصل الجاثم الرابض اللاصق بالارض وقوله متميزا عكانه يعنى انه قد حاز ما حوله وبرز والمستهدف المرتفع وكذا الرابى والعبير الزعفران والمقرمد المطلى وقوله واذا نزعت نزعت عن مستخصف أصل النزع جذب الحبل من البئر فضربه مثلا لجذب الذكر من الفرج والمستخصف الشديد الضيق القليل البلل والحزور الغلام القوى والرشاء الحبل المفتول يقول هو ضيق فاذا نزعت عنه نزعت بشدة كما ينزع الغلام القوى بالحبل المحكم الفتل وخصه بذلك لانه يأمن عليه فيشتد جذبه له (وأنشد سيبويه)

ان لها مركبا ارزبا * كأنه جبهة ذراحيا

المركب والركب أعلا الفرج والارزب الغليظ ويروى مركنا بالنون وهو كناية عن شكله يريد انه ذو اركان (وقد) شبهوه بكركرة البعير وهى الرحا التى تحت زوره وما أراد وا بذلك الا نتوه وعظمه وجرمه (قال أبو عبيد الاسدى) يخاطب أسماء بنت خارجة ويشير الى ابنته هند

جزاك الله يا أسماء خيرا * فقد أرضيت فشلة الامير
بصدع قد يفوح المسك منه * عظيم مثل كركرة البعير

وشبهوه أيضا بسنام البعير والناقة قال عبد بنى الحسحاس

من كل بيضاء لها كعثب * مثل سنام البكرة المابر

وبالقعب المكفوء وهو القدح المقلوب وذلك أيضا لضخومته ونتوه وقد تقدم قول هبيت فى بادية بنت غيلان وبين رجليها مثل القعب المكفوء (وقال الشاعر)

لها كفل واف وبطن معكن * وأخشم مثل القعب غير منور

يشير بقوله غير منور بكسر الواو انه حلق ولم ينبت بعد * ومن أبيات الحماسة

قامت تمطى والقميص مخرق * فصادف الخرق مكانا قد حلق

كأنه قعب نضار منفلق

(وأنشد أبو على فى الامالى وهو للاعشى)

اذا انبطحت جافى عن الارض بطنها * وخوى بها راب كهامة جنبل

* اذا ما علاها فارس متبذل * فثم فراس الفارس المتبذل

خوى بها بالخاء المعجمة أى رفعها والجنبل بضم الجيم هو القدح العظيم يقول ان كعثبها الضخامته يرفعها اذا انبطحت فيتجافى لذلك بطنها عن الارض وهذا كقول الفرزدق

اذا بطحت فوق الاثافى رفعنها * بثديين فى صدر عريض وكعثب

زعم انها اذا بطحت لم يمس الارض منها الا ثدياها وكعثبها فكانت لبدنها كالاثافى وقد تقدم الكلام على هذا البيت وقوله اذا ما علاها فارس متبذل هو كقول الفرزدق أيضا

ما مر كب ورد كوب الخيل يعجبنى * كمركب بين دملوج وخلخال

ألذ للفارس المجرى اذا انبهرت * أنفاس أمثالها من تحت أمثالى

وقد ذموا بصغر الفرج وهجوا به وعدوه من أوصاف النساء المذمومة وقالوا امرأة قعرة بفتح القاف وكسر العين المهملة اذا كانت قليلة لحم الفرج (وقال) ابن ميادة يهجو نساءه

وتبدى الجيسيات فى كل زينة * فروجا كآثار الصغار من البهم

يعنى آثار اطلافها فى الارض اذا مشت قال ابن ميادة فاتفق لى ان ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها فدفعت الى حى الجيسيين فرأيت عجوزا بفناء بيت فأقبلت عليها أنشدها فعرفتنى وأنا لا أدرى وكانت جالسة بفناء البيت فاستوقفتنى ثم دخلت الى البيت وكلمت جارية لها فلم يرعنى الا ريح الطيب قد نفح من البيت واذا امرأة جميلة قد هتكت الستر واستقبلتنى وعليها ازار أحمر فأطلقته وقالت انظر يا ابن ميادة الزانية أهكذا كانت قال فما رأيت قط أعظم منها اقبالا لقد نابين فخذيها كأنه القعب المكفوء فقلت لا والله ما هو كانت وما هو الا كآثار القياسرة الدهم وانصرف ابن ميادة وفى نفسه من المرأة شئ فكان ينسب بها القياسرة والقياسرة الابل العظام والجيسيات بالجيم منسوبات الى بنى جيس بن عامر قال ذلك الرياشى فى اقتباس الانوار (الصولى) فى كتابه

المؤلف فى أخبار أبى تمام حبيب بن أوس قال حدثنى محمد بن سعيد عن عمر بن شبة عن الاصمعى قال كان الناس يقدمون قول أبى النجم فى ذكر الفرج ويتعجبون من حسن وصفه وذلك قوله

كأن تحت درعها المنفط * اذا بدا منها الذى تغطى
شطا رميت تحته بشط * ضخم القذال حسن المخط
كأنما قط على مقط * كمامة الشيخ اليمانى الشط
لم يعل فى البطن ولم يغط

(قال) الصولى فلما قال بشار

عجزاء من سربى مالك * لهاهن من بطنها أرفع
زين أعلاه باشرافه * وانضم من أسفله المشرع

عفى على ذلك فحفظه الناس وقدموه انتهى كلام الصولى * المنفط المنشق المخرق وأنشده ابن قتيبة فى أدب الكتاب المنقد بالدال وجعله مما أبدل من القوافى والشط سنام البعير كذا قال ابن قتيبة وقال الخليل الشط شق السنام قال ابن السيد فى الاقتضاب وهو أحسن فى التشبيه (ولابن سارة من شعراء الدخيرة فى وصفه)

أبرزت اذ بدت لنا * كعثبا ملؤ اليدا
فيه فرج كأنه * عقد عشرين مفردا

(قال) بعض اللغويين الحارقة من النساء بالحاء المهملة والقاف هى الضيقة الفرج قال ومنه حديث على رضى الله تعالى عنه خير النساء الحارقة وللحارقة أيضا تفسير آخر غير هذا يأتى بعد وقد تقدمت أبيات ابن الرومى فى وصف ضيق الفرج وحرارته فى باب الالوان * ونذكره ههنا فصلا فى اباحة النظر الى الفرج وابطال ماروى فى ذلك من المنع منقولا من كلام الامام أبى الحسن بن القطان فى كتابه المسمى بالنظر فى أحكام النظر قال ابن القطان أما النظر الى الفرج فوضع خلاف اجازه المالكية وقيل لاصبغ ان قوما يذكرون الكراهة فيه فقال من كرهه فانما كرهه بالطب لا بالعلم ولا بأس به وليس بمكروه وروى عن مالك لا بأس ان ينظر الى الفرج فى الجماع زاد فى روايته ويلمسه بلسانه وهذه مبالغة فى الاباحة وليس على ظاهره (قال) القاضى أبو الوليد بن رشد أكثر العوام يعتقدون أن لا يجوز للرجل ان ينظر الى فرج امرأته فى حال من الاحوال قال وقد سألنى عن ذلك بعضهم واستغرب أن يكون جائزا (قال) ابن

القطان وعلى هذا أيضا مذهب الحنفية فى الجواز وأما الشافعية فلهم فيه قولان أحدهما الاباحة والآخر المنع كما تقدم والنظر الى داخله عندهم أشد ذكر ذلك الغزالى ولم يحك فيه عن الشافعية قولا ثالثا وأعرفه لابى اسحق منهم قال يكره النظر اليه لانه مخف ودناءة ولا يحرم (قال) وقد روى فى منع ذلك واباحته حديثان لا يصح حديث منهما (فاما) حديث المنع فروى تقى بن مخلد عن هشام بن خالد عن بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر أحدكم الى فرج زوجته ولا فرج أمته فان ذلك يورث العمى ورواه أبو احمد بن عدى عن بقية أيضا بالسند المذكور فقال اذا جامع أحدكم جاريته أو زوجته فلا ينظر الى فرجها فان ذلك يورث العمى قال فيه أبو احمد بن عدى حديث منكر قال ابن القطان ليس فى رواته من ينكر حديثه غير بقية فقد قال المحدثون بقية أحاديثه غير نقية فكن منها على تقية (وأما) حديث الاباحة فروى عبد الرحمن بن زياد عن سعيد بن مسعود الكندى ان عثمان بن مظعون اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى لا أحب ان انظر الى عورة امرأتى ولا ان ترى عورتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعلها لك لباسا وانى أرى ذلك منهن ويرينه منى قال فمن بعد ذلك يا رسول الله أولى قال ابن القطان فى سند هذا الحديث ضعف وجهالة وعبد الرحمن بن زياد كاف فى ضعفه هذا

✻ فصل فى ذكر الارداف ✻

الردف والكفل والعجز والعجيزة والمأكمة واحد ويقال امرأة عجزاء اذا كانت عظيمة العجيزة وذلك من صفات المرأة المستحسنة وكره بعضهم افراط كبرها وضد العجزاء الزلاء والرسحاء وهما صفتا ذم عند الجميع قالوا كانت الثريا صاحبة عمر بن أبى ربيعة تصب الماء على رأسها فلا يصل الى نفذيها منه شئ لوفور عجيزتها (وذكروا) ان عائشة بنت طلحة كانت تستلقى على قفاها ثم تدحرج الاتربة من تحت ظهرها فتخرج من الناحية الاخرى لوفور عجيزتها ايضا وحلف معلى بن اياس ان جارية أيضا كذلك (قال) الحارث بن خالد المخزومى فى عائشة بنت طلحة

قرشية عبق العبير بها ✻ عبق الدهان بجانب الحق
وتنوء تثقلها عجيزتها ✻ نهض الضعيف ينوء بالوسق

(قال مسلم بن قتيبة) رأيت عائشة بنت طلحة بمنى أو قال بمسجد الخيف وكانت جالسة فنهضت لتقوم ومعها امرأتان ونهضتا نهضا فانخزلت عجيزتها العظمى فقالت انى لمعناة كما قال مسلم فذكرت قول الحارث بن خالد * وتنوء تثقلها عجيزتها * البيتان المتقدمان (قالت) سلامة مولاة فلانة زرت مع مولاتى عائشة بنت طلحة وأنا يومئذ وصيفة فرأيت عجيزتها من خلفها وهى جالسة كأنها غيرها فجئت فوضعت يدى عليها لأعلم ما هى فلما وجدت مس يدى قالت من هى هذه التى تمسنى قلت أنا رأيت هذا الذى خلفك فخلت أنها امرأة جالسة معك فجئت لأنظر من هى فضحكت وقالت ما أكثر من يعجب مما تعجبين منه قالت سلامة ولم أر قط أحسن جسما من عائشة بنت طلحة (وذكر أبو الفرج فى الاغانى) ان رملة بنت عبد الله بن خلف وكانت ضرتها عند عمر بن عبيد الله قالت ذات يوم لمولاة عائشة أرينى عائشة اذا كانت متجردة وقولى عندى ألفا درهم فاخبرت عائشة بذلك وقالت لها ان فلانة قد سألتنى ان أريها اياك متجردة وتعطينى ألفى درهم فما ترين فى ذلك فقالت عائشة اعلميها انى أتجرد ولا تعلميها انى عالمة بذلك ثم قامت عائشة بنت طلحة كأنها تتغسل فأقبلت رملة فرأتها مقبلة ومدبرة فلما فرغت من ذلك أعطت مولاتها وقالت لها وددت انى ضاعفت لك العدد ولم أكن رأيتها من قبل (قال) المسعودى فى مروج الذهب كانت هند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان وافرة العجيزة قال وجلس يوما أبو الجهم بن حذيفة العدوى على المائدة مع معاوية بن أبى سفيان فقال له يا أبا الجهم من أسن أنا أم أنت فقال يا أمير المؤمنين والله لكأنى انظر الى أمك وعظم عجيزتها وقد جئت أخطبها قبل أبيك وقبل زوجها الفاكه بن المغيرة ثم تزوجها أبوك فأنت بك وبأخوتك فقال معاوية أما انها كانت تستكرم الازواج وتقل الخداج ثم قال له معاوية يا أبا الجهم اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويثب وثوب الاسد وهذه مائة ألف فاستعن بها والحق بأهلك واياك ومثل هذا فقبل أبو الجهم بين عينيه وقال أبيت اللعن لما وكرما ثم قال

نقلبه لخير حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا
نميل على جوانبه كأنا * نميل اذا نميل على أبينا

(وقال السليك فى معنى ما تقدم من الشعر)

من الخفرات لم تفضح أباها * ولم ترفع لاخوتها شنارا
كأن مجامع الارداف منها * نقى درجت عليه الريح دارا

(وقال نصيب)

ولولا أن يقال صبا نصيب ❊ لقلت بنفسي النشأ الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها ❊ اذا ظلمت فليس لها انتصار
اذا ما الذل ضاعف من الحشايا ❊ كفاها ان يلاث بها الازار

(وقال الحكم الخضري بضم الخاء وسكون الضاد المعجمتين)

تساهم ثديا ها في الدرع دارة ❊ وفي المرط لفاوان ردفها عبل
فوالله ما أدري أزيدت ملاحة ❊ وحسنا على النسوان أم ليس لي عقل

أخذ البيت الاول من قول ابن أبي ربيعة

خود وثير نصفها ❊ ونصيفها مهفهف

وهذا معنى قول أبي تمام

تشكي الاين من نصف سريع ❊ اذا قامت ومن نصف بطي

ومن البيت الثاني أخذ مالك بن أسماء قوله

أمقطي مني عدلي بصري في الحب أم أنت أكمل الناس حسنا

(كشاجم في كتاب أدب النديم له) قال كان المأمون كثيرا ما يجالس عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال عمرو بينا أنا جالس بين يدي المأمون اذ دخل الحاجب فألقى اليه سرا أصغى اليه باذنه فذهبت لانهض فقال اجلس فلولا ان للحجبة مؤامرات لا تصلح الا باستطلاع الرأي فيها لكنت عندنا ممن لا نحتشمه ولا نستر أمرا عنه فقلت الحمد لله الذي وصل لي هذا الفضل من أمير المؤمنين ثم التفت الى الحاجب فقال ان دخل بوصائف حسان الصور فاعترضهن ثم قال أيهن أفضل عندك فقلت ان كان لما جمعت من الاوصاف المستحسنة فهذه واشرت الى واحدة منهن مدمجة الخصر رابعة الكفل ثم قلت لامير المؤمنين رأيه واختياره وموقع شهوته فقال قد وافقت شهوتي ما اخترته برأيك وأمره باخذها وخرج الخاسون وسائر الجواري ثم التفت الي وقال ما قالت الشعراء المجودون في الاكفال قلت الابيات التي تتهادا ها الرواة قال كأنك تريد قول القائل

وبيض منيرات الوجوه كأنما ❊ تأزرن دون الربط من رمل عالج
يدرن مروط الخز قتلا كأنها ❊ قصاروان طالت بايدي النواسج

فقلت نعم يا أمير المؤمنين هو الذي أردت قال لعمري لقد أحسن الا أن آتابي أسد أرق معنى وأحسن مغزى في قوله

بمشين مشي قطا البطاح تأودا ❊ قبل البطون رواجح الاكفال

يمشين بين حمالهن كما مشت * بزن الجمال دلجن بالاحمال
فاذا أردن زيادة فكأنما * يخلعن أرجلهن من أوحال

أفهمت ما أراد في البيت الثاني قلت قد أعطى الله أمير المؤمنين من المعرفة مالا ينازع فيها فقال ان الاحمال اذا أدلج بها حاملوها على الابل استرخت أكفالها فانما شبهها بها وهي على تلك الصفة (قال) كشاجم وليس ما أنشده بأحسن من قول الاعرابي

ابت الروادف والثدي لقمصها * مس البطون وأن تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشي تناوحت * فبهن حاسده وهجن غيورا

وقد قدمنا الكلام على هذين البيتين في بعض ما تقدم من الفصول (ومن البيت الاول أخذ المتنبي قوله)

وترفع ثوبها الارداف عنها * فيبقى عن وشاحيها انسوعا

(قال) الجوزي في كتابه المؤلف في أخبار عمر رضي الله تعالى عنه بسنده عن زيد بن اسلم عن أبيه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه العجيزة أحد الوجهين

* فصل في ذكر السوق *

يقال ساق خدلجة أي ممتلئة لحما وكذلك ساق خدلاء وخدلة وتوصف به المرأة كناية عن امتلاء ساقيها وذراعيها ومثلها المكورة وضد ذلك في صفة السوق الحمشة بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالشين المعجمة وهي الساق الرقيقة واذا وصفت المرأة بها أضفت فقلت المرأة حمشة الساقين (وفي) حديث سماك ابن حرب عن جابر قال كان في ساقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حموشة أي رقة خرجه الترمذي وصححه (ومن) الشعر في هذا الفصل قول امرئ القيس

وكشح لطيف كالجديل مخصر * وساق كانبوب السقي المذلل

انبوب السقي كناية عن البردي النابت بين اثناء النخل المسقي شبهه بساق المرأة لبياضه وامتلائه ونعمته والمذلل الذي جمعت اطرافه وعطفت وذلك دليل على كرامته على أربابه وتعاهدهم له بالسقي (وقال جميل)

وعجيزة ريا وساق خدلة * بيضاء تسكت منطق الخلخال

(أخذه من قول النابغة)

على ان حجليها وان قلت أوسعا * صموتان من مل موقلة منطق

والنابغة هو أول من استعار خرس الخلخال وصمتها فتبعه الناس قال في ذلك المؤمل

عجبت لمن تطيبني بمسك * وبي يتطيب المسك الفتيت
خلا خيل النساء لها وجيب * ووسواس وخلخالي صموت

(وقال ابن أبي زرعة)

استكتمت خلخالها ومشت * تحت الظلام به فانطلقا
حتى اذا ريح الصبا نسمت * ملأ العبير بنشرها الطرقا

(وقال) خالد بن يزيد في زوجه رملة بنت الزبير

تحول خلا خيل النساء ولا أرى * لرملة خلخالا يحول ولا قلبا
فلا تكثروا فيها الملام فانني * تخيرتها منهم زبيرية قلبا

(وزاد فيها عبد الملك فقال)

فان تسلمي نسلم وان تتنصري * يعلق رجال بين اعينهم صلبا

فلما دخل عليه خالد قال له عبد الملك أأنت القائل ثم أنشده الابيات فلما سمع خالد البيت الاخير لعن قائله (وقال ابن الرومي)

واذا لبسن خلا خلا * أكذبن أسماء الخلاخل
يأبى تخلخلهن سو * ق مربعات خوادل

خوادل بالدال المهملة وقد تقدم شرح ذلك في أول الفصل (وقال) محمد بن يحيى القرشي عرف بابن عين الفولة ممن تقدم عصرنا قليلا أنشدنيه والدي رحمه الله تعالى ورضي عنه

ما أنس لا أنس اذ زارت على فرق * والنجم في الجانب الغربي مهزوم
واستمسكت حليها خوفا فقال لها * خلخالها ان ما تخشين مكتوم
ونم حلى التراقي فانثني قلقا * وشاحها رحمة والحسن مرحوم

وأما قول الشاعر وهو كعب بن جعيل

وضجيع قد تعللت به * طيب أردانه غير نقل
صعدة قد سبقت في حائز * أينما الرايح تميلها تمل
وممتنين اذا ما أدبرت * كالعنابين ومرتج وهل
واذا قامت الى جارتها * لاحت الساق بخلخال زجل

فانهن كن رجلا جعان في الخلاخيل جلاجل وذكر ذلك الآمدي في المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء (الجوزي في كتاب الاذكياء) قال لما عرضت

الخيزران على المهدى قال لها ياجارية والله انك لمنية المتمنى ولكنك حشة الساقين فقالت ياأمير المؤمنين انك أحوج ماتكون اليها لاترامها فاشتراها وحظيت عنده واولدها ولديه موسى الهادى وهارون الرشيد وقد ذكرنا آنفا معنى الحوشة وتقدم فى ذكر الزينة ذكر بلقيس وأنها كانت شعراء الساقين وان الجن أرادوا أن يرى سليمان عليه الصلاة والسلام ذلك فتنبو عينه عنها فبنوا لها صرحا ممردا من زجاج فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لكى تخوضه فرآها سليمان عليه السلام فاعجبته وكره مارآه فى ساقيها من الشعر فكلف بعض الجن بما يزيل الشعر فاخترع له النورة (قال الثعالبى فى فقه اللغة) ويسمى الشعر الذى يكون فى ساق المرأة الغمر بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء وعلى ذكر بلقيس وصرحها ذكر ابن الابار فى تحفة القادم ان أبا بكر بن سكن الشلبى جلس يوما على نهر شلب بالجسر فتعرضت بعض الجوارى للعبور فلما أبصرته رجعت عن وجهها وسترت ماقد ظهر له من محاسن وجهها فقال ابن سكن

وعقيلة لاحت بشاطئ نهرها * كالشمس طالعة لدى آفاقها
فكأنها بلقيس وافت صرحها * لو أنها كشفت لنا عن ساقها
* حورية قدرية بدرية * ليس الجفا والصد من أخلاقها

انتهى ماذكره ابن الابار ويمكن تغيير هذين البيتين بأن يقال

وعقيلة لاحت بشاطئ نهرها * كالشمس تطلع فى المشارق صبحها
لو أنها كشفت لنا عن ساقها * لحسبتها بلقيس وافت صرحها

* (فصل فى ذكر الاقدام) *

الاقدام جمع قدم والقدم فى اللغة اسم للرجل باسرها من حيث اتصلت بالساق (قال ثابت) فى كتاب خلق الانسان أحسن الاقدام السبطة التى لان عصبها وطابت سلامياتها وأصابعها وضدها الكزماء بالزاى ويقال للقدم التى لاخمص فيها رحاء بالراء والحاء المهملتين (وكان) رسول الله صلى الله عليه وسلم لاأخمص لقدميه وقد قدمنا نحن فى بعض الفصول تشبيه القدم باللسان وذلك كناية عن سبوطتها وصغرها (وقال ابن الرومى)

تغشى غواشى فروعها قدما * بيضاء للناظرين مقتدره
مثل الثريا اذا بدت سحرا * بعد غمام وحاسر حسره

مقتدرة

مقتدرة بفتح الدال أى لطيفة ورجل مقتدر الطول أى قصير وعكس الصنوبرى تشبيه القدم بالثريا قال وقد استوفى فى بيته الثالث الذى أنشدنا جميع الابيات بسببه تشبيهه بالثريا فى جميع أحوالها

قم فاسقنى والظلام منهزم * والصبح بادكأنه علم

ومیلت رأسها الثريا للشمسرى الى الغرب وهى تحتشم

فى الشرق كاس وفى مغاربها * قرط وفى أوسط السما قدم

(قال الحصرى) فى كتاب نور الطرف وقد ذكر هذه الابيات هذا من أجمع ما قيل فى الثريا وأحسنه (قال أبو الفرج فى الاغانى) كانت عائشة بنت طلحة من أجمل الناس وأكملهم محاسن وكان فيها عيبان اثنان كبر فى أذنيها وعظم مفرط فى رجليها وكانت ضرتها رملة بنت عبد الله بن خلف كبيرة الانف وكانت عائشة تعيبها بذلك فبلغ ذلك رملة فتقول أتراها انسيت أذنيها ورجليها (قال) وعاتبتها عائشة بذلك يوما بحضرة زوجها عمرو بن عبيد الله فقال لها قولى خيرا واحذرى أن يقال فيك ما فيك يشير الى أذنيها ورجليها (ابن أبى شيبة) عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أم سليم تنظر الى امرأة فقال شمى عوارضها وانظرى الى عرقوبيها (وقال الاصمعى) اذا اسود عرقوب المرأة اسود سائرها وهذا معنى قول النابغة

ليست من السود أعقابا اذا انصرفت * ولا تبيع بجنبى نخلة البرما

(وفى) حديث مسلم عن شعبة عن سماك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منهوش العقبين قال شعبة قلت لسماك ما منهوش العقبين قال قليل لحمها يروى ذلك بالشين المعجمة وبالسين المهملة وذلك مستحب من وصف الرجل وضده الدرم وهو امتلاء العقبين باللحم وهو مستحب من وصف المرأة (وينشد للعجاج)

قامت تريك خشية ان تصرما * ساقا بخنداة وكعبا أدرما

وكفلا مثل النقى أو أعظما

ساقا بخنداة أى تامة ممتلئة وكذا خبنداة بتقديم الخاء وهذا الرجز ينسبه الناس الى العجاج * وقد ذكر الرشاطى فى كتابه المسمى باقتباس الانوار فى حديث خرجه عن أبى هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاد يحدو بهذا الرجز (ومما) يتعلق بهذا الفصل قول أبى بكر بن مجبر وهو مما يكتب على قباب

لا يدعى العاشقون الحب منزلة * الا اذا احتملوا للحسن كل أذى
لو لم أكن أنفذ العشاق فيه لما * أوطأت خدى أقدام الحسان كذا

أنفذ العشاق ان شئت قلتها بالفاء والذال المعجمة وان شئت قلتها بالقاف والدال المهملة

* (الباب الحادى والعشرون جامع لذكر النكاح وبيان مافيه من المنافع والمضار وماقيل فى الاقلال منه والاكثار وفى مذاهب العرب فى وطء الليل ووطء النهار وذكر أسماء من أسماء النكاح منزلة على حسب ماترتبها العرب على لغتها) *

الجماع هو أعظم اللذات الجسمانية وأقوى الشهوات الحيوانية وذكر الاطباء من منافعه انه ينشط النفس ويسرها ويزيد فى النشاط ويزيل الغضب ويذهب بالفكر الرديئة والظنون السيئة حتى انه ربما أبرأ من المالخوليا وانه يسكن عشق العشاق اذا أكثروا منه وان كان مع غير من يهوونه ويخفف عن البدن المتملئ وهو عظيم النفع لاصحاب الابدان القوية العبلة الكثيرة الدم ومضر لمن كان بضد ذلك (قال الرازى) فى كتابه المعروف بالمنصورى وليحذره أصحاب الابدان اليابسة حذر العدو فانه يؤدى الى الدق اذا أكثروا منه وكذلك النقه والضعفاء والضفاء ومن نواحى خواصره ومراقه رقيقة مهزولة ومن عصبه ضعيف فان الجماع الكثير يضربهؤلاء ضررا شديدا (وقال جالينوس) فى بعض كتبه المنى أحد الفضلات التى لابد من اخراجها فانه ان أقام فى البدن حدثت منه مضار وامراض رديئة فلذلك يستحب أن ينقص منه باعتدال (قال) وأحوج الناس الى اخراجه من يعتريه عند تركه الجماع ثقل فى الرأس وظلمة فى العينين وكآبة وبلادة وافراط فى النوم فالجماع والاحتلام يخفف عن هؤلاء ذلك كله (قال) وأشد الناس استغناء عن الجماع من يصيبه بعقبه الرعدة والكسل وسقوط شهوة الطعام (قال الرازى) وينبغى أن لا يكون الجماع على الجوع ولا على الامتلاء المفرط ولا فى الحمام ولا باثر التعب ولا بعقب القىء ولا الاسهال ولا الفصد (قال) وينبغى لمن قهرته شهوته فى الاكثار من النكاح أن يقل من التعب واخراج الدم وطول الجلوس فى الحمام وأن يغتذى بالاغذية التى تزيد فى المنى وأن يكثر من استعمال الادوية المخصوصة بهذا الشأن (قال) أبو الفرج فى كتاب النساء وينبغى للرجل اذا قضى حاجته من المرأة أن يبادر الى

الغسل بالماء الحار دون الماء البارد في الشتاء والصيف وليكن ذلك في حمام أن أمكن أو موضع كنين لا يصل اليه فيه الهواء فان الغسل بالماء الحار يرطب الاعضاء التي خرجت منها رطوبتها وتحللت حرارتها في المني ويسخنها والاغتسال بالماء البارد ردىء في الشتاء وفي الصيف لانه يزيد في برد الاعضاء ويبسها (قال) وينبغي اذا فرغ من الغسل أن يتناول الطيب والبخور ويكثر من استعمال المسك فانه أطيب الطيب ولا يقرب شيأ من الكافور ولا يمسه وليكن جلوسها على الفرش الوثيرة الرطبة وان كانت حمراء أو خضراء فهيا أحسن من غيرهما من الالوان انتهى ماذكره أبو الفرج رحمه الله تعالى (قال) الحرث بن كلدة طبيب العرب من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليؤخر العشاء وليقلل من غشيان النساء ولا يجامع على الامتلاء (وقال الشاعر)

ثلاث هن من سبب الحمام * وداعية السقام الى الانام
مدام يستدام وطول وطء * وادخال الطعام على الطعام

(وقال بعض الحكماء) ينبغي للعاقل أن لا يخلي نفسه من ثلاثة من غير افراط الاكل والمشي والجماع فأما الاكل فهو قوام البدن فتركه اخلال والاكثار منه اعتلال وأما المشي فمن تركه تهدد فيوشك أن يطلبه فلا يجده وأما الجماع فهو كالبئر ان نزحت جمت وان تركت ادمت يقال أدمت البئر اذا انقطع ماؤها (وفي) معنى قولهم ان نزحت جمت وان تركت أدمت قولهم الذكر كالضرع ان حلب در وان ترك قر (قال تأبط شرا) ما أحب الدنيا الا لثلاث أكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم في اللحم (قال يزيد بن المهلب) وددت لو كانت طلسة نورة عمامة الخليفة بدينار ولو كان فرج المرأة في جبهة أسد حتى لا يصل الا كريم ولا يصل الى الفرج الا شجاع (وقالوا) أربع لا يشبعن من أربع أنثى من ذكر وأرض من مطر وأذن من خبر وعين من نظر (قال بعض الحكماء) كل شهوة يعطيها الرجل نفسه فلا بد أن يكتسب قلبه بها قسوة الا الجماع فانه يرقق القلب ويصفيه ولاجل هذا كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحكماء يفعلونه ويأمرون به (قال عياض في الشفاء) لم يزل التمدح بكثرة الجماع والفخر بوفوره عادة معروفة وسيرة ماضية فانه دليل الكمال وصحة الذكورية وهو في الشرع سنة مأثورة ولم يره العلماء مما يقدح في الزهد (قال) سهل بن عبد الله رحمه الله كيف يزهد فيمن وقد حبب الى سيد البشر صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا

عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس بأربع السخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش انتهى كلام عياض رحمه الله تعالى (البخاري) عن قتادة عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال قتادة قلت لانس أوكان يطيقه قال كنا نتحدث انه أعطى قوة ثلاثين (قوله) يطوف على نسائه وهن احدى عشرة مشكل فانه لم يجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت واحد من النساء أكثر من تسع وربما أن يكون أنس عد سريتيه ريحانة ومارية في جملة نسائه فكملن بذلك احدى عشرة كما قال مالك فيمن ظاهر من أمته انه يلزمه الظهار لدخولها في جملة النساء في قوله تعالى والذين يظهرون منكم من نسائهم وقد استوفينا الكلام على هذا في شرح الشفاء فلينظر هناك وانما نذكر هنا نبذا واشارات (سلمى) مولاة النبي صلى الله عليه وسلم عن زوجها أبي رافع قال طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة منهن قبل أن يأتي الاخرى وقال هذا أطهر واطيب فهذا الحديث بين ليس فيه اشكال لذكره فيه انهن تسع ونبه صلى الله عليه وسلم بقوله هذا أطهر وأطيب على ان الاغتسال من كل واحدة غير واجب وانما هو مستحب يبين ذلك الحديث الآخر الذي يرويه النسائي عن حميد عن أنس انه صلى الله عليه وسلم طاف ليلة على نسائه بغسل واحد وفي رواية قتادة عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه بغسل واحد ولا خلاف في هذا وانما اختلف هل يلزم الواطئ الوضوء عند ارادته المعاودة أم لا فقالت الجماعة لا وضوء عليه وروي عن عمر وابنه انهما ألزماه الوضوء وضوء الصلاة وبذلك قال عطاء وقال أحمد بن حنبل استحب له أن يتوضأ فان لم يفعل فلا شئ عليه * وسبب الخلاف بينهم قوله صلى الله عليه وسلم اذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ فمن حمل ذلك على الوضوء الشرعي أوجبه على الواطئ الوضوء وضوء الصلاة ومن حمل ذلك على الوضوء اللغوي اوجب عليه غسل الفرج واستحب له وضوء الصلاة مراعاة للخلاف وسواء كان هذا في امرأة واحدة أو في امرأتين فأكثر (عياض في الشفاء) عن طاوس قال أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم في حديث آخر اتاني جبريل عليه السلام بقطعة فاكلتها فاعطيت قوة اربعين رجلا في الجماع (البخاري) عن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما

عنهما قال أفضل هذه الامة أكثرها نساء قال عياض فى الشفاء يعنى بذلك النبى صلى الله عليه وسلم (قال) الخطابى فى بعض تآليفه ما معناه ان الله تعالى اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم من الامور افضلها وجمع له الفضائل التى يزداد بها فى نفوس العرب جلالة وفخامة وكانت العرب تتفاخر بقوة النكاح وكان النبى صلى الله عليه وسلم من قوة البنية واعتدال المزاج على ما شهدت به الاخبار ومن هو بهذه الصفة من كمال الخلقة كانت دواعى هذا الباب اغلب عليه فاباح له صلى الله عليه وسلم الزيادة على أربع ومنع غيره من أمته من ذلك خوفا أن لا يعدلوا فيهن ولا يقوموا بحقوقهن وذلك مأمون منه صلى الله عليه وسلم (قال) ولما لم يكن للاماء من الحق فى التسوية والعدل ما للحرائر أبيح للامة جميعا ان يملكوا منهن ما شاؤا وهذا كلام عال نفيس وقد قدمنا نحن الكلام على قوله أفضل هذه الامة أكثرها نساء (قال عياض فى الشفاء) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان فى ظهر سليمان عليه الصلاة والسلام مائة رجل وكانت له ثلثمائة امرأة وثلثمائة سرية (قال) وحكى النقاش انه كانت له سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية (قال) وكان لداود عليه الصلاة والسلام على زهده وأكله من عمل يديه تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة امرأة (قال) وقد نبه على ذلك الكتاب العزيز بقوله تبارك وتعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة (مسلم) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن يأتين بغلام يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه أو الملك قل ان شاء الله فنسى ولم يقل فلم يأت منهن الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان له درك لحاجته * وفى رواية اخرى لاطوفن على ستين امرأة وفى رواية على تسعين امرأة وفى غير رواية مسلم على تسع وتسعين وفى بعض روايات البخارى على مائة امرأة وهذه الروايات ليست بمتعارضة فانه ليس فى اثبات القليل نفى الكثير (قال) جعفر بن محمد ثلاثة من اخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام التنظف والتطيب والنساء ثم ذكر سليمان عليه السلام فقال كانت له ألف امرأة فى قصر واحد سبعمائة سرية وثلثمائة زوجة فقيل له يا ابن رسول الله كيف يقدر على جميعهن فقال جعل الله فيه قوة أربعين رجلا وجعل ذلك لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قيل له فعلى فامساك كأنه استحيا من ذكره لابوته ولكن فاطمة عليها السلام (الجاحظ)

في البيان) عن عبد الله بن الحسين قال قال علي رضي الله تعالى عنه خصصنا بفصاحة وسماحة وصباحة وحظوة عند النساء وقال في وصيته لولده يا بني لا تطل الخلوة مع النساء فيملللنك ويملهن واستبق من نفسك بقية فان امساكك عنهن وهن يرين انك ذو افتشار خير من ان يقعن منك على انكسار (وانشد) بعضهم لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

افلح من كانت له قوصرة * يأكل منها كل يوم مرة

والقوصرة اناء تجعل فيه التمر قال ابن السيد في الاقتضاب وهو وههنا كناية عن المرأة ومثله

أفلح من كانت له مزخة * يزخها ثم ينام الفخة

الزخ النكاح يقال زخ المرأة يزخها والفخة نومة فيها خفيخ أي صوت (قال) بعضهم حكم علي رضي الله تعالى عنه في هذا الرجز وهو المرة الواحدة في اليوم والليلة هو القدر المتوسط في هذا الباب وهو أعدل الاشياء وأقله ما حكم به عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو المرة الواحدة في كل طهر ولا حد لاكثره وانما هو بحسب المزاج والقدرة (عبد الملك بن حبيب) عن عمر رضي الله تعالى عنه قال حسب المرأة المسلمة ان يأتيها زوجها في كل طهر مرة وذكر في ذلك حديثا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يكفي المرأة المؤمنة الوقعة في الشهر (قال) محمد بن يحيى بن حسان عاتبت جدتي جدي في قلة الباءة فقال لها بيني وبينك قضاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقالت وما قضاء عمر قال قضى ان الرجل اذا اتى امرأته في كل طهر مرة فقد أدى لها حقها قالت أفكل الناس ترك قضاء عمر بن الخطاب ولم يأخذ به غيري وغيرك (أبو الفرج في الاغاني) قال عزل معاوية مروان بن الحكم عن الحجاز فعاتبه مروان في ذلك فقال له عزلتك لكراهتك أمر زياد ولان رملة ابنتي أتتك تستعدي على زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها فقال له مروان أما كراهتي أمر زياد فان جميع بني امية كرهوه ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيرا وأما استعداء رملة على عمرو فوالله اني لما تأتي على سنة أو أكثر وعندي بنت عثمان فما اكشف لها ثوبا فعرض لمعاوية ان رملة انما استعدت على عمرو طلبا للنكاح فغضب معاوية من كلامه واغلظ له في الجواب وفي الخبر طول (الزبير في الموفقيات) قال كانت لابن أبي عتيق جارية فارهة تقبل وتدبر وكان الفتيان يتبعونها فجاء ابن أبي عتيق ذات يوم ليدخل منزله فوجد مقابلة الباب فتيين فقال لاحدهما كم تجامع يا ابن أخي قال واحدا

فى اليوم وربما لم افعل وقال للآخر كم تجامع قال عشرين فى اليوم فقال للاول اياك ان تمر على منزلى وقال للآخر أما أنت فاقبل وأدبر متى شئت يريد ابن أبى عتيق ان من قال أجامع كل يوم عشرين لا يعرف للنكاح حقيقة ولو عرف حقيقته لم يقل ذلك وأما الآخر فهو قول عارف مجرب فلذلك أبعده وزجره عن القرب من داره (أبو الفرج فى الاغانى) عن عباد السدى قال مررت بمنزل من منازل طريق مكة يقال له النباج فاذا كتاب على حائط هناك فقرأته فاذا فيه مكتوب النيك أربعة الاول شهوة والثانى لذة والثالث دواء والرابع داء وسر الى أيرين أحوج من أير الى حرين وكتبته دنانير مولاة البرامكة بخطها ومثل هذا حكاه اليعقوبى قال توجهت الى باب حمدونة ابنة الرشيد فخرجت دقاق مولاتها وفى يدها مروحة مكتوب عليها فى الوجه الاول الحر احوج الى أيرين من الاير الى حرين وفى الجانب الثانى من المروحة كما ان الريا أحوج الى بغلين من البغل الى رجلين (ولبعض) أهل عصرنا فى هذا المعنى أبيات رأيت ان اثبتها فى هذا المكان

تمل من اللذات فالدهر طبع ✻ عجيب لما أحدثته متبرع ✻
ولا تقطع الاوقات فى غير لذة ✻ فيذهب منك العمر وهو مضيع
ومالذة الدنيا سوى النيك وحده ✻ هو المتعة العظمى لمن يتمتع
فلا تخل من تهوى من النيك ليلة ✻ فذلك محض النصح ان كنت تسمع
✻ ولا تقتنع ممن تحب بواحد ✻ فما لامرئ فى واحد متقنع
فما الحق الا اثنان لا بد منهما ✻ هما اعدل الاشياء والحق يتبع
وان نكت فى بعض الليالى ثلاثة ✻ فذلك انبساط فى المنى وتوسع
وان كنت تخشى من سعيدك عتبة ✻ فاربعة ثم الزيادة تمنع ✻

(قال) الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء كان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه شديد النكاح وكان يفطر من الصوم على الجماع وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ثم يغتسل ويصلى (قال) وقد جامع ليلة ثلاثا من جواريه فى ليلة من شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء الآخرة (وحكى) النيفاشى فى قادمة الجناح ان نافعا مولاه كان كذلك وانه كانت له جارية تسمى كوكب الصبح فكانت تفر منه لكثرة جماعه (قال) وكان عبد الله بن زمعة صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير قريش صلاحا وعفافا وكان لا يستطيع الصبر عن النكاح فى شئ من الاوقات ليلا ولا نهارا فتجنب لاجل ذلك حضور مشاهد قريش وحضور

المساجد وبنى مسجدا بداره (قال) وكان يتزوج المرأة فلا تمكث عنده الا أياما يسيرة حتى تقر الى أهلها فقالت امرأة من أهل المدينة تسمى زينب بنت عمرو ابن أبى سلمة مالهن يهرب منه فقيل لكثرة غشيانه لهن فقالت ما يمنعه منى وأنا العظيمة الخلق الكبيرة العجيزة المنعمة الفرج فبلغه ذلك فتزوجها فصبرت عليه وولدت له (ابو الفرج فى الاغانى) عن الشعبى قال اشتاق النعمان بن بشير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سماع الغناء وهو بالمدينة فتوجه الى منزل عزة الميلاء فسمعها ولما خرج اعترضته امرأة تشكو اليه كثرة غشيان زوجها لها فقال لها النعمان بن بشير لاقضين بينكما بقضية لا ترد على ان الله أحل له أربعا من النساء فلزمك منه أربع مواقع مرتان بالليل ومرتان بالنهار كذا جاءت هذه الحكاية ولا أعرف لهذا الاستدلال وجها واذا أباح الله تعالى للرجل أربعا فمن أين يؤخذ من ذلك أن له ان يطأ الزوجة الواحدة بين اليوم والليلة أربع مرات وانما يستحسن فى ذلك تفقه كعب بن سور فى القضية التى قدمنا ذكرها فى باب معاشرة النساء (وذكر أيضا) أبو الفرج فى الكتاب المذكور قال لما تزوج عمر بن عبيد الله بن معمر عائشة بنت طلحة حمل اليها ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم مهرا وخمسمائة ألف درهم هدية وقال لمولاتها الك ألف درهم ان دخلت بها الليلة وأمر بالمال فحمل الى عائشة وغطى بالثياب فخرجت عائشة فرأته فاستكثرته وظنته فرشا أو ثيابا فسألت مولاتها فاعلمتها انه مال فاستكثرته وتبسمت فقالت لها مولاتها ما جزاء من حمل هذا ان يبيت وحده فقالت لها هو كذلك ولكن لا يجوز دخوله الا بعد ان اتهيأ له وأتزين فقالت لها والله ان وجهك لاحسن من كل زينة ولا تحتاجين الى شئ من طيب أو حلى الا وهو عندك وأكبت على رجليها تقبلهما وتطلب منها ان يكون دخوله بها تلك الليلة فقالت لها ويحك كيف يكون هذا بهذه السرعة فصدقتها الخبر واعلمتها بما جعل لها عمر بن عبيد الله من المال فامرتها ان تأذن له فسار اليها من ليلته وادنى منه طعاما فاكله كله حتى اعرى الخوان منه ثم سأل عن المتوضأ فاخبر به فقام فتوضأ وصلى فاطال الصلاة ثم قام اليها وأسبل الستر وعانقها وضمها اليه ومازال يفتح فاها ويقبلها ويترشفها بريقه ثم قام فوطئها واحدا وتحدث معها ساعة ومد يده اليها ففعل مثل ذلك ووطئها ثانيا ومازال هذا شأنه يعاودها ويضاحكها ويقبلها ويطؤها الى ان أكمل سبعا ثم قام فدخل المتوضأ وخرج فدخل الحمام فقالت مولاتها فلما خرج وقفت على رأسه وقلت له لله درك

فثلاث يتزوج النساء فقال وكيف ذلك فقلت له لقد عددت لك فى ليلة المبارحة سبعة واحدا بعد واحد ولقد شفيت الغليل فضحك عمر وضحكت عائشة ولم يكن عند عائشة فى أزواجها أحظى منه وكان ينال منها ما شاء عفوا دون مناكرة وكانت قبله عند مصعب فلم يكن يطمع منها فى شئ الا بعد شدة وتحيل (وذكر) الزبير غير ما تقدم ان عمر بن عبيد الله لما ابتنى بها قال لها لاقتلنك الليلة فلم يصنع الا واحدا فلما أصبح حركته وقالت له قم يا قتال ثم قالت

قد رأيناك ولم تحل بنا * وبلونا ك فلم نر ض الخبر

قال أبو الفرج وهذا تحامل من الزبير وعصبية والخبر فى رضاها عن عمر وميلها اليه غير ما حكاه الزبير مما هو معلوم مشهور انتهى ما ذكره أبو الفرج وقد ذكر صاحب نثر الدرر ان هذه القضية انما جرت لعائشة مع مصعب (ابن عبد المؤمن شرح المقامات) قال وقع أعشى همدان اسيرا عند الديلم فعشقته ابنة العلج الذى هو اسير عندها فامكنته من نفسها فواقعها ليلة سبعا فلما أصبح قالت يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم فقال لها نعم فقالت بذا نصرتم ثم قالت لقد رأيت ان خلصتك أكنت تصطفينى لنفسك فقال لها نعم فعاهدها على ذلك فحلت قيوده وأخذت به طريقا تعرفها حتى خلصا فقال فى ذلك بعض الشعراء

فمن كان نفديه من الاسر ماله * فهمدان يفديها العداة أبورها

(قال الاصمعى) كانت بالبصرة امرأة جميلة فتنافس الناس فى زواجها وتزوجها شاب معدم فأقام معها مدة وفيها خمسا كل ليلة ثم ربع ثم ثلث ثم ثنى ثم صار الى واحد كل ليلة فلما رأت دوامه على واحد قالت فى نفسها قد كان فيمن خطبنى من المياسير من لا يقصر عن واحد كل ليلة فاعتلت عليه وغاضبته وسارت الى منزل أهلها فوصل اليها الفتى وجعل يستعطفها فقالت لقد كنت وأشارت اليه بأصابعها الخمس وكنت عنك راضية ثم قبضت اصبعا فقالت ولم يكن بل بأس ثم قبضت اصبعا وقالت ولكنك تغيرت ثم قبضت اصبعا ثالثا وقالت لو أقمت على ذلك لم أغاضبك فقال الفتى وأشار الى سبابته لا يكلف الله نفسا الا وسعها (الخطابى فى غريب الحديث) عن أبى سعيد الخدرى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن السباع قال الخطابى حاكيا عن بعضهم السباع كثرة الجماع وهذا تأويل غريب وقد تقدم ذكر هذا الحديث قبل هذا وانما المراد بالسباع فيه المفاخرة بالجماع وافشاء الرجل

ما يجرى بينه وبين زوجته فيه وهو الصواب فى تأويل الحديث والله أعلم
(أبو الفرج فى الاغانى) قال كانت اياد تفخر على العرب فتقول منا أجود
الناس ومنا أشعر الناس ومنا أنكح الناس يريدون بأجود الناس كعب بن
أما مة وباشعر الناس أياد وؤاد وبانكح الناس ابن ألغن قالوا كان ابن ألغن
اذا انعظ احتنكت الفصال بإبره وكانت امرأة تستصغر أير الرجال فجامعها
فلما أولجه فيها قالت يامعشر اياد أبالركب تجامعون النساء (قال الجاحظ فى
بعض تأليفه) وقد ذكر الشاعر ابن ألغن هذا وافتخر به فقال يذكر اياد

أولاك الاولى كان ابن ألغن منهم * ولا مثل ما كان ابن ألغن يصنع
يسح صلعاء الجبين منيفة * فيرأب شق الفرج وهو موسع

قال وكانت أم المنذر بن الجارود وأخته لابيه عند رجل واحد فعيره بعض
الناس بذلك فقال ما بالحلال من بأس فقال الفرزدق

لحا الله هذا من حلال ومن يقل * سوى ذاك لافاها يابن ألغن

(قال أبو عبيدة) كان امرؤ القيس بن حجر مفركا عند النساء أى مبغضا فسأل
زوجته أم جندب عن سبب ذلك فقالت أنت ثقيل الصدر خفيف العجز
سريع الاراقة بطىء الافاقة تعنى انه ينزل سريعا ويستلقى فلا يقوم الا بعد مدة
طويلة فلذلك كرهته ويسمى أيضا السريع الانزال فى اللغة الزؤج بالراء
المهملة والذال المعجمة والجيم ويقال أيضا الزملق بتشديد الزاى وهى مضمومة
وبتشديد الميم وهى مفتوحة وكسر اللام وقيل ان امرأ القيس أرضعته
فى صغره كلبة فكان ريحها يوجد اذا عرق (وكان) الاضبط بن قريع مفركا
وكان شجاعا وكان اذا لقى فى الحرب يتقدم امام الصف ويقول

أنا الذى تفركه حلائله * الافتى معشق أنازله

(قال أبو الفرج فى الاغانى) اجتمع نساء الاضبط ذات يوم فتحدثن فيما بينهن
عن سبب كراهتهن للاضبط فاجمع كل منهن على انه بارد الكمرة وكان معهن
امرأة من غيرهن فقالت لهن أنا أعجز احداكن اذا كانت ليلتها منه أن تسخن
كمرته قبل أن يأتيها وكان الاضبط واقفا يسمع لهن فقام ونادى بالعوف فبادر
اليه قومه من كل جانب ومكان فقال لهم أوصيكم بتسخين الكمرة فانه لا حظوة
لبارد الكمرة عند النساء فقالوا تبا لك أهذا تدعونا وانصرفوا وهم يضحكون
(قال أبو عبيدة البكرى فى كتاب اللآلى) كانت العرب تقول ان أولاد
الموطوءة ليلا أنجب من أولاد الموطوءة نهارا وكانوا يزعمون ان المرأة اذا وطئت

(قوله ما بالحلال الخ) هو ليس بحلال عندنا لانه لو قدر انها كانت الاخرى امازوجة ابيه

نسبا واما اخت ابنه من النسب وهو كلاهما غير سائغ كما هو واضح اه نهارا

نهارا لم تجب واذا وطئت آخر الليل فى أول الطهر وأول الشهر لم يخف اخبارها قال والى هذا أشار الشاعر بقوله

حملت له الهلال فى قبل الطهـ * ـر وقد لاح للصباح بشير

(وقال) ابن المسيب فى شرحه لشعر أبى العلاء عند قوله

وانى لمثريا ابن آخر ليلة * وان عز مال فالقنوع ثراء

قال أراد بقوله يا ابن آخر ليلة ان أمه حملت به فى آخر ليلة من طهرها حين استقبلت الحيض وذلك مذموم من فعل النساء ومفسد للولد وانما المحمود والمصلح للولد ان تحمل به فى أول الطهر فيجىء الولد محكم البنية صحيح الجبلة (قال ابن قتيبة فى أدب الكتاب) ويقال للمرأة اذا حملت وهى حائض قد حملت سهوا (قال غيره) ويقال أيضا فى ذلك قد حملت وضعا بضم الواو وتضعا بضم التاء الصحيحة المثناة (قال أبو عبيدة) قالت امرأة من العرب وقال يعقوب ابن السكيت هى أم تأبط شرا والله ما حملته وضعا ولا وضعته يقنا ولا أرضعته غيلا فالوضع ما ذكرناه واليقن أن يخرج رجلا الجنين قبل رأسه وذلك أنه يكون فى البطن منتصبا فاذا أراد أن يخرج بقدرة الله تعالى انقلب فخرج رأسه قبل رجليه فاذا أخرج رجليه قبل رأسه فذلك اليقن وهو مذموم والغيل والغيلة أن ترضعه أمه وهى حامل وهو مضر للولد (وفى) بعض الاحاديث لا تقتلوا أولادكم سرا فان الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه (وفى الصحيح) لقد هممت ان أنهى عن الغيلة ثم ذكرت ان الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر باولادهم شئ (وقال البكرى) وكانوا يقولون اذا حملت المرأة وهى فى رعة وجاءت بغلام جاءت به لا يطاق (وذكر الجاحظ) ان حالة الفزع والارتياع للمرأة من ألذ أحوال الجماع قال وكذلك مجامعتها بعد الاعياء والحركة الشديدة وبعد انفصال الشهر الخامس من حملها الى دخول الشهر السابع وفى أول استقبالها الطهر من النفاس انتهى كلام الجاحظ (ومما) أنشده الاصمعى قال قال أبو كثير الهذلى فى الاشارة الى بعض ما تقدم

ولقد سريت على الظلام بمغشم * جلد من الفتيان غير مهبل

* من حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مثقل

* حملت به فى ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

فأتت به حوش الفؤاد مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الموجل

* ومبرأ من كل عبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

(المغشم) الذى يغشم الناس أى يظلمهم (والمثقل) الكثير اللحم المضخم وكان أبو عبيدة ينصب مزؤودة والاصمعى يجرها بجعل الزؤود وهو الخوف للبلة مبالغة (والمبطن) الخميص البطن (والسهد) اليقظان (والهوجل) الثقيل قال عيسى ابن عمر أنشدت جبر بن حبيب قوله ممن حان به البيت

* تعسدها قبل ان تحل نطاقها *

---

* وهذا فصل مما يختص به الانسان من فحروف النكاح منقول من فقه اللغة لابى منصور الثعالبى رحمه الله تعالى *

وأرسل أبو منصور أكثر ألفاظ هذا الفصل مهملة غير مضبوطة فأوجب ذلك وقوع التصحيف فيها كثيرا من نسخة الكتاب ورواته فاحتجنا نحن هنا الى ضبطها بعد ان حققناها من أصول اللغة (قال أبو منصور رحمه الله تعالى) لعل أسماء النكاح تبلغ مائة كلمة عن ثقات الائمة بعضها أصلى وبعضها مكنى وسأكتب لك من تفصيل أنواعه وأحواله ما هو شرط الكتاب (المحت) بالحاء المهملة والتاء المثناة (والمسح) بالسين والحاء المهملتين النكاح الشديد عن أبى عمرو (والدعظ) بالدال والعين المهملتين والظاء المعجمة (والزعب) بفتح الزاى وبالعين المهملة الاستيعاب فى النكاح عن الليث عن الخليل (والدعس والعرد) وجميع حروف اللفظين مهملة النكاح بشدة وعنف عن أبى زيد (الهلك والهق) الاجهاد بشدة النكاح عن ابن الاعرابى (الوصاع) بكسر الواو وبالصاد والعين المهملتين أن يحاكى العصفور فى كثرة السفاد عن أبى سعيد الضرير (السغم) بالسين المهملة والغين المعجمة أن يدخل الادخالة ثم يخرج فلا يجب أن ينزل عن النضر بن شميل (الخوق) بفتح الخاء المعجمة أن تباضع الجارية فتسمع للخالطة صوتا وازيزا عند دخول الذكر وعند خروجه ويقال لذلك الصوت خاق باق عن ثعلب عن ابن الاعرابى (الدخز) بالدال والخاء المهملتين والزاى كثرة النكاح (وكذلك الهزج) بالزاى والجيم عن الليث وغيره (الفهز) بالفاء والزاى أن ينكح الرجل الجارية فى بيت وأخرى فى بيت آخر تسمع حسه وقد جاء النهى عن ذلك (والافهاز كذلك) أن يبتدئ الفحل مع واحدة وينزل مع أخرى عن ثعلب (التدليص) بالدال والصاد المهملتين هو النكاح خارج الفرج عن ابى عمرو (الاكسال) أن يدرك الناكح فتور فلا ينزل (الحقحقة) بالخاآت المعجمة والقافات مطاولة الانزال عن شمر

(الغيل) أن ينكحها وهي ترضع عن بي عبيدة (الشرخ) أن يطأها وهي مستلقية على قفاها (الحاذقة) بالحاء المهملة والقاف أن يأتيها على حرف أي وهي على جنبها وسيأتي في هذه اللفظة مزيد بيان بعد هذا ان شاء الله تعالى انتهى ما نقل من كتاب أبي منصور * وكان أسماء النكاح تبلغ على ما ذكره مائة اسم فكذلك الاحكام الناشئة عنه لعلها تبلغ ثلثمائة حكم وقد جمعها الناس بناء على قول ابن أبي زيد في الرسالة ومغيب الحشفة في الفرج يوجب كذا ويوجب كذا فاستدركوا وزادوا واستنبطوا وأفادوا وألفوا فأجادوا ولابي الحسين بن زرقون في ذلك مختصر (وكان) شيخنا الامام أبو علي عمر بن محمد بن علوان المذلي رحمه الله تعالى قد ألف في ذلك تأليفا شهد له الناس واستغربوه جمع فيه ما قال غيره واستدرك أحكاما كثيرة استخرجها بكثرة اطلاعه وقوة استطلاعه وتبحره في العلم واتساعه وكان يزعم انه لا يكاد يوجد حكم يشذ عن كتابه وكنت حين قرأت التأليف المذكور عليه في شهر ذي القعدة سنة ثنتين وسبعمائة رأيته قد أغفل أحكاما كثيرة فحملني سن الحداثة اذ ذاك وجب الفلهور على ان وضعت فيها جزأ انتهت الاحكام المستدركة فيه الى خمسين حكما واتسعت فيه في ذكر الخلاف وبسط التعليل فجاء تأليفا تاما أيضا مستقلا ووفقته عليه فعظمه غاية التعظيم وتلا قول الله سبحانه وتعالى وفوق كل ذي علم عليم وكانت وفاة شيخنا المذكور في الرابع لشعبان من سنة عشر وسبعمائة

* (الباب الثاني والعشرون الرهز في الجماع) *

الرهز والارتهاز كناية عن حركات وأصوات وألفاظ تصدر عن المتناكحين في أثناء فعلهما تعظم بها لذتهما وتقوى بها شهوتهما (قال ابن ذكوان) لم أسمع في الكناية عن الرهز بأحسن من قول الشاعر

وأنت امامة ما تفعلين * فضلت النساء بضيق وحر
ويعجبني منك عند الجماع * حياء الكلام وموت النظر

(أبو الفرج في الاغاني) عن المدائني عن فلانة قالت كنت عند عائشة بنت طلحة فقيل قد جاء عمر بن عبيد الله تعني زوجها قالت فتقنعت ودخل فكنت أسمع كلامهما فلاعبها مدة ثم وقع عليها فشخرت وفخرت وأتت بالعجائب من الرهز وأنا أسمع فلما خرج قلت لها أنت في نفسك وشرفك وموضعك تفعلين هذا فقالت انا نستعب لهذه الفحول بكل ما نقدر عليه وبكل ما يحركها فيا

الذى أفكرته من ذلك قلت أحب أن يكون ذلك ليلا قالت انه يكون ليلا هذا وأعظم منه ولكنه حين يرانى تتحرك شهوته وتهيج فيمد يده الى فأطاوعه فيكون ماترين فقلت لها يا عائشة لقد أوتى عمر منك مالم يؤته أحد من أزواجك (صاحب نثر الدر) لما زفت عائشة بنت طلحة الى زوجها مصعب ابن الزبير سمعت امرأة بينها وبينه وهو يجامعها شخيرا وغطيطا وتخيرا فى الجماع لم نسمع مثله فقالت لها فى ذلك فقالت لها عائشة ان الخيل لا تشرب الا بالصفير انتهى ماذكره صاحب نثر الدر (وأخذ الشاعر هذا المعنى) ونقله الى باب آخر فقال

أدرها بالصغير وبالكبير ❁ وخذها من يدى قرمنير
ولا تشرب بلا طرب فانى ❁ رأيت الخيل تشرب بالصفير

(وقال أبو عتبة الاسدى) يخاطب أسماء بن خارجة حين زوج ابنته هندا من عبيد الله بن زياد

جزاك الله يا أسماء خيرا ❁ فقد أرضيت فيشلة الامير
بصدع قد يفوح المسك منه ❁ عظيم مثل كركرة البعير
اذا دفع الامير اليه فيه ❁ سمعت له أزيزا كالصرير
لقد زوجتها حسناء بكرا ❁ تجيد الرمز من فوق السرير

(وكان) عبيد الله بن زياد هو أبو عذرها وكانت شديدة المحبة له ولما قتل جزعت عليه جزعا شديدا وقالت يوما انى لاشتاق الى القيامة لارى وجه عبيد الله بن زياد ويقال ان عمرو بن حريث ومحمد بن الاشعث ومحمد بن عمير اجتمعوا بأبى أسماء فعتبوه على تزويجه ابنته لعبيد الله بن زياد وقالوا له خطب الملك وليس له عليك سلطان فبادرت الى اجابته فقال قد كان ماكان قال وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد فلما استعمل على الكوفة تزوج عائشة بنت محمد بن الاشعث وزوج أخاه مسلم بن زياد بنت عمرو بن حريث وزوج أخاه عبد الله بنت محمد بن عمير قال ابن عباس فاجتمعوا اليه والله كلهم فى اللؤم (أبو الريحان) فى كتابه المسمى بالجماهر قال كان المتوكل مستهترا مشهورا بالنساء وكان ربما جامع ويشتاق الى المعاودة فيجد أعضاءه قد ضعفت عن حركات الرمز قال فجعل له حوض قدملئ من الزئبق وبسطت له عليه الفرش فكان يجامع عليه وكان الزئبق يحركه دون أن يستعمل الحركة قال فاستلذ بذلك وسأل عن معدنه فقيل له هو بالشبر من أذربيجان فوجه الى حدون النديم ليوجه له بكل مايحصل منه وكتب له

منشور ابولاية الشيء فقال حمدون

ولاية الشيء عنا * والعزل عنها ولاية
فوالى العزل عنها * ان كنت بى ذا عناية

ولم يزل يرغب فى العزل الى أن عزل وأعفى من الولاية (الابى فى نثر الدر) قال عرضت على المتوكل جارية فقال لها ما تحسنين فقالت عشرين فنا من الرهز فاشتراها (وأنشد البكرى فى اللآلى لبعضهم)

شفاء الحب تقبيل وضم * وجر بالبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالذوائب والقرون

(ابن عبد المؤمن فى شرح المقامات) قال أقبل رجل الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى قتلتنى فقال له على رضى الله عنه اقتلها وعلى اثمها (العتبى) قال سمع عقيل بن علفة المرى بنته وهى ضحكت ثم شهقت فى آخر ضحكها فاختط السيف وحمل عليها وهو يقول

فرقت انى رجل فروق * من ضحك آخره شهيق

فنادت باخوتها فحالوا بينها وبينه وكان عقيل جافيا شديد الغيرة (مجالس) اعرابى فى حلقة يونس بن حبيب فتذاكروا النساء وتفاوضوا فى أوصافهن فقالوا للاعرابى أى النساء أفضل عندك قال البيضاء العطرة اللينة الخفرة العظيمة المتاع الشهية للجماع التى اذا ضوجعت أنت وان تركت حنت بشير بقوله اذا ضوجعت أنت الى رهزها (وقيل لاعرابى) أتعرف ما الحب قال وكيف لا قيل ما هو قال عناق الحبيب ولثم الثغر الشنيب والاخذ من الحديث بنصيب قيل ما هكذا نعده فينا قال فما تعدونه قالوا القعس الشديد والجمع بين الركبة والوريد ورهز يوقظ النوام وفعل يوجب أكبر الآثام فقال ما هذا فعل ذوى الوداد وانما هو فعل طالبى الاولاد * وسأل * الاصمعى امرأة من بنى عذرة فقال لها أنتم أهل العشق فما هو والعشق عندكم قالت الغمزة والقبلة والضمة فما هو عندكم يا حضرى قال فقلت أن يرفع رجليها ويدفع بجهده بين شفريها قالت يا ابن أخى ما هذا بعاشق انما هو طالب ولد (وقال المأمون فى هذا المعنى فأحسن) وتروى هذه الابيات لغيره

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
أو كتب فيها رقى * أنفذ من نفث العقد

من لم يكن ذا حية * فانما يبغي الولد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

(وقال أبو تمام مخالفا لذلك)

وقد قيل في نكح المحبة فاسد * وكم نكحوا حبا وليس بفاسد

(قال محمد بن يحيى المدني) سمعت عطاء يقول كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولا يفرح ان يرى من يراها فاذا ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم تسير اليه فاذا رآها قام اليها كأنه اشهد على نكاحها أبا هريرة واصحابه (وحكى) البكري في اللآلي عن اسحق بن ابراهيم الموصلي رحمه الله تعالى قال حدثتني أم الهيثم قالت جئت زبيدة في بعض الاعوام فلما انتهت الى حي ضربت لها القباب والفساطيط ثم أحبت ان تأنس بجواري الحي فأمرت بجمعهن اليها فكنت ممن دعي قالت فلما صرنا عندها اطعمتنا طعاما خلنا انه من الجنة وسقتنا شرابا حلوا مالا بنا كل ميل وشربت منه وجعلت تحدثنا بحديث كقطع الروض ثم قالت ما تعدون العشق فيكم فقلنا لها يحب الفتى الفتاة فيجتمعان ويتشاكيان ويتباكيان ويتواصفان ما يجدان ثم يفترقان فقالت أبحيث يريان أم بحيث لا يريان قلنا بحيث لا يريان قالت ما صنعتن شيأ قلنا فكيف الامر عندكم يا أهل الحضر قالت تكون النظرة فتزرع المحبة ثم يتراسلان ويتخاطبان ثم يتواعدان فيجتمعان ثم يضرب زيد عمرا قالت أم الهيثم وما معنى يضرب زيد عمرا فقالت ان دخلت الحضر عرفتيه فقلت قد دخلت العراق ولم أعرف فضحكت وقالت انك لمتجاهلة (ومن) هذا المعنى قول ابنة الحجاج لما أنشدت قول عمارة

ومن ليلة قد بتها غير آثم * بساحية الجلبين ريانة القلب

فضحكت وضربت يدها على وجهها وقالت فهذا اثم حرمه الله تعالى ذكر ذلك أبو علي في الامالي * وفي معنى قولها يضرب زيد عمرا أنشد ابن بسام في الذخيرة لبعض العلماء الشعراء المتأخرين في زمان الموحدين فقال

وبيضاء هيفاء وفق المنا * تحيرت فيها وفي أمرها
* اذا أدبرت واذا أقبلت * ففي مرها الموت أو كرها
ولما خلونا وورق الكلام * دفعت بكفي في صدرها
ومن لا اسميه مثل القنا * ة زادت ذراعا على عشرها
فما زلت اجمع طعنا وضربا * على زيدها وعلى عمرها

وصار فيها

وصارفتها العين هذا بذاك * وقد شدت السوق من ازرها
فاعطيتها المحض من فضتى * واعطتنى المحض من تبرها

اشارة الى بياض ماء الرجل وصفرة ماء المرأة وقد روى النسائى فى ذلك حديثا عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فايهما سبق كان له الشبه (وأخذ قوله) * ولما خلونا ورق الكلام * وهو كناية عن المحاورة السابقة للجماع والملاعبة الفاشية من قول امرئ القيس

ولما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذى شماريخ ميال
وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * ورضت فذلت صعبة أى اذلال

(ولامرئ القيس) التقدم فى العبارة عن مثل هذه الحالة بما أنشدناه وبقوله

تقول وقد جردتها عن ثيابها * كمارعت مكحول المدامع أثلما
وحقك لوشئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أرادت لو أحد أتانا رسوله سواك لدافعناه فحذف جواب لو لدلالة قوله ولكن لم نجد لك مدفعا عليه (وأخذ هذا المعنى) عمر بن أبى ربيعة فقال

وناهدة الثديين قلت لما اتكى * على الارض فى ديمومة لم تعهد
فقالت على اسم الله أمرك طاعة * وان كنت قد كلفت مالم يعود
فلما دنا الاصباح قالت فضحتنى * فقم غير مطرود وان شئت فازدد

قولها على اسم الله من أعجب الاشياء ههنا وهو كقول الآخر أنشده ثابت فى كتاب خلق الانسان

قالت وقد أعجبها عتوره * وغاب فى كمثبها خذموره
أستقدر الله وأستخيره

العتور بضم العين المهملة وبالتاء المثناة حركة الذكر وانتشاره وخذموره أصله (وعلى) قوله ورق الكلام حكى الجاحظ قال كان عندنا بالبصرة مخنث يجتمع الناس فى منزله وكان بعض أصحابنا يتعشق امرأة مشهورة بالجمال فلم يزل المخنث يتلطف بها حتى جمع بينه وبينها قال فاجتمعت به وسألته عن كيفية اجتماعهما فقال لما اجتمعنا رق الكلام ووقع الالتزام وقضيت الامور وشفيت حرارات الصدور فى كلام غير هذا قال الجاحظ فلو كان أحد هذا الكلام لمسئلتى قبل ذلك بدهر لكان قد أجاد وأملح

* (الباب الثالث والعشرون فى وطء الرجل فى غير الفرج وذكر صور

لاخلاف فى جواز وطء المرأة فيما عدا الدبر من مغابنها وسائر جسدها وانما اختلف فى جواز وطئها فى الدبر فأكثر العلماء على منعه (وقد) جاء النهى عنه فى أحاديث ووصف بانه اللوطية الصغرى وطائفة كثيرة يجيزونه ونسب ابن شعبان فى كتاب النساء اباحة ذلك الى جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين واختلف فيه عن مالك فروى عنه اباحته من غير الحائض وأسند ابن شعبان ذلك اليه من روايات كثيرة وذكر على بن زياد انه سأله عن ذلك فأنكره وأكذب من نسبه اليه وتأول من أباح ذلك قوله سبحانه وتعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم على ان معناه حيث شئتم وقال لم يحل الله من المرأة موضعا دون موضع والمانعون يتأولون ذلك على ان معناه كيف شئتم أى على أى صفة شئتم من استلقاء أو اكباب أو شرخ أو اتيان على حرف (وجاء) فى ذلك حديث عن ابن عباس خرجه أبو داود عن ابن عباس قال كان هذا الحى من الانصار وهم أهل وثن مع هذا الحى من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم وكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتون النساء الا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة وكان هذا الحى من الانصار قد أخذوا ذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرخون النساء شرخا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم من هذا الحى امرأة من الانصار فذهب يصنع ذلك فأنكرته عليه وقالت له انما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبنى حتى شرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أى مقبلات أو مدبرات أو مستلقيات أو على حرف أو كيف شئتم ولكن فى موضع الولد * شرى أمرهما أى علا وارتفع (وفى حديث آخر) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامع الرجل المرأة من ورائها فى فرجها كان ولدها أحول فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم خرجه البخارى (قال) المازرى فى المعلم اختلف الناس فى وطء النساء فى أدبارهن هل ذلك حرام أم لا وقد تعلق من قال بالتحليل بظاهر قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وانفصل عن ذلك من يحرم بأن المراد بها ما نزلت عليه من السبب والرد على اليهود فيما اختلقت وقالت والعموم اذا خرج على سبب قصر عليه عند بعض أهل الاصول ومن قال بتعديه

وحمله على مقتضى اللفظ من التعميم كانت الآية حجة له فى نفى التحريم ولكن وردت أحاديث كثيرة بالمنع منه فيكون ذلك تخصيصا لعموم الآية باخبار الآحاد وفى ذلك خلاف بين الاصوليين وقد قال بعض الناس منتصرا للتحريم أجمعت الامة على تحريم المرأة قبل عقد النكاح واختلف فيه بعد العقد هل حل هذا العضو منها أم لا فيستصحب الاجماع على التحريم حتى ينقل عنه ناقل وعكس الآخرون وزعموا ان النكاح فى الشرع يبيح المنكوحة على الاطلاق فنحن مستصحبون لهذا حتى يأتى دليل يدل على استثناء بعض الاعضاء (قال) عياض رحمه الله تعالى فى الاكمال أنى هنا تحتمل معنى كيف وتحتمل معنى حيث اذ هى مقتضية لهما معا وبساط الحديث يقتضى معنى كيف واباحة عموم صور الحرث لا مواضعه قال وجل الناس على منعه من الطاهر والحائض وحكى بعضهم الاتفاق على منعه من الحائض ولاصحاب الشافعى فى هذا الوجه قولان فمنهم من قال انه حلال منهما يعنى من الطاهر والحائض ومنهم من فرق والثالث قول الجمهور المنع بكل حال انتهى كلام عياض رحمه الله تعالى (صاحب عرض الحلى) قال التحميض اتيان النساء فى أدبارهن قال ومنه حديث ابن عمر كنا نشترى الجوارى فنحمض فيهن انتهى كلامه * هذا الاثر عن ابن عمر كأنه مناقض للاثر الآخر الذى يرويه الليث عن الحرث بن يعقوب عن سعيد بن يسار قال قلت لابن عمر كيف ترى فى التحميض قال وما التحميض قلت أن يأتى الرجل المرأة فى دبرها قال أو يفعل هذا أحد من المسلمين ذكره البكرى فى اللآلئ ولكن قد ذكر البخارى حديثا خرجه عن ابن عوف عن نافع قال كان ابن عمر اذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عليه يوما فقرأ سورة البقرة حتى انتهى الى مكان فقال أتدرى فيم أنزلت قلت لا قال أنزلت فى كذا وكذا ثم مضى ثم أتبعه البخارى بحديث آخر كالمفسر له يرويه أيوب عن نافع عن ابن عمر قال فاتوا حرثكم أنى شئتم قال يأتيها فى ولم يذكر شيأ فهذا ما ذكره البخارى وهو اشعار بأن ابن عمر كان يبيح وطء المرأة فى الدبر ويروى عن الزهرى أنه قال وهل العبد فيما روى عن ابن عمر فى ذلك (وقال النسائى) عن أبى النضر أنه قال لنافع ان الناس قد أكثروا القول عنك انك تقول عن ابن عمر انه أفتى أن يؤتى النساء فى أدبارهن فقال لقد كذبوا على ولكن سأخبرك كيف كان الامر ان ابن عمر عرض المصحف يوما وأنا عنده حتى بلغ نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم فقال يا نافع هل تعلم ما أمر هذه الآية

قلت لا فقال انا كنا معشر قريش نجبي النساء وذكر نحوا من حديث ابن عباس المتقدم الذي خرجه أبو داود (أبو الفرج في كتاب النساء) قال لما تزوج سليمان بن عبد الملك بن مروان أم سلمة بنت عبد الرحمن بن سهيل الهلالية وكانت قبله عند أخيه الوليد وكانت قبل الوليد عند الحجاج بن يوسف أراد أن يطأ في الفرج ونزل قليلا فصاحت به ارفع يا أمير المؤمنين ولا تخفض فقال لها اني لم أذهب هناك قال وجامعها ليلة وكل وطلب المعاودة وان تمكنه من نفسها في فرجها مكبة على وجهها ليعتمد على عجيزتها فأجابته الى ذلك وكان يقدمها ويؤثرها على سائر نسائه ولم يتزوج ثلاثة من الخلفاء غيرها تزوجت الوليد وسليمان وهشاما (ابن عبد المؤمن في شرح المقامات) قال قرب اعرابي الى امرأته وقد اغتلم واشتد انعاظه فلما هجم عليها قالت له اني حائض فقال لها فأين الهنة الاخرى ثم جعل عليها هنالك وهي تدافعه وتسبه وهو ماض في شغله وينشد

كلا ورب البيت ذي الاستار * لاهتكن حلق الختار
قد يؤخذ الجار بذنب الجار

الختار بكسر الخاء المعجمة حلقة الدبر (والى) هذه الحكاية أشار الحريري بقوله انه عمن يدور خلف الدار و يأخذ الجار بذنب الجار (وأنشد ابن بسام) في الذخيرة لعلي بن حسين

قمت نشوان وقامت * في تهاد وتثني
ونضت عنها قميصا * ثم لما ضاجعتني
قلبت بطنا لبطن * قلت بل ظهر البطن
فانثنت في خجل قا * ئلة بعد التأني
أنا حانوت بوجهين فما ان شئت اوزن

ويسمى وطء المرأة على جنبها في اللغة الحارقة بالحاء المهملة والراء والقاف (وفي) أثر بعض الصحابة كذبتم الحارقة أي عليكم بها وهو اغراء والعرب تغري بهذه اللفظة وقد تقدم ذلك منقولا عن أبي منصور قال أبو منصور ويسمى وطؤها وهي مستلقية على ظهرها الشرخ وهو معنى قول ابن عباس في الحديث المتقدم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء وذكر الاطباء ان هذه الصورة هي أردى الصور النكاح وأقلها ضررا (قال عبد الملك بن حبيب) كان عمر ينهى النساء أن يمن على هذه الصورة يعني في غير وقت النكاح قال وكان يقول

لا يزال الشيطان يطمع فى ادراكهن ما كانت مستلقية يريد ان الشيطان يسول لها اذ ذاك ذكر الرجل لانها صورة اضطجاعها له (وجاء) فى بعض روايات مسلم فى حديث جابر المتقدم ان اليهود كانت تقول اذا جامع الرجل المرأة من ورائها فى فرجها كان ولده أحول فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم قال ان شاء مجبية وان شاء غير مجبية قال المازرى يعنى على وجهها وقال عياض رحمه الله تعالى المجبية تكون على وجهين أحدهما أن تضع يديها على ركبتيها وهى قائمة يعنى منحنية على هيئة الركوع والاخرى أن تنكب على وجهها باركة

﴿الباب الرابع والعشرون فى الغيرة وبيان ما يحمد منها وما يذم﴾

(الدارقطنى) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليغار لعبده المسلم فليغر لنفسه ذكره الدارقطنى فى كتاب العلل وقال فيه حسن صحيح (البزار) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيرة من الايمان (وفى) حديث مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتى المسلم ما حرم الله عليه (مسلم) عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل ومن أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله تعالى ومن أجل ذلك حرم الفواحش (البخارى) عن المغيرة قال قال سعد بن عبادة لو وجدت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من غيرة سعد انى لاغير منه وان الله تعالى لاغير منى (أبو الفرج فى كتاب النساء) عن كعب بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيرة غيرتان فغيرة يحبها الله وغيرة يكرهها الله قلنا يا رسول الله ما الغيرة التى يحبها الله قال يغار أن توقى معاصيه وتنتهك محارمه قلنا فما الغيرة التى يكرهها الله قال أن يغار أحدكم فى غير كنهه يريد والله أعلم ظهور أثر الغيرة من غير سبب يوجب ذلك الاسوء الظن بالمرأة وهو معنى ما روى عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله ابن شداد قال الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخله النار (قال) الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء وذكر آداب المعاشرة بين الزوجين قال ومن ذلك الاعتدال فى الغيرة وهو أن لا يتغافل عن مبادى الامور التى يخشى

غوائلها ولا يبالغ فى اساءة الظن والتعنت والتجسس على البواطن من غير ريبة فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تتبع عورات النساء وقال ان الله يبغض الغيرة من غير ريبة وقال ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فالغيرة التى يحبها الله الغيرة مع الريبة والغيرة التى يبغضها الله الغيرة من غير ريبة والخيلاء التى يحبها الله خيلاء الرجل عند القتال وعند الصدقة والخيلاء التى يبغضها الله الاختيال فى الباطل (وقال على رضى الله عنه) لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك (قال الغزالى) فأما الغيرة فى محلها فلا بد منها وهى محمودة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم عليه وذكر الغزالى هنا بعض الاحاديث التى ذكرنا نحن فى أول الباب (أبو الفرج فى كتاب النساء) قال قال معاوية رضى الله تعالى عنه ثلاث من خصال السودد الصلع واندماج البطن وترك الافراط فى الغيرة (قال) ونزل قيس بن زهير ببعض العرب فقال لهم أنا غيور وأنا خؤور وأنا أنف ولكن لا أغار حتى أرى ولا أخرق حتى أفعل ولا آنف حتى أضام (قال أبو الفرج) فعابوا معاوية بعده ترك الافراط فى الغيرة من خصال السودد قال ولا أرى فيها عيبا فان الافراط هو مجاوزة الحد وتعديه الى ظلم المرأة * وعابوا أيضا قيس بن زهير بقوله لا أغار حتى أرى قال وأظنه انما أراد رؤية السبب لا رؤية المواقعة * وهذا الذى قال أبو الفرج كلام صحيح مقبول (ولمسكين الدارمى) فى معنى قوله لا أغار حتى أرى

وانى امرؤ لا آلف البيت قاعدا * الى جنب عرسى لا أفارقها شبرا
ولا مقسم لا تبرح الدهر بيتها * لتجعله قبل الممات لها قبرا
اذا هى لم تحصن امام فنائها * فليس بمنجيها بنائى لها قصرا
ولا حامل ظنى ولا قول قائل * على غيرة حتى أحيط بها خبرا
فهبنى امرأ راعيت ما دمت شاهدا * فكيف اذا ما سرت عن بيتها شهرا

(وقال أيضا فى مثل ذلك)

ألا أيها الغائر المستشيط * علام تغار اذا لم تغر
تغار على الناس أن ينظروا * وهل يفقئن الحصنات النظر
وما خير عرس اذا خفتها * وبت عليها شديد الحذر
اذا الله لم يعطها عفة * فلن ينفع البعل سوط عمر

ومن ذا يراعى له عرسه ❊ اذا ضمه والمطى السفر

(الزبير فى الموفقيات) قال قال على رضى الله عنه لولده يا بنى اياك والغيرة فى غير موضعها فانها تدعو الصحة الى السقم ولكن أحكم أمرهن فان رأيت ذنبا فاجعل النكير على الصغير والكبير واياك أن تعيرهن الذنب فيهون عليهن العيب (وقال بعض الحكماء) الغيرة جبلة جبل الله عليها بنى آدم وجميع الحيوان ولذلك ترى العير يقاتل عن العانة كل فحل يعرض لها غيران طباع الناس تختلف فيها فمن مفرط آخذ بالظنة ومن متغاض مخل بالدين والمروءة وكلا الطرفين ذميم وخير الامور أوساطها (ومن) كان مفرطا فى الغيرة عقيل ابن علقة له مع بناته ونسائه فى ذلك أخبار تشبه فعل المجنى (وكان) سليمان بن عبد الملك أيضا كذلك حكى صاعد فى الفصوص بسنده الى ابن الكلبى قال كان سليمان بن عبد الملك من أشد الناس غيرة فخرج بريد بيت المقدس بنسائه وثقلته فنزل فى غور البلقاء فى دير من ديارات الرهبان وذلك ليلة كمال البدر وكان فى جنده فتى من كلب يسمى سنانا من قوم يقال لهم بنو كلب وكان من أحسن الناس وجها وأندا هم صوتا وكان أولى به مرارا بين يديه فلما كان فى تلك الليلة دعا فتيانا فأضافهم وسقاهم النبيذ فلما أخذ فيهم الشراب رفع سنان صوته يتغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتى فأرقها ❊ من آخر الليل لما بلها السحر
❊ تدنى على خفيها من معصفرة ❊ والحلى منها على لباتها خصر
لم تحجب الصوت اغلاق ولا حرس ❊ فدمعها لطروق الصوت مخدر
فى ليلة البدر ما يدرى مضاجعها ❊ أنور غرتها أبهى أم القمر ❊
لو خليت لمشت نحوى على قدم ❊ تكاد من رقة للمشى تنفطر

وكان سليمان مع جارية له وكان معجبا بها فلما سمع الابيات نهض وهو برعدة حتى كشف عنها ستارها فوجدها على الهيئة المذكورة فى الابيات فلما رأته والغضب به يتردد فى وجهه علمت ان ذلك منه غيرة لما قد سمع من الرجل فقالت فى نفسها ان لم أتربص عن نفسى والا قتلنى ويقتل الرجل من بعدى فقالت قاتل الله القائل

الا رب صوت رائع من مشوه ❊ قبيح الحيا واضح الاب والجد
قصير نجاد السيف جعد بنانه ❊ الى أمة فدعاء ينسب أو عبد

فقال لها سليمان اما انه على ذلك لقد راعك صوته فقالت يا أمير المؤمنين وافق

صوته من استيقاظه فأصغيت اليه قال فلما سمع سليمان بن عبد الملك كلامها بقي يرعد كأنه السعفة في يوم ريح عاصف وردد يده على قائم سيفه وقال أما والله لاقتلنه أولا نكلن به نكالا يتعظ به من سواه من الاوغاد ثم بعث من أتى به موثقا في الحديد مصفدا فقال له سليمان من أنت نكلتك أمك فعرفه بنفسه فأنشأ سليمان اذ ذاك يقول

* ان سنانا نكلته أمه * وخاله يبكي له وعمه *
ثم بنو كلب جميع قومه * وسوف سرعافيه تفجع أمه
كان لها ريحانة تشمه * فسوف يلقى بعدما يغمه

ثم قال له ياوغد أما اني لا أقتلك ولكني أنكل بك فأمر به فخصي وسمي ذلك الدير به دير الخصيان انتهى ماذكره صاعد (ويقال) ان هذه القضية هي السبب في ان سليمان بن عبد الملك كتب لعامله على المدينة وهو ابن حزم وأمره أن يخصي جميع من في المدينة من المخنثين فخصى الدلال المخنث وغيره (قال) الاصبهاني في كتاب أفعل لما أحضر سليمان بن عبد الملك الشخص الذي غنى الابيات ليخصيه كلمه فيه عمر بن عبد العزيز فقال له اسكت فان الفرس تصهل فتستودق له الحجر وان الفحل يهدر فتضبع له الناقة وان الرجل ليغني فتشتاق له المرأة ثم خصاه (قال الاصبهاني أيضا في الكتاب المذكور) ان سليمان بن عبد الملك كتب الى ابن حزم عامله على المدينة أن يحصي المخنثين الذين بالمدينة بالحاء المهملة أي بعدهم ليرى فيهم رأيه فوقعت للكاتب نقطة على الحاء فصيرتها خاء معجمة فلما وصل الكتاب الى ابن حزم خصاهم من ساعته ويقال بل كتب اليه بخصائهم على الحقيقة من غير اشكال ولا تراجع في أمرهم (قال) ولما خصي طويس قال الآن أعيد علينا الختان الاكبر فليت هذا من أول فقال له المخنث الدلال بل هو الختان الاكبر الذي لابد منه لكل مخنث أبتر * فقال نسيم السحر الآن صرنا مخنثين خصيانا حقا * فقال نوم الضحى يانسيم بل والله كنا مخنثين فصرنا نساء * فقال له جامع الانس يافوم استرحنا والله من حمل ميزاب البول * فقال غصن البان اقصروا عن الكلام فانكم والله جميعا مجانين فما الذي نصنع بسلاح لا ينفع انتهى ماذكره الاصبهاني (قال سهل بن) هارون ثلاثة من المجانين وان كانوا عقلاء الغيران والغضبان والسكران وكان الخليع الشاعر حاضرا فقال له والمنعظ يا أبا عمرو فقال والمنعظ وضحك وأنشأ يقول اذ ذاك

وعاشر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصحبينا

(قال) وقد تنتهي الغيرة وحب المرأة الرجل الى أن يوصي المرأة عند وفاته أن لا تنكح أحدا بعده أولا تتزوج فلانا بعينه ويحلفها على ذلك وأيضا ربما يحلف فلانا انه لا ينكحها وذلك من غاية الحمق والسخف وانما هو اغراء لها بنكاحه وتنبيه لكل واحد منهما على الفكرة في أمر صاحبه (قال) ابن الساعي في تاريخه كانت فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما وهي أخت سكينة عند الحسن ابن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم وكان يحبها فلما احتضر قال لها انك امرأة مرغوب فيك وكاني بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قد جاء خلف جنازتي على فرس مرجل شعره لا بس حلته يسير في جانب الناس متعرضا لك فانكحي من شئت غيره فاني لا أدع من الدنيا وراءي هما غيرك وحلفها بالايمان المغلظة من العتق والصدقة على ذلك فلما مات الحسن جرى الامر على ما وصفه قبل وفاته (قال) وكان يقال لعبد الله بن عمرو بن عثمان المطرف لحسنه وجماله فرآها حاسرة وهي تضرب وجهها فارسل اليها أن لا تضربي وجهك فان لنا به حاجة فارفق به قال فاسترخت يداها وعرف ذلك منها ثم عوضها مكان كل مملوك خلفت به مملوكين ومكان كل شئ شيئين ثم تزوجها فولدت الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو الذي قتله أبو جعفر المنصور وكانت وفاتها هي وأختها سكينة في سنة واحدة رضي الله عنهما (وذكر الرفيق في قطب السرور) أن الهادي كان اشترى أمته أمة العزيز وهي التي تسمى غادر بمائة ألف دينار ويقال ان الربيع اهداها له قال ولم يكن في زمانها أجمل منها ولا أحسن غناء ولا أجمع لكل فن يحتاج اليه من مثلها قال وكان الرشيد يهواها ويكتم ذلك وكان الهادي ينومها في حجره ولا يوقظها حتى تنتبه من نومها لشدة محبته فيها فبينما الهادي ذات يوم جالس معها اذ استؤذن عليه لاخيه هارون فاسرعت الى بعض المواضع القريبة واسرعت في مشيها ودخل الرشيد على أخيه الهادي فسلم عليه وجلس بين يديه فقال له الهادي يا هارون قد حدثتني نفسي بشئ وهو يجول في فكري وقد تنغص له عيشي قال له وما هو يا أمير المؤمنين لا نغص الله لك عيشا فقال له الهادي يا هارون انه وقع في خلدي أني أموت قريبا وأنت تتزوج امرأتي أمة العزيز من بعدي فقال له الرشيد بل يجعلني الله فداءك ويقدمني قبلك يا أمير المؤمنين لا يخطر لك هذا على بال فيئس الظن هذا ولا اسمعني الله فيك سوأ ولا اجمعني فيك فقال الهادي دعني من هذا فهو ما أخبرتك فقال له الرشيد وما الذي يزيل هذا من قلبك فقال له

الايمان والعهود والمواثيق فاعطاه ما أراد من الطلاق والحج ماشيا والعتق والصدقة وكل يمين مؤكدة فكان موسى الهادى قد سكن مابه لذلك ثم لم يلبث الهادى الا اياما قلائل حتى مات وأرسل اليها الرشيد من ساعته يعرض لها بالخطبة فاذكرته ماكان حلف به فقال لها ما أهون ذلك أحج وأطلق وأتصدق واعتق فطلق زبيدة طلقة انعزل بها عنها واعتق حسينا ومسرورا الخادمين وتصدق بمائة ألف دينار وحج فى تلك السنة ماشيا وكانت تفرش له اللبود ميلا ميلا فيقال انه خرج أول الحول فوصل فى آخره وتزوج أمة العزيز لما قضى حجته فاقامت عنده يسيرا فبينما هو ذات ليلة وهى نائمة ورأسها فى حجره اذا انتبهت فزعة مرعوبة مذعورة فاستخبرها عن شأنها فقالت يا امير المؤمنين رأيت الهادى أخاك وقد دخل فأخذ بعضادتى هذا الباب وتأوه وأنشأ يقول

ان امرأ غره منكن واحدة * بعدى وبعلك فى الدنيا المغرور
انست عهدى ولم تعبأ بموثقتى * تبا لفعلك والمفقود مهجور
فلا تهنى بما أصبحت راضية * وكل حى على الحالات مقبور

قال فاقامت بعده هذا كله عاما وقيل شهرا وقيل جمعة وماتت (وذكر) ابن الكردبوس التوزرى فى تاريخه ان الذى أنشده الهادى فى النوم

اخلفت وعدى بعدما * جاورت سكان المقابر
وحلفت لى وحنثت فى * أيمانك الكذب الفواجر
* ونكحت غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد * ولا تخطتك الدوائر *

(قال المؤلف رحمه الله تعالى) وأما غيرة المرأة على الرجل فلا تبلغ وان أفرطت مبلغ غيرة الرجل على المرأة ولذلك أحل الله للرجل وطء أربع من النساء ووطء ماشاء من السرارى لما علم ان فى صبر المرأة تحملا ولم يجعل للمرأة ان تنظر الى غير زوجها لما علم ان صبره لا يحتمله مع حكم أخرى فى ذلك (قال بعضهم) ولذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها (وفى) الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما تدرى الغيرى أعلى الوادى من أسفله (وقالت) عائشة رضى الله تعالى عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ومعه ولده ابراهيم فقال انظرى يا عائشة شبهه بى قالت فحملنى ما يلحق النساء من الغيرة على ان قلت ما أرى شبها (وفى) صحيح مسلم عنها رضى الله تعالى عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم اذا كنت عنى راضية واذا كنت

غضبانة قالت فقلت من أين تعرف ذلك يارسول الله قال اذا كنت راضية فانك تقولين لا ورب محمد واذا كنت غضبانة قلت لا ورب ابراهيم قالت قلت أجل يارسول الله والله ما أهجر الا اسمك (قال) عياض في الاكمال مغاضبة عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي من الغيرة التي عفي عن النساء فيها حتى لقد ذهب مالك وغيره من علماء المدينة الى اسقاط الحد عن المرأة اذا قذفت زوجها على جهة الغيرة واحتجوا على ذلك بالحديث الذي قدمناه نحن وهو قوله صلى الله عليه وسلم ماتدري الغيرى أعلى الوادي من أسفله قال ولولا هذا لكان على عائشة في مغاضبتها للرسول صلى الله عليه وسلم اعظم الحرج لان الغضب على النبي صلى الله عليه وسلم وهجره كبيرة فان فعله ألا ترى قولها انما أهجر اسمك فدل ذلك على ان قلبها لم يهجره وانما كان ذلك منها غيرة لافرط محبتها فيه صلى الله عليه وسلم (وقال) الطبري في بعض كلامه الغيرة من النساء مسموح لهن فيها ولا تنكر من اخلاقهن ولا يعاقبن عليها لانهن فطرن عليها ولا يملكن أنفسهن عندها وذكر الحديث المتقدم لاتدري الغيري أعلى الوادي من أسفله ومثل حديث عائشة المتقدم قول عمر لحفصة أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قال أتهجره أحدا كن اليوم الى الليل قالت نعم قال قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر وهو من هذا الباب (وخرج) مسلم عن أنس وذكر حديث صفية حيث صارت في مقسم دحية وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاه عنها وضرب عليها قبته في السفر وابقى بها وأولم عليها قال فلما رجعنا ونظرنا الى جدر المدينة حششنا اليها فرفعنا مطيتنا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيته وصفية خلفه قد أردفها فعثرت مطية رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرعت قال فلم يس أحد من الناس ينظر اليه صلى الله عليه وسلم ولا اليها حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترها فأتينا اليه فقال لم نشعر قال فدخلنا المدينة فخرج جواري نسائه يترأينها ويشمتن بصرعتها وهن ينظرنها ويشتغين (قال عياض) ذلك لما جبل عليه الضرائر من الغيرة لاسيما بالطارئة عليهن (النسائي) عن أنس بن مالك قال قالوا يارسول الله ألا نتزوج امرأة من الانصار قال ان فيهم لغيرة شديدة (قال) صاحب نثر الدر قال عبد الله بن جعفر لابنته يابنية اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق واياك والمعاتبة فانها تورث الضغينة وعليك بالزينة واعلمي ان أزين الزينة الكحل وأطيب الطيب الماء وقد قدمنا ذكر هذا الاثر في باب الزينة

(قال هشام بن حسان) كانت صفية بنت سيرين أخت محمد بن سيرين تقول أما تستحي الحرة ان تغار قال وأرادت يوما ان تدخل الى بيتها فاذا زوجها مع جارية له على فراشها فاغلقت عليها الباب وانصرفت فلما كان بعد أيام ضرب الجارية فقالت له أتضرب العروس فضحك وقال قد علمت انك عرفت والجارية لك (الزبير في الموفقيات) عن عبد الله بن نافع عن عبد الله بن مصعب قال شكا الى هارون الرشيد وهو ولي عهد ان أم جعفر لا تحمل فقلت له أغرها وحدثته حديث ابراهيم النبي عليه الصلاة والسلام في سارة انها كانت لا تحمل فاتخذ هاجر فحملت باسمعيل فغارت سارة فحملت باسحق قال فاتخذها هارون الرشيد مرجل فحملت بالمأمون وحملت زبيدة بالامين انتهى ماذكره الزبير (وكان الرشيد) يجل أم جعفر ويعظمها وكان يقول ربما أردت غشيانها فاهابها فيأخذني الزمع حتى يمنعني منها ولولا رغبته في الولد لم يغرها بالتسري عليها قال وكانت تقول اياك ان تجعلني في منزلة امائك اللاتي تريد التلذذ والتمتع بهن قال وكنت أهاب الجلوس على فراشها مع جليل موقعها من قلبي اعظاما (وأنشد) لها أبو تمام في الحماسة وذكرانها لبعض الحجازيين ونسبها غيره لعمر ابن أبي ربيعة

* خبروها بانني قد تزوجت فظلت تكاظم الغيظ سرا
ثم قالت لاختها ولاخرى * جلدا ليته تزوج عشرا
وأشارت الى نساء لديها * لاترى دونهن للسر سترا
ما لقلبي كأنه ليس مني * وعظامي اخال فيهن فترا
من حديث نمى الى فظيع * خلت في القلب من تلظيه جمرا

* (الباب الخامس والعشرون يشتمل على ملح من ملح المفاكهات والمطايبات تتعلق كلها بالنكاح وهو خاتمة الابواب) *

(حمزة بن الحسن الاصبهاني في كتاب افعل) قال حضر خوات بن جبير سوق عكاظ فوجد امرأة قد عرضت أنحاء لها للبيع ففتح نحيا منها فنظر اليه وجعله في احدى يديه ثم فتح آخر ونظر اليه وجعله في يدها الاخرى فلما شغل يديها بهما رفع رجليها وأقبل على عمله وهي لا تقدر ان تدافعه حفظا لما في النحيين فلما قضى شغله قام عنها فقالت له لا هنيئا فضرب بها المثل اشغل من ذات النحيين وأظلم من خوات * قال وكان خوات من فتاك العرب وقال له النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم ياخوات مافعل بعيرك الشارد قال قيده الاسلام يارسول الله (قال) أبو عمر وفى الاستيعاب وفى هذه القصة يقول خوات

فشدت على الخمين كفى ضغينة * وأعجلتها والفتك من فعلاتى

قال وهو خوات بن خبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس الانصارى الاوسى اسلم وكان أحد فرسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر) يعقوب بن السكيت القضية فى اصلاح المنطق باوعب من هذا قال ان ذات الخمين من بنى تيم الله بن ثعلبة (قال الرشاطى فى اقتباس الانوار) وذكر عمر بن شيبة فى كتاب اخبار المدينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى بعض غزواته خوات مع نسوة يحدثهن عند أراك الظهران فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ياعبد الله قال التمس ظلعا لبعيرى وقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا بعير له ولا ناقة فقال له صلى الله عليه وسلم أما ترك بعيرك شراده بعد فاستحيا خوات وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر ذلك عليه عمازحا له (وقولها) لما فرغ لاهنيت يشبه قول الآخر * فلا شب الغلام ولا هناها (ذكر الكلبى) قال كان حمة بن رافع الدوسى من اجمل العرب وكان له جمة يقال لها الرطبة وكان يغسلها بالماء فاذا كمل لها يومان حلها فتلأ جلساءه طيبا (قال) وحج على فرس له فرأته الخناس الكنانية وكان يقال لها الجمانة لجمالها وكانت عند رجل من بنى كنانة فوقع حبه فى قلبها فقالت له من أنت فوالله مارأيت أحسن من وجهك ولا من شعرك ولا من فرسك فمن تكون قال امرؤ من الازد قالت فانك حملتنى مالا أطيق ووقعت فى قلبى موقعا فاحملنى معك فانى لا أطيق الصبر عنك قال فحملها الى بلده فولدت له عمر بن حمة وتخرج زوجها الاول فى طلبها فلم يقدر عليها وسمع انها ولدت فقال

الا حى الخناس على قلاها * وان شطت وان بعدت مداها

وقد نبئتها ولدت غلاما * فلا شب الغلام ولا هناها

(وسمع) عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هذين البيتين فقال قد شب وقد هناها على رغم أنفه * قال الرشاطى فى كتابه المسمى باقتباس الانوار والتماس الازهار * وأضفت الى كلامه نبذا من كلام غيره قال كان مسيلمة بن حبيب الحنفى قد تسمى فى الجاهلية بالرحمن فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل اليه يدعوه الى الاسلام فلم يرجع عن كذبه وقال كلانا نبى فان آمن بى آمنت به ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخاذلت بنو تميم فى أمر الردة

واختلفوا اختلافا شديدا فهم على ذلك اذ قامت فيهم سجاح بنت سويد بن
ربوع تدعى النبوة فى فرسان تغلب فأتاهم أمر أعظم مما كانوا فيه وكانت تقول
ان مما أنزل عليها فى الكتاب يا أيها المؤمنون المتقون لنا نصف الارض
ونصفها لقريش ولكنهم قوم لا يعدلون فاتفقت بنو تميم كلهم على نصرتها
وفيهم رؤساء الناس وساداتهم وفيهم مثل الاحنف بن قيس وحارثة بن بدر
وعطارد بن حاجب ونظراؤهم (وفى ذلك يقول عطارد)

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وكان مؤذنها شبث بن ربعى * وقالت لتميم مرة اسمعوا وعوا واتبعوا ما أنزل على
فان فيه شفاء لما فى صدوركم ثم قالت أيها الناس اعدوا الركاب واستعدوا
للنهاب ثم اغدوا على الذئاب فليس من دونهم حجاب فصمدت اليهم فقتلت
منهم قتلا ذريعا ثم قالت لهم بعد ذلك سورة أخرى اقصدوا اليمامة فقيل لها
ان شوكة أهل اليمامة شديدة وقد استفحل أمر مسيلمة فقالت لهم انه أنزل على
يا معشر تميم اقصدوا اليمامة ودفوا اليها دفيف الحمامة فاضربوا فيها كل هامة
واضربوا فيها كل لهامة فان تلحقكم بعد ذلك ملامة قال فتوجهت تميم معها الى
اليمامة فلما سمع مسيلمة الخبر ضاق ذرعا وتحصن فى حجر قصبة اليمامة ثم أحاطت
جيوشها به فأرسل الى وجوه قومه واستشارهم فى أمره فقال يا معشر ثقيف
ما تقولون فى سجاح هذه التغلبية فقالوا له الرأى ان تسلم الامر اليها وتنجو
بنفسك فان لم تفعل فهو البوار فقال لهم سأنظر فى أمرى ثم انه أرسل اليها كتابا
يقول فيه أما بعد فانه أنزل علىّ وحى وأنزل على وحى فهلم نتدارس ما أنزل
علينا فمن غلب صاحبه اتبعه الآخر ونكون لحمة واحدة ونأكل العرب
بقومى وقومك فلما وصلت الرسالة الى سجاح أجابته الى ما طلب فأمر فضرب له
قبة من ادم وأمر بالعود المندلى فأحرق وقال استكثروا لها من الطيب فان
المرأة اذا شمت الطيب تذكرت الباه قال فأتته الى القبة وسألته عما أنزل عليه
فقال ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق
وحشا وأمات وأحيا وان الى الله المنتهى فقالت ثم ماذا قال ألم تر ان الله
خلقنا أفواجا وجعل النساء لنا أزواجا نولج فيهن ايلاجا ونخرج منهن اذا شئنا
اخراجا فضحكت ثم أنشأ وجعل يقول

ألا قومى الى النيك * فقد هيئ لك المضجع
فان شئت فرشناك * وان شئت على أربع

وان شئت بثلثيه * وان شئت به اجمع

قالت بل به اجمع وقالت كذا أمرت وواقعها فلما قام عنها قالت ان مثلى لا ينكح هكذا فتكون وصمة على قومى ولكنى مسلمة اليك النبوة فاذا سلمتها اليك فانخطبنى الى أوليائى قال فكان كذلك وخرجا فاجتمع الحيان بنو حنيفة وتميم فقالت سجاح انه قرأ على ما أنزل عليه من الوحى فوجدته حقا فاتبعته قال فتزوجها وسألوه عن المهر قال قد وضعت عنكم صلاة العصر (قال الرشاطى) فبنو تميم الى الآن بالرمل لا يصلون صلاة العصر ويقولون هى حق لنا ومهر كريمة منا لا نرده (قال) أبو بجيلة العكلى فى ذلك أنشده الآمدى فى معجم الشعراء

ان سجاحا لاقت الكذابا * نبية فخالت الكتابا

وجعلت كعثبها قرابا * أوقب فيه ايره ايقابا

(قال) الرشاطى هى سجاح بنت أوس بن بحوس (وقال القفجديهى) فى كتابه هى سجاح بنت الحارث بن سويد وتكنى بام صادم أسلمت فى أيام معاوية وحسن اسلامها (أبو الفرج فى الاغانى) قال خرجت أنا والسيد الحميرى فلقيتنا ابنة الفجاءة بنت عمر بن قطرى بن الفجاءة وكانت امرأة برزة حسناء فاستوقفها السيد وأنشدها من شعره فاعجب كل واحد منها بصاحبه ثم خطبها فقالت له فكيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق فقال لها يكون مثل نكاح أم خارجة قيل لها خطب فقالت نكح فاستنهكت وقالت انظر فى هذا وعلى ذلك من أنت فعرفها بنفسه فقالت لا شئ أعجب من هذا يمانى وتميمة ورافضى وأباضية فكيف يجتمعان قال فنجتمع ولا يذكر أحد منا مذهبه ولا سلفه فقالت أما علمت انه اذا أرخيت الستور تكشف المستور وظهرت خفيات الامور قال فأعرض عليك أخرى قالت وما هى قال المتعة التى لا يعلم بها أحد فقالت تلك أخت الزنا فقال لها أعيذك بالله أن تكفرى بعد الايمان قالت وكيف ذلك فقال قال الله سبحانه فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة قالت استخبر الله وأفلدك وسارت معه فقضى حاجته منها وبلغ أمرها أهلها من الخوارج فكانوا يتوعدونها بالقتل فكانت تواصله مستخفية من أهلها متى وجدت سبيلا الى ذلك * ولشتان ما بين هذه الخارجية والخارجية الاخرى التى يقول فيها قطرى

لعمرك انى فى الحياة لزاهد * وفى العيش مالم ألق أم حكيم

كانت أم حكيم هذه حسناء جميلة مبغضة للرجال ولم يبق أحد من أشراف

الخوارج حتى خطبها وهي ترد جميعهم وقالت

الا ان وجها حسن الله خلقه * لاجدر أن يأتي به الحسن أجمعا

وأكرم هذا الجسم عن أن يناله * تورك فحل همه أن يجامعا

(وقوله) في هذه الحكاية يكون كنكاح أم خارجة ذكر البكري ان المثل يضرب بها فيقال أسرع من نكاح أم خارجة وكانت حسناء مقبولة فكان الرجال يرغبون فيها ولا يصبرون على ما تطلبهم به من الباءة فيطلقونها (قال) ويروى ان بعض أزواجها طلقها فرحل بها ابن لها عن حيه الى حيها فتبينت راكبا وهو مقبل فقالت لابنها هذا خاطب يخطبني أفتراه يعاجلني قبل أن أحل له ماله أل وغل (قال) وقد ولدت في عدة بطون من العرب حتى لو قال قائل انه لا يكاد يتخلص من ولادتها كثير من الناس لكان قد قارب (الرشاطي) في اقتباس الانوار والتماس الازهار قال كان حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قد كبر وأسن وكانت عنده جندلة بنت فهر بن مالك وكانت امرأة ضخمة جميلة فأصابهم ليلة ريح ومطر فخرجت لتصلح بيتها وكان عليها صدارها فاكبت على الطنب وبرقت برقة فابصرها مالك بن عمرو بن تميم وهي منحنية وقد تكشفت فوثب عليها وخالطها فلما فرغ منها قالت

يا حنظل بن مالك لحرها * شفى بها من ليلة وقرها

قال فأقبل بنوها وزوجها فقالوا لها ما لك فقالت لدغت قالوا أين قالت حيث لا يضع الراقي أنفه فذهبت مثلا (أبو علي في الامالي) قال كان لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان ثلاث بنات قد عنسهن ومنعهن التزويج قال فتحدثن فيما بينهن في ذلك فقالت الكبرى مالي الا أن أقول بيتا من الشعر ليطلق سراحنا فلما جاء أبوها استقبلته بوجهها فقالت

أهمام بن مرة ان شوقي * الى اللائي يكون مع الرجال

فقال لها أي بنية يكون مع الرجال الدراهم والدنانير والسيوف وما أشبه ذلك ولم تبين لي شيأ فقالت الوسطى ما صنعت شيأ ينفعك ولا ينفعنا ثم تقدمت الى أبيها وقالت

أهمام بن مرة ان شوقي * الى قنفاء مشرفة القذال

فقال أي بنية لعلك اردت فرسا أو بهيمة غيرها فسكتت وتقدمت اليه الصغرى وقالت والله ما أفلحتما ولا صنعتما شيأ تحمدان عليه ثم انها تقدمت الى ابيها وأشارت اليه وقالت أهمام بن مرة ان شوقي * الى ابن أسد به مبالي

فلما سمع كلام الصغرى قال ما بعد هذا بيان ثم انطلق وزوجهن من ساعته
(وقد) ذكر صاحب الجمهرة هذه الحكاية بنحو مما تقدم وذكرها أبو العباس
في الكامل فغيرها عن وضعها ولم يوردها على وجهها فانظرها هنالك (ابو علي
في الامالي ايضا) قال كان لرجل من العرب ثلاث بنات وقد عضلهن ومنعهن
الاكفاء فقالت احداهن ان أقام أبونا على رأيه فينا ذهب حظ الرجال منا
فينبغي لنا أن نعرض له بما في نفوسنا لعله أن يستفهم لذلك أو يكون له عقل
يفصل به قال وكان الاعرابي يدخل على كل واحدة من بناته يوما فلما كان يوم
الكبرى دخل عليها فسلمت عليه وقامت اليه ثم جلس يتحدث معها ساعة فلما
أراد الاعرابي الانصراف تقدمت اليه فقالت

أيزجر لاهينا وينهى عن الصبا ❊ ومالحن والفتيان الا شقائق
❊ يؤين حييات مرارا كثيرة ❊ وتنباق احيانا بهن البوائق

فساءه ما سمع منها غاية الاساءة وخرج عنها مغضبا حرجان فلما كان من الغد
دخل على الوسطى فقامت اليه وجلسا يتحدثان ساعة ثم أراد الانصراف
فتقدمت اليه وقالت

ألا أيها الفتيان ان فتاتكم ❊ دعاها سماع العاشقين فخنت
فدونكم ابغوها فتى غير زمل ❊ والا صبت تلك الفتاة وحنت

فزاده ذلك مساءة وخرج من عندها وسار لشكانه وقد زاده القلق واشتد به
الارق وصار فيما يصنع فلما كان من الغد سار الى منزل الصغرى فقامت اليه
وسلمت عليه ورحبت به فجلسا وتحدثا ساعة ثم أراد الانصراف فتقدمت اليه
فقالت

أما كان في ثنتين ما يدع الفتى ❊ ويعقل هذا الشيخ ان كان يعقل
فما هو الا الحل أو طلب الصبا ❊ ولابد منه فائتمر كيف نفعل

فلما رأى تواطأهن على ذلك زوجهن من ساعته (قولها)
ومالحن والفتيان الا شقائق ❊ جاء ذلك في حديث خرجه أبو داود عن عائشة
رضي الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل
ولا يذكر الاحتلام فقال يغتسل وسئل عن الرجل اذا احتلم ولا يجد بللا فقال
لا غسل عليه فقالت أم سليم المرأة ترى ذلك أعليها الغسل قال نعم ثم قال انما
النساء شقائق الرجال (قال) عبد الحق في الاحكام روى عن عبد الله بن عمر
العمري وليس بقوي في الحديث قال وهذا اللفظ انما النساء شقائق الرجال

قد روى فيما أعلم من حديث أنس بن مالك باسناد صحيح * والحديث الذى
اشار اليه عبد الحق هو ما خرجه البزار عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا رأت المرأة الماء فلتغتسل فقالت أم سليم يا رسول الله وهل للمرأة
من ماء قال فانى يشبهن الولد فانما النساء شقائق الرجال (أبو الفرج فى
الاغانى) قال كانت هند بنت النعمان بن المنذر من أجل أهل زمانها وأمها
مارية الكندية وكانت قد دين بدين النصرانية فخرجت فى خميس الفصح
لتتقرب الى البيعة ولها حينئذ احدى عشرة سنة وقد كان عدى بن زيد
اذ ذاك قدم بهدية كثيرة من قبل كسرى الى النعمان وعدى اذ ذاك فتى شاب
حسن الشعر مديد القامة حلو العينين حسن المبسم فوافق دخول هند الى
البيعة دخول عدى بن زيد ليتقرب وكانت هند مديدة القامة عبلة البدن
فرآها عدى وهى غافلة فلم تتنبه له حتى تأملها وقد كان جواريها رأين عديا
مقبلا فلم يعلمنها به لحبة كانت لاحداهن فيه فلما رأت هند عديا ينظر اليها سبت
جواريها ونالت منهن ووقعت هند فى نفس عدى فلبث بذلك حولا لا يخبر به
أحدا فلما كان بعد الحول الثانى أرادت هند الخروج الى البيعة فأسرع بعض
جواريها الى عدى بن زيد فأعلمه بذلك فخرج مبادرا الى البيعة وهو لا يصدق
أن يرى هندا من شوقه اليها وقد تزيا بزى حسن وقد أخرج معه جماعة من
فتيان الحيرة فدخل البيعة فوجد هندا وجواريها فقال جواريها يا سيدتنا
انظرى الى هذا الفتى ما أجمله انه لاحسن من جميع هذه الصور فنظرت اليه
وسألت عنه فقيل لها هو عدى بن زيد فاستعملت القرب منه وكلمته فوقع فى
قلبها موقعا عظيما فقالت لبعض جواريها ويلك انظرى كيف تجمعين بينى
وبين عدى بن زيد فان لم اجتمع به هلكت فبادرت الجارية الى أبيها فأعلمته
بذلك وأخبرته بخبرها وانها قد شغفت به وانه سبب حبها اياه رؤيتها له يوم عيد
الفصح وأعلمته أنه ان لم يزوجها به افتضحت وافتضح هو بسببها فقالت له
اخطبه ليتزوجها فقال لها ويلك وكيف أبدؤ بذلك فقالت له هو راغب فى ذلك
وأنا أحاول أمره من حيث لا يعلم انك عرفت ثم انها تركته وسارت الى عدى
فأعلمته الخبر وقالت له ادعه فاذا أخذ فيه الشراب اخطبها فانه لا يردك فيما
سألت منه فصنع عدى طعاما واحتفل فيه ثم أتى النعمان فسأله أن يحضر عنده
مع أصحابه ففعل فلما أخذ فيهم الشراب قام عدى وخطب هندا من النعمان
فانعم له بها وضمها اليه بعد ثلاث (قال) ومكثت عنده حتى قتله النعمان أبوها،

فى خبر طويل فترهبت وحبست نفسها فى الدير المعروف بدير هند فى ظاهر الحيرة وهى بنته لنفسها فأقامت فيه حتى ماتت وكانت وفاتها بعد الاسلام بزمان طويل فى ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة وبعث اليها المغيرة بن شعبة يخطبها لنفسه فردته وقالت لو علمت انه بقيت فى خصلة من شباب أو جمال لارغبتك فى نفسى ولكن أردت أن تقول فى المواسم ملكت عملكة النعمان ابن المنذر وملكت ابنته ونكحتها اقتدارا وغلبة (قال أبو الفرج فى الاغانى) وقد روى ان هندا هذه كانت تهوى زرقاء اليمامة وانها أول امرأة أحبت امرأة من العرب (وذكر) الجوزى فى الاذكياء قال كان عبد الله بن رواحة مضطجعا الى جنب امرأته فخرج الى بعض الحجر فواقع جارية له فانتبهت المرأة من نومها فلم تجده الى جنبها فخرجت فاذا هو مع الجارية فأخذت حديدة وأقبلت اليه فالفته راجعا فقالت أما انى لو وجدتك حيث كنت لوجأت بها بطنك فقال لها ولم ذلك فقالت لانك كنت مع جاريتك فأنكر ذلك فقالت بلى وقد رأيتك بعينى فلج فى الانكار فقالت له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الجنب عن قراءة القرآن فاقرأ اذا منه ما أعلم به صدقك فقال عبد الله عند ذلك

وفينا رسول الله يتلو كتابه * كما انشق مشهور من الصبح ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

قال فلما سمعت قوله قالت آمنت بالله وكذبت بصرى قال عبد الله فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فضحك حتى بدت نواجذه (ومن) كتاب طارد الهموم اتفق مثل هذا لبعضهم فأمرته زوجته أن يقرأ من القرآن ما يستدل به على صدقه فقال

شهدت بأن وعد الله حق * وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد * ملائكة الاله مسومينا

فلم تشك ان ذلك من القرآن فصدقته وتخلص بذلك منها (وذكر) ابن عبد البر قضية عبد الله بن رواحة فى الاستيعاب وقال انها مشهورة صحيحة وذكر انه أنشد الابيات التى ذكرها صاحب كتاب طارد الهموم (وقريب) من هذه القصة ما ذكره أبو الفرج فى الاغانى عن الحسن بن الضحاك قال كانت لى نوبة فى دار الواثق فبينا أنا نائم ذات ليلة اذ جاء فى خصى فقال لى ان الواثق يدعوك

فسألته عن الخبر فقال لى انه كان نائما الى جنب حظية له فقام وهو يظنها نائمة فالم بجارية أخرى وعاد الى فراشه فغضبت عليه وتركته حتى نام ثم قامت ودخلت حجرتها فانتبه فلم يجدها فسأل عنها فأخبرانها قامت غضبى ودخلت حجرتها فاستدعى بك قال فضيت مع الرسول ورويت أبياتا فى طريقى فلما جئت أخبرنى القضية وأمرنى أن أنظم فى ذلك شعرا فأطرقت كأنى أقول شعرا ورفعت رأسى وأنشدته

غضبت اذ زرت أخرى زورة * فلها العتبى لدينا والرضا
يا فدتك النفس كانت هفوة * فاغفرنها واصفحى عما مضى
* فلقد نبهتنى من نومتى * وعلى قلبى كنيران الغضى

فاستحسنها وأمرنى باعادتها فأعدتها عليه حتى حفظها ثم قام الى الجارية فأنشدها اياها وترضاها فكان بعد ذلك اذا رآنى تبسم لحسن موقع الابيات منه ومن الجارية ونجعها عندها (وحكى) المبرد عن اسحق بن الفضل الهاشمى قال كانت لى جارية وكنت شديد الوجد بها وكنت أهاب ابنة عمى فيها فبينا أنا ذات ليلة على السرير اذ عرض لى ذكرها فنزلت من أعلى السرير أريدها اذ ضربتنى فى طريقى عقرب فرجعت الى السرير مسرعا وأنا أتأوه فانتبهت ابنة عمى وسألتنى عن حالى فعرفتها ان عقربا لدغتنى فقالت أعلى السرير لدغتك العقرب فقلت لا فالت فأصدقنى الخبر فأعلمتها فضحكت وأنشدت

وداري اذا نام سكانها * يقيم الحدود بها العقرب
اذا رام ذو حاجة غفلة * فان عقاربها ترقب

ثم دعت جواريها وقالت عزمت عليكن ان قتلتن عقربا بقية هذه السنة (البيهقى فى المحاسن) قال كان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنزه الناس نفسا وأبعدهم عن المزاح والرفث فأتاه ابن أبى عتيق يوما وكان ذا فكاهة ومزاح وفى يده رقعة فيها

ذهب الاله بما تعيش به * وقرت لبك أيما قر
أنفقت مالك كله سفها * فى كل زانية وفى الخمر

وكانت زوجة ابن أبى عتيق عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية وكانت قد هجته بها فقال له يا أبا عبد الرحمن انظر هذه الرقعة وأشر على برأيك فيمن هجانى بما فيها فلما قرأها عبد الله استرجع وقال له أرى لك أن تعفو وتصفح فقال له والله يا أبا عبد الرحمن لئن لقيته لا تيكنه نيكا شديدا يذهب غيظى فارعد عبد

الله وأبرق وقال له مالك خراك الله تعالى هو والله ما أخبرتك فافترقا فلما كان بعد أيام لقيه ابن عمر فأعرض عنه فصاح به يا أبا عبد الرحمن انى لقيت صاحب البيتين فنكته وبررت يميني فصعق ابن عمر فلما رأى ابن أبي عتيق ما نزل به دنا منه وقال له في أذنه انهاز وبحتى فسرى عن ابن عمر وقام وهو يضحك فقبل بين عينيه وقال له أحسنت فزدهما من هذا الادب * ابن أبي عتيق هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومحمد بن عبد الرحمن هو المكنى بابي عتيق وعبد الله هو صاحب النوادر واللطف مع عمر بن أبي ربيعة (أبو الفرج في الاغاني) قال واعد العرجي هوى له بشعب من شعاب عرج الطائف فجاء هو على حمار ومعه غلامه وجاءت هي على أتان ومعها جارية لها فواقع العرجي المرأة وواقع الغلام الجارية ونزا الحمار على الاتان فقال العرجي هذا يوم غاب عنه العرجي هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان وسمي العرجي لسكناه عرج الطائف وكان غزلا منهمكا لا يبالي بأحد فأوجب ذلك سقوط نباهته (الحريري في درة الغواص) قال حدثني أحد شيوخي ان ليلى الاخيلية كانت تتكلم بلغة بهراء وبهراء يكسرون حرف المضارعة فيقولون أنت تعلم ونحن نرتمي وما أشبه ذلك فاستأذنت يوما على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشعبي فقال أتأذن لي يا أمير المؤمنين في ممازحتها فقال له افعل فلما دخلت ليلى واستقر بها المجلس قال لها الشعبي يا ليلى مالك قوملك لا يكتنون فقالت ويحك مالك مكنتني فقال لا ولو فعلت لاغتسلت فخجلت من ذلك واستغرب عبد الملك ضحكا (وقريب) من هذا ما حكاه ابن دريد عن عبد الرحمن عن الاصمعي قال كانت امرأة تحاجي الرجال فلا تكاد تغلب فأتاها رجل فقال لها أحاجيك فقالت له قل فقال كاد فقالت كاد العروس ان يكون أميرا فقال كاد فقالت كاد المسافر يكون اسيرا فقال كاد فقالت كاد البيان يكون سحرا فولى وأراد ان يذهب فقالت احاجيك فقال لها قولي فقالت عجبت فقال عجبت من السبعة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها فقالت عجبت فقال عجبت من الحجارة لا يعظم صغيرها ولا يصغر كبيرها فقالت عجبت فقال عجبت من حفرة بين رجليك لا يملأ حفرها ولا يدرك قعرها قال فاستحيت وتركت ما كانت تفعل (نظر) اعرابي الى رجل يواقع امرأته فسئل عما رأى فقال رأيته يجذبها بمقدمه ويحفزها بمؤخره وخفي على المسئول (وقال آخر) رأيته قد تبطنها ورأيت خلخالا شائلا وسمعت نفسا عاليا ولا علم لي بما وراء ذلك

(وقال) أحد الشهود الذين شهدوا عند المغيرة رضى الله عنه رأيت بين رجلى امرأة ورأيت قدمين مخضوبتين تخفقان وأستين مكشوفتين وخلخالا شائلا وسمعت بينهما ضغطة ونفسا حثيثا (ابن عبد المؤمن فى شرح المقامات) قال جاءت امرأة الى المغيرة بن شعبة بزوجها تستعدى عليه وتذكر انه عنين فقال الرجل

* الله يعلم يا مغيرة أننى * قد دستها دوس الحصان المرسل
وأخذتها أخذ المغصب شاته * عجلان يذبحها القوم نزل *

فقال له المغيرة أنى لارى ذلك فى شمائلك وحكم له عليها (التيفاشى فى قادمة الجناح) قال خاصمت الدهناء بنت مسحل ابن عمها العجاج وكان عنينا الى والى اليمامة وادعت عليه انه مذ دخل بها ما قربها وكان أبوها يعينها فى خصامها فقال له أهل اليمامة أما تستحى أن تطلب العسب لابنتك فقال انى أحب أن يكون لها ولد فان أفرطتهم أجرت وان بقوا نفعوها فدخلت على العامل فقالت له انى منه بجمع فقال لها العلك تعازين الشيخ فقالت له كلا انى لارجى له كعثى وأقيم له صلبى فقال كذبتك أيها الامير انى لآخذها العقيلى والشعرنية فقال قد أجلتك سنة وانما أراد الوالى ستره فانفصل العجاج وهو ينشد ويقول

أظنت الدهناء ظن مسحل * ان الامير بالقضاء يعجل *
عن كسلاتى والحصان يكسل * عن السفاد وهو طرف هيكل

وأخذ بعد ذلك يضمها ويقبلها أى كأنه رجل فقالت له

تالله لا تخدعنى بالضم * وكثرة التقبيل بى والشم
الا بهرمار يسلى همى * يسقط منه فقمى فى كمى

فذهب بها الى أهله وطلقها من ليلته سترا على نفسه * العسب النكاح وقولها انى منه بجمع بضم الجيم وان شئت كسرت أى باقية على بكارتى لم يصل الى وتعازين الشيخ أى تمانعينه وتغالبينه والعقيلى والشعرنية نوعان من أنواع المصارعة وقوله والحصان يكسل بالضم وهى لغته وسمعت غيره من بنى تميم يقول يكسل بفتح الياء والسين المهملة والفتح جمع فتحة وهى الخواتيم وقيل هى حلق تجعل فى الاصابع لافصوص لها (وفى) معنى قولها تالله لا تخدعنى الابيات أنشد البكرى فى اللآلئ لبعضهم

لا ينفع الجارية اللعاب * ولا الوشاحان ولا الجلباب

من دون أن تلتصق الاركاب * وتلتقى الاسباب والاسباب
ويخرج الزب له لعاب

(وقال) هدبة بن خشرم فى مثل ذلك أنشده الجوهرى فى الصحاح

تالله لا يشفى الفؤاد الهائما * نفث الرقى وعقدك التمائما
* ولا اللمام دون أن تلازما * ولا اللزام دون أن تفاغما
* ولا القغام دون أن تفاقما * وتعلو القوائم القوائما *

قال صاحب الصحاح القغام بالغين المعجمة التقبيل وكذلك اللثم والقغام بالقاف الجماع وقال صاعد فى الفصوص القغام بالغين وضع الانف على الانف وبالقاف وضع الشفة على الشفة (وأنشد ابن وكيع) فى كتابه المسمى بالنزهة لامرأة من بنى ضبة فقال

لخلوة ليلة وبياض يوم * مع ابن الوابلى شفاء قلبى
بجنبة أو سده شمالى * وأرفع باليمين ذيول أثبى
وأرشف من محاج الظلم منه * جنيا من لذيذ الريق عذب
والصق بالحشا منى حشاه * ويسهل من قيادى كل صعب
وألمس كفه جهدا لعلى * على ركب لجثة ظهر قعب
فيجمع منكبى الى معتى * تضاغط ركبتاى ضلوع جنبى
ويسحبنى على البطحات حتى * تنال غدائرى تعفير ترب

(وأنشد صاعد فى الفصوص لبعضهم)

كنت أحب ناشئا عبنبلا * يهوى النساء ويحب المغزلا
يجمع بين جده والهزلا * يأخذنى أخذ الصقور الجحلا

العبنبل الرجل الضخم قال صاعد رحمه الله لقد كانت غليمة (قال أبو الفرج) فى الاغانى أحب تأبط شرا جارية من قومه وكان على ما كان عليه من الشدة فطالبها زمانا فلم يقدر عليها ثم لقيته ذات ليلة فاجابته لما طلب فلما أراد مواقعتها عجز عنها واستحيا فتنحى وبت عليه لقوة نفسه ويذهب بزعمه فأنشأ يقول

مالك من أبرسليب الخلة * عجزت عن بكهثة رفلة
تمشى اليك مشية هزولة * كمشية الارخ تريد العلة
لو أنها راعية فى تلة * لصرت الهراوة العتلة

الارخ الانثى من البقر والعلة الواحدة من العلل وهو معاودة الشرب تريد انها

قد شربت أولا فشيتها ثقيلة لاجل ذلك وهكذا قول بعضهم أنشده الثعالبي

* لي ايرا احفى الله منه * صار همي به عريضا طويلا
نام اذ زارني الحبيب عنادا * وله هدى به ينيك الرسولا
حسبت زورة لشقوة وجدي * وافترقنا وما شفينا الغليلا

(ودخل) موسى بن عيسى على جارية له فعجز عنها فأنشأ يقول

النفس تحرص والاسباب عاجزة * والمرء بينهما هالك بين اليأس والطمع

وذكر ابن قتيبة في أخبار الشعراء هذا البيت للرشيد (وقال) اعرابي قد عجز وكبر

عجبت من أيري وكيف يصنع * ادفعه بامسي فيرجع
يقوم بعد الشد ثم يركع

(وسئل) آخر عن حركته فقال يمتد ولا يشتد فاذا أكرمته ارتد (الهيثم بن عدي) قال كان عبد الملك بن مروان شديد الشغف بالنساء فلما أسن وكبر وضعف عن الجماع زاد غراما بهن فدخل اليه يوما ايمن بن خريم فقال كيف أنت يا أيمن فقال بخير يا أمير المؤمنين فقال وكيف قوتك فقال كما أحب والله المحمود اني لآكل الجذعة وارتحل البعير الصعب وافترع العذراء لا يقعد في عنها الكبر ولا ينقص مني في مخالطتها الوطر فغاظ ذلك عبد الملك وحسده عليه فمنعه العطاء وحجبه حتى أثر ذلك في حاله فقالت له امرأته ويحك اصدقني عن حالك فهل أجرمت قال لا والله فقالت هل دار بينك وبين أمير المؤمنين حديث فقال نعم واخبرها فقالت من هنا أتيت لقد حسدك الرجل على ما وصفت به نفسك ولكني احتال لك ثم تهيأت ودخلت على عاتكة زوج أمير المؤمنين فقالت لها اني أطلب منك ان تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي قالت لها وما ذاك قالت والله ما أدري امع رجل أنا أم مع حائط وان له لسنين لا يعرف لي حديثا ولا فراشا وقد عزمت على فراقه فخرجت عاتكة الى أمير المؤمنين عبد الملك فعرفته ذلك وسألته في أمرها فوجه الى أيمن وسأله عما تشكت به زوجته فاعترف بذلك فقال أولم أسألك عن هذا منذ مدة فوصفت كيت وكيت فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل ليتجمل عند سلطانه ويحضر أعداءه باكثر مما وصفت به نفسي وأنا الذي أقول

لقيت من الغانيات الصعابا * لوادرك مني النساء الشبابا
ولكن جميع النساء الحسان * عناه شديدا اذا المرء شابا
اذا لم يلن من المرء ذاك * يكن شماسا عليه صعابا

وان لم يخالطن كل الخلا * طاصبحن مخذ عطات غضابا
علام يكحلن جور العيون * ويحدثن بعد الخضاب الخضابا
فهل ذاك الا لما تعلمون * فلا تمنعن النساء الضرابا

قال فجعل عبد الملك يضحك منه ومن قوله ثم قال له أولى لك يا أيمن لقد لقيت منهن برحا فما تصنع مع زوجتك قال استأجلها أجل العنين وأداريها العلى أستطيع امساكها قال افعل ففعل ورجعت اليه وأمر له عبد الملك بمائة من عطائه * أيمن بن خريم أحد التابعين ولابيه خريم بن فاتك صحبة وروايات عن رسول صلى الله عليه وسلم وينسب خريم الى جده فاتك وانما هو خريم بن الاحرم بن عمرو ابن فاتك وقد ذكرناه في شرح الشفاء ويروى ان عبد الملك قال له لما أنشد هذا الشعر ما عرف أحد النساء معرفتك ولا وصفهن وصفك (قدم) أبو النجم العجلي من البادية على هشام بن عبد الملك وقد أسن أبو النجم فقال كيف رأيك يا أبا النجم في النساء فقال ما لهن عندي خير الا اني انظر اليهن شزرا ولا ينظرن الي الا شزرا فقال وما ظنك بي يا أبا النجم قال ظني بك يا أمير المؤمنين ظني بنفسي فقال له لا علم عندك ثم أرسل الى جواريه فقال لهن أعلمن ابا النجم ما لكن عندي فقلن يا أبا النجم ليس منا واحدة تصلي صلاة الا بطاهر منه أو بغسل فاستغرب أبو النجم وتعجب من ذلك ثم أمر هشام لجارية وأمرها أن يغدو عليه بخبزه معها فلم يقدر عليها أبو النجم ليلته وأصبح فسأله هشام عما صنع فقال ما صنعت شيأ وأنشده

نظرت فاعجبها الذي في درعها * من حسنه ونظرت في سربالها
فرأت لماكا فلا ينوء بخصرها * وعثار وادفه واجثم ناتلها
ورأيت منقبض البجان مقلصا * رخوا حمائله رقيقا بالها
أدنى له الركب الحليق كأنما * ادنى اليه عقاربا وأفاعيا
ما بال رأسك من ورائي طالعا * أحسبت ان حز القفاة ورائيا
فاذهب فانك ميت لا ترتجي * ابد الابيد ولو عمرت لياليا

فضحك عبد الملك وأمر له بجائزة (قال هشام بن عبد الملك) للابرش الكلبي زوجني امرأة من كلب فزوجه فقال له ذات يوم وهو يداعبه انا تزوجنا الى كلب فوجدنا في نسائهم سعة فقال له الابرش يا أمير المؤمنين ان نساء كلب خلقن لرجال كلب * وسمع * رجل من كندة رجلا من غيرهم يقول انا وجدنا في نساء كندة سعة فقال له الكندي ان نساء كندة مكاحيل فقدت مراودها

(قال ابن عبد ربه فى العقد) قال غلامه بن اشرس كنت مدلا بكلامى وانقطاع خصمى فازداد الله عز وجل ان يقطعنى بامنعف الناس حجة وذلك انى اشتريت جارية فقلت ويحك ما اوسع حرك فقالت

نفسى الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

* قيل * لامرأة تطلق كثيرا ما بالك تطلقين ابدا فقالت انهم يريدون الضيق ضيق الله عليهم قبورهم (قال الزبير فى الموفقيات) عن عمه قال أتى موسى ابن مصعب امرأة مدنية لها قينة مغنية يعترضها فاذا امرأة بارعة الجمال لها هيئة وحال ورأى فى الدار شابا دميما يأمر وينهى ويذهب ويجىء فسألها موسى عنه فقالت هو بعلى وأناله الفداء فقال انا لله وانا اليه راجعون مصيبة ما أعظمها وما أفظعها أهذا الجمال وهذه الهيئة لهذا الرجل الذى أرى فقالت له يا ابن أم أما والله لو استدبرك بما استقبلنى به لبعت طارفك وتالدك عليه ولعظم فى عينك وعاد قبحه فى عينك حسنا فقال لها بارك الله لك فيه (وافى) الفرزدق جارية فنظر اليها نظرا شديدا فقالت مالك تنظر الى فوالله لو كان لى ألف حر ما طمعت فى واحد منهم فقال لها ولم ذلك فقالت له لقبح منظرك وسوء مخبرك فقال لها والله لو جربتنى لعفى مخبرى على منظرى ثم تكشف لها عن مثل ذراع البكر قال فتضيعت وسال لعابها وتكشفت له عن مثل سنام الناقة وقع عليها وقال

ادخلت فيها كذراع البكر * مدملك الرأس سديد الاسر
زاد على شبر ونصف شبر * كأنما ادخلته فى جمر

(قال) صاحب جراب الدولة كانت امرأة تغاضب زوجها فكلما وقع بينهما شر رفع رجليها وجامعها فكانت تقول له ويحك لا أقدر على مغاضبتك كلما غاضبتنى جئتنى بشفيع لا أقدر على رده (صاحب روضة الازهار) قال وقع بين رجل وامرأته شر فلما اضطجع لينام دنت منه فقام ذكره فردته بيده وقال مالك ولمن تغاضبك فقالت نحن تغاضبنا السبب فهل جرت بين هذين مغاضبة قال لا وقام اليها واصطلحا (أبو الفرج فى الاغانى) قال قالت هند بنت الحارث المرية يوما لعمر بن أبى ربيعة وكان يهواها ويشبب بها لو رأيتنى يا عمر منذ أيام وقد أصبحت عند أهلى فادخلت رأسى فى جيبى ونظرت الى حرى وقد حلقته فاذا هو مل الكف ومنية المتمنى فصحت وعمراه قال عمر فصحت بالنيكاه بالنيكاه ومددت صوتى فطفقت تضحك منى (ومن) الكتاب المذكور قال اجتمع مطيع

ابن اياس ويحيى بن زياد ونظراؤهما فشربوا أياما تباعا فقال يحيى لاصحابه ويحكم ان لنا أياما لم نصل فقوموا فلنصل ولتصل الجارية بنافامتثلت ما أمروها به وأخذت تصلى معهم وكان عليها غلالة رقيقة وليس معها سراويل فلما سجدت ظهر حرهاوانكشف وكان حديث عهد بالحلاق فطأطأ مطيع عليه فقبله وقال ولما بدا حرها حائما * كراس سليق ولم يعتمد خررت عليه فقبلته * كما يفعل الناسك المجتهد

(ومنه) قال حج الحسين بن الضحاك فمر في منصرفه بموضع يعرف بالقريتين فيه جارية تطلع في ثيابها وتضرب بيدها على حرها وتقول ما أضيعني وأضيعك فقال

مررت بالقريتين منصرفا * من حيث تقضى ذوو الهدى النسكا
اذا فتاة كأنها قمر * للتم لما توسط الفلكا *
واضعة كفها على حرها * فتقول واضيعتي وضيعتكا *

وأنشد الابيات فضحكت وغطت وجهها حياء (ابن الانطاس) في كتابه المسمى بالمظفر قال دخل المهدى الى بعض الحجر فرأى جارية مجردة تغتسل فلما رأته غطت فرجها بيديها فقال * نظرت في القصر عيني * وأرتج عليه فسأل ممن الباب من الشعراء فقيل له بشار فأمر بادخاله ثم سأله الاجازة فقال

نظرت في القصر عيني * نظرا وافق حيني
سترت لما رأتني * دونه بالراحتين
فضلت منه فضول * تحت طى العكنتين
ليتني كنت عليه * ساعة أو ساعتين

فضحك المهدى وقال قبحك الله أكنت ثالثنا فقال يا أمير المؤمنين اني أتوب من قولي ساعة أو ساعتين قال فما تقول ويحك فقال سنة أو سنتين فقال اخرج لا أم لك وأمره بجائزة (أبو الفرج في الاغاني) قال طلب من المهدى جواريه أن يتحدثن مع بشار وقلن له انه محجوب البصر لاغيرة عليك منه فأمره ان يدخل عليهن ويحدثهن فاستظرفنه وقلن له وددنا يا أبا معاذ لو كنت أبانا حتى لا نفارقك فقال لهن ونحن على دين كسرى فبلغ المهدى ذلك فنعاه من مجالستهن (أخذ المتنبي هذا المعنى فقال)

يا أخت معتنق الفوارس في الوغى * لا تخدعي ثم اعطفي منك وارحمي
* يرنو اليك مع العفاف وعنده * ان المجوس تصيب فيما تحكم

(ومن) الاغانى عن بعضهم قال أتيت بشارا وبين يديه مائتا دينار فقال لى خذ من هذه ماشئت ثم قال لى أتدرى ماسببها قلت لا فقال أتانى فتى فقال لى أنت بشار فقلت نعم فقال انى آليت على نفسى ان ادفع اليك مائتى دينار وذلك انى عشقت امرأة فجئت اليها فكلمتها فلم تلتفت الى فهممت ان أتركها فذكرت قولك

لا يؤيسنك من مخبأة ❊ قول تغلظ منه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة ❊ والصعب يركب بعد ما جمحا

فعدت اليها ولازمتها حتى اتصلت بها (الزبير فى الموفقيات) عن سليمان بن عباس قال اخبرنى أبى قال مررت فى أرض بنى عقيل فرأيت جارية بيضاء تدافع فى مشيها تدافع الفرس المختال تنظر عن عينين نجلاوين باهداب كقوادم النسر لم أر أكمل جمالا منها فوقفت لاكلمها فقالت لى عجوز بقناء منزلها مالك ولهذا الغزال النجدى الذى لاحظ لك فيه فقالت لها الفتاة دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة

والا يكن الا تعلل ساعة ❊ قليلا فانى نافع لى قليلها

وفى بعض روايات هذا الخبر عن غير الزبير فقالت العجوز

ومالك منها غير انك ناظر ❊ بعينيك عينها وجيد جديب

(ابن أبى طاهر فى تاريخه) قال فى كان المهدى غزل وحب فى النساء فبلغه عن عونة بنت أبى عون جمال وهيئة فقال للخيزران استزيرها فاستزارتها فلما صارت عونة اليها قالت لها الخيزران هل لك فى الحمام فقالت لها اذا شئت فدخلت معها فلم تشعر عونة الا والمهدى قائم على رأسها وهى عريانة فدخلت خلف الخيزران واستترت منه فجذبها فأخذت كرسيا وقالت والله لئن دخلت على أو دنوت منى لاهشمن به وجهك فقال لها انما أردت ان أنظر اليك لاتزوجك فقالت لا سبيل الى ذلك فانصرف عنها (وبلغه) عن بنت لوزير أبى عبد الله مثل ذلك ففعلت الخيزران الفعلة بعينها ودخل المهدى فجذبها فقالت أنا أمتك فافعل بى ماشئت فصرف الخيزران ووقع عليها فنال منها ما أحب فلما انصرفت اخبرت أخاها عبيد الله بذلك فكلفها باستزارة الخيزران ودخلت الحمام معها فلم تشعر الخيزران الا بعبيد الله قد هجم عليها فاستترت فقال لها أما أنا وأردنا أن نفعل ما فعلتم بحرمنا لفعلنا ولكن لا نستحل ذلك فانصرفت الخيزران وأعلمت المهدى بذلك فحنق عليه بعد مدة فقتله (صاحب روضة الازهار)

قال

قال كان هرون الرشيد بالساء ومعه جاريتان له فقال لتثبت معي واحدة منكما فسبقت احداهما وقالت أنا أثبت معك فبادرت الاخرى وقالت بل أنا فقال للاولى ما حجتك التي ترجح دعواك فقالت قول الله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون فقال للاخرى هذه قد أتت بحجة فما حجتك أنت فقالت قول الله عز وجل وللآخرة خير لك من الاولى فقال قد أتت كل واحدة منكما بحجة بينة وأنا أثبت بينكما فثبتا معها جميعا (أبو الفرج في الاغاني) عن اسحق بن ابراهيم قال وجه الى الرشيد ذات ليلة وقد مضى شطر الليل فبينا انا عنده اذ استؤذن للفضل بن الربيع فاذن له فدخل فقال ما جاء بك يا فضل في هذا الوقت فقال خير يا أمير المؤمنين انه جرى لي في هذه الليلة أمر لم يجز كتمانه وذلك اني رقدت مع ثلاث من الجواري مكية ومدنية وعراقية فدنت المدنية يدها الى ذكري حتى قام وانتفظ فوثبت المكية وجاذبته اليها ودونها فقالت لها المدنية ما هذا التعدي ألم تعلمي ان مالكا حدثنا عن الزهري عن جابر بن عبد الله عن سعيد بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحيا أرضا مواتا فهي له فقالت لها المكية حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصيد لمن صاده لا لمن أثاره فدفعتها العراقية عنه وقالت هذا لي وفي يدي حتى تنقضي مخاصمتكما وتصطلحا قال فضحك الرشيد وأمر بحملهن اليه ففعل وحظين عند الرشيد وذهبن به كل مذهب وفيهن يقول

ملك الثلاث الآنسات عناني ❊ وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها ❊ وأطيعهن وهن في عصياني
ماذاك الا أن سلطان الهوى ❊ وبه يصلن أعز من سلطاني

❊ ويقال ❊ ان العباس بن الاحنف قال هذه الابيات على لسان أمير المؤمنين الرشيد وهي بنفس العباس أشبه (عارض) هذه الابيات سليمان بن الحكم المرواني صاحب قرطبة الملقب بالمستعين فقال

عجبا بهاب الليث حد سناني ❊ وأهاب سحر فواتر الاجفان
❊ وأقارع الاهوال لا متهيبا ❊ منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى ❊ زهر الوجوه نواعم الابدان
كالكواكب الظلماء لكن لناظر ❊ من فوق أغصان على كثبان
هذي الهلال وتلك أخت المشتري ❊ حسنا وهذي أخت غصن البان

حاكمت فيهن السلو الى الرضا * فقضى بسلطان على سلطاني
فابحن من قلبي الجوى وتركنني * في عزملكي كالاسير العاني
* ماضرانى عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبداني
لاتعذلوا ملكا تذلل في الهوى * ذل الهوى عزومالك ثاني *
ان لم أطع فيهن سلطان الهوى * كلفابهن فلست من مروان

هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بويع بقرطبة سنة اربعمائة وقتل بها سنة خمس واربعمائة (الجوزى فى الاذكياء) عن المفضل قال دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وبين يديه جارية لم أر أحسن منها وجها فاهديت اليه فقال لى يامفضل قل فى هذا الورد شيأ تشبهه به فقلت

كأنه خدموقوق يقبله * فم الحبيب لقد ابقى به جلا

(قال فقالت الجارية)

كأنه لون خدى حين تدفعنى * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال لى يامفضل قم فان هذه الساجنة قد هيجتنى فقمت وارخيت الستور عليهم
(أبو الفرج فى الاغانى) عن على بن الجهم قال لما افضت الخلافة الى المتوكل اهدى اليه الناس على اقدارهم واهدى اليه طاهر جارية تسمى محبوبة تقول الشعر وتلحنه وتغنيه وكانت تحسن كل مايحسنه علماء الناس حسن موقعها من المتوكل وحظيت عنده حتى لم يكن عنده أحد بمنزلتها قال ابن الجهم فدخلت عنده يوما للمنادمة فلما استقر بنا المجلس قام فدخل الى بعض المقاصير ثم خرج وهو يضحك فقال لى ياعلى انى دخلت فرأيت فلانة قد كتبت على خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه فقل فى ذلك شعرا قال ابن الجهم وكانت الجارية حاضرة معنا فتفكرت قليلا واطرقت الى الارض ثم أخذت العود وترنمت حتى صاغت لما قالته لحنا ثم اندفعت تغنى

* وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا * بنفسى خط المسك من حيث أثر
لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد أودعت قلبى من الوجد اسطرا
* فيا من لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أسر وأظهرا *
* ويا من لعينى من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المزن آثار جعفرا *

قال ابن الجهم وأنا فى ذلك كله مفحم لا أستطيع ان أنظم حرفا فقال لى المتوكل ويلك ياعلى أين ما أمرتك به فقلت ياسيدى أقلنى فوالله لقد أفحمت وعزب

عنى ذهنى قال فلم يزل يعبرنى بذلك (صاحب روضة الازهار) عن على بن الجهم قال دخلت على أبى عثمان المازنى وعنده جارية كأنها فلقة قمر وبيدها تفاحة فقالت لى ما أراد الشاعر بقوله

خبرينى من الرسول اليك ✻ واجعليه من لا يبم عليك

قلت لا أعرف قالت أراد هذه ورمت الى بالتفاحة قال فوالله ما وجدت لها جوابا من نسبة كلامها (البيهقى فى المحاسن) قال بينما الامين يطوف فى قصره ليلا اذ مرت به جارية سكرى فمد يده اليها وراودها عن نفسها فمنعت وقالت عسى تمهلنى لغد فلما كان من الغد طالبها بوعدها فقالت له أما سمعت قولهم ✻ كلام الليل يمحوه النهار ✻ فعزم عليها وواقعها وسأل عمن بالباب من الشعراء فأمرهم بنظم القضية فقال مصعب بن عبد الله الزهرى

أتعذلنى وقلبى مستطار ✻ كئيب ما يقر له قرار
بحب ملجمة فتنت فؤادى ✻ بالحاظ يمازجها احورار
ولما ان مددت يدى اليها ✻ لالمسها بدا منها نفار
فقلت الوعد سيدتى فقالت ✻ كلام الليل يمحوه النهار

(قال أبو على فى الامالى) قال وأكل الرشيد يوما مع ابنه عبد الله المأمون وأقبلت جارية تصب الماء على يد الرشيد فنظر اليها عبد الله وأومأ اليها بقبلة فأنكرت ذلك عليه بعينها وأوجب ذلك انها أبطأت بصب الماء فقال الرشيد ما هذا وتوعدها بالقتل ان لم تصدقه فقالت ان عبد الله أشار الى بقبلة فأنكرت عليه بحاجبى فنظر الرشيد اليه وقد كاد يموت جزعا فقال له يا حبيبى أتحب الجارية وضمه الى صدره ليسكن لهفه فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال هى لك فادخل بها فى تلك القبة ففعل فلما خرج قال له الرشيد يا عبد الله هل قلت فى ذلك شيأ قال نعم يا أمير المؤمنين وأنشده

ظبى كتبت بطرفى ✻ من الضمير اليه
قبلته من بعيد ✻ فاعتل من شفتيه
✻ ورد اخيب رد ✻ بالكسر من حاجبيه
فبرحت مكانى ✻ حتى قدرت عليه

أخيب رد يروى بالباء الموحدة ويروى بالنون (عريب المأمونية) كانت تقول ملكنى ثلاثة من الخلفاء وما اشتهيت منهم أحدا الا المعتز فانه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد (قال) أبو محمد بن حزم فى نقط العروس ان صدقت فقيهم

والد وولده والله أعلم * وكانت عريب تحب أبا عيسى بن الرشيد حبا شديدا وكان أبو عيسى من أجل الناس قالت عريب وكنت حين ملكني الامير بنت أربع عشرة سنة قال نحرير الخادم دخلت ذات يوم الى قصر الحرم فنظرت الى عريب جالسة على كرسي ناشرة شعرها وهي تغتسل فسألت عنها فقيل هذه عريب دعاها اليوم مولاها فافتضها وتصيرت بعد موت الامين لاخيه المأمون فذهبت به كل مذهب وبلغ به حبها الى أن قبل قدميها وكانت هربت من سيدها الذي أخذها منه الامين ليلا الى حاتم بن عدي وكان قد استخفى عند مولاها وكانت تنظر اليه وينظر اليها وربما اختلس منها قبلة فلما ظهر من اختفائه هربت عريب اليه فأقامت عنده زمانا ولا يعلم سيدها اين ذهبت فقال عيسى بن زينب في ذلك

قاتل الله عريبا * فعلت فعلا عجيبا
ركبت والليل داج * مركبا صعبا مهيبا
* وبدت لحب * فتلقاها مجيبا
حذلا قد نال في الد * نيا من الدنيا نصيبا

(قال) أحمد بن المدبر خرجت مع المأمون وأناصبي الى أرض الروم لطلب ما تطلبه الاحداث من الرزق فلما خرجنا من الرقة رأينا جماعة من الخدم في العماريات وكنا رفقة وكنا أتراب فقال لي أحدهم في بعض هذه العماريات عريب فقلت من يراهني على ان أدخل بين العماريات وأنشد أبيات عيسى بن زينب المتقدمة فراهنني بعضهم فعدلت الى الاحمال وأنشدتها وأنا رافع صوتي بها حتى أتممتها فاذا امرأة قد أخرجت رأسها من عمارية وقالت يافتى نسيت أجود الابيات وأطيبها أليس فيها

وعريب رطبة الشفـ * ـرين قد نيكت ضروبا

فقالت نسيت ذلك اذهب فخذ ما راهنت أصحابك عليه وألقت السجف فعلمت أنها عريب فبادرت الى أصحابي خوفا أن يلحقني مكروه من بعض الخدم (قال) أبو الفرج في الاغاني زارت عريب محمد بن حامد وكان يهواها وكانت هي أيضا تحبه فجعل يعدد عليها ويقول فعلت كذا وفعلت كذا فأقبلت عليه وقالت ياهذا قم لما جئناله واجعل سراويلي مخنقي وألصق ركبتي بوريدي واجمع بين خلخالي وقرطي واعمل عملك واذا كان من الغد وأحببت العتاب فاكتب لي ذلك في طومار لا جميل عنه ودع عنك ما شغلت به نفسك طول ليلتك فقد

قال الشاعر

دعى عبد الذنوب اذا التقينا ❊ تعالى لا نعد ولا تعدى

(صاحب طارد المهموم) قال خلع المتوكل على بهلول ثوب وشى فلبسه ومر بدار حمدونة المغنية وكانت من الحسان المستحسنات فقالت لجاريتها أدخلي لعلنا أن نخدعه على الثوب فلما دخل قالت له يا بهلول كأني بك تقول أنا جائع واشتهي طعاما قال لها هو كذلك فاخرجت له طعاما فأكل ثم قالت له كأني بك تتشوف الى سماع صوت من غنائي فقال لها ان الامر لكما ذكرت فغنته ثم قالت له كأني بك تقول اخلع هذا الثوب على حمدونة فقال لها أو تريدينه قالت نعم قال لا يمكن ذلك الا بعد أن أعمل واحدا فأجابته فقال لها ان بظهري ألما يمنعني ولكن اصعدي أنت علي ففعلت فقضى حاجته منها كذلك ثم نزلت فطلبت منه الثوب فقال وهل صنعت شيأ انما أنت فعلت بي فقالت له فكيف وجه العمل فقال لها أن أعمل واحدا وأنا موقك فأحذ منها آخر كما أراد ثم طلبت الثوب فقال لها وبماذا تستحقينه فعلت بي وفعلت بك قالت له فما وجه الخلاص قال ان أصنع واحدا الروحي فقالت له شأنك وذاك ففعل بها الثالث ثم دفع لها الثوب وخرج واستسقاها ماء فشرب وأطلق الاناء من يده فانكسر وجلس على الباب بفناء صاحب المنزل فرآه فقال له ما أجلسك يا بهلول على باب داري فقال له خلع علي الامير ثوب وشي فاستسقيت من هنا ماء فاخرجت الى حمدونة اناء فشربت منه فوقع وانكسر فأخذت مني الثوب فقال صاحب الدار أخرجي له ثوبه فقالت له حمدونة أهكذا كان الحديث فقال قد حكيته أنا على قدر جنوني فاحكيه أنت على قدر عقلك (أبو الريحان في كتاب الجماهر) قال كانت للمعتضد حظية تسمى دريرة وكان يحبها فبنى لها موضعا يخلو بها فيه يسمى البحيرة وقال فيه ابن بسام

ترك الناس بحيرة ❊ وتخلى في البحيرة
قاعدا يضرب بالطبـ ❊ ـل على حر دريرة

فبلغ ذلك المعتضد فامر بتخريب البحيرة ولم يعلم أحد سبب ذلك (قال) واتفق ان هجا ابن بسام القاسم بن عبيد الله بن وهب فقال يخاطب أبا عبيد الله عند موت ابنه الحسين

قل لأبي القاسم المرجى ❊ قابلك الدهر بالعجائب ❊
مات لك ابن وكان زينا ❊ وعاش ذو الشين والمعايب

حياة هذا كموت هذا * فلست تخلو من المصائب

فاشتهرت الابيات وتداولتها الالسن حتى صارت يتمثل بها في كل شيء (وكان ابن حمدون النديم) يلعب بالشطرنج مع المعتضد يوما فدخل القاسم بن عبيد الله يستأذن في بعض الامور وخرج ثم دخل في حاجة أخرى فوجد المعتضد يقول الابيات ويكررها فرفع المعتضد رأسه فرآه فحمله الخجل والحياء منه ان قال هلا قطعت لسان هذا الفاجر فخرج القاسم مبادرا وطلب ابن بسام فما وجده ورجع المعتضد الى لعبه فارتعدت يد ابن حمدون في لعبه فقال له مالك فقال يا أمير المؤمنين ان ابن بسام من نبلاء الشعراء وانى خائف أن يقطع أبو الفضل لسانه فما لبث ان جاء القاسم فسأله الامير عن ابن بسام فقال له لم يوجد فقال له انما أمرتك أن تبره وتكرمه ليعينك من هجائه فاني من أجله خربت البصيرة فخرج القاسم وأحسن اليه وولاه البرور (عمارة في تاريخ اليمن) قال كانت السيدة بنت أحمد بن جعفر بن أحمد الصليحية بعيدة الصيت بالجمال والكمال والادب جمعت كل حسن وكانت تسمى بلقيس الاسلام وكان زوجها المكرم الصليحي لما مات عنها تركها بدار العز التي بناها بمدينة ذي جبلة من بلاد اليمن فلما استولى سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي على الملك أراد أن يتزوجها ليكمل له ملكه فامتنعت منه فعزم على قتالها فاشير عليه بأن يكاتب في أمرها المستنصر العبيدي صاحب مصر اذ كان أهل اليمن قائمين بدعوته فامتثل ذلك وأرسل اليه رسولين من قبله في هذه القضية فرجعا اليه بقضاء حاجته ومعها خصي برسم الكلام معها فدخل الخصي اليها وقد حضر وجوه أهل الدولة قائمين لقيامه فقال أمير المؤمنين يسلم على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن وسيدة ملوك اليمن عمدة الاسلام خالصة الانام ذخيرة الدين ولية أمير المؤمنين ويقول لها وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من أمير الامراء أبي حمير سبأ بن أحمد على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون ألفا أصنافا وتحفا وألطافا فقالت أما كتاب مولانا أمير المؤمنين فاني أقول فيه اني ألقى الى كتاب كريم وأما أمره فلا أقول فيه يا أيها الملأ أفتوني في أمري ثم قالت للرسولين وأما انتما فوالله ما جئتما الى مولانا من سبأ بنبأ يقين بل حرفتما القول عن مواضعه وسولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله

المستعان على ما تصفون وتم عقد النكاح بينهما واستأذنها فى الدخول بها بدار العزفاذنت له فدخل بها ومديده اليها فلم تمتنع عليه فواقعها أول مرة ثم أراد المعاودة فمنعته وبعد لاى ما أجابته وأراد المعاودة ثالثا فضربت وخرجت من البيت الذى كانت معه فيه (ويحكى) انه انما اجتمع بها فى تلك الليلة خاصة وانه عرض له فى صبيحتها من قيام بعض الثوار عليه ما أوجب اشتغاله بمدافعته ولم يقض لهما اجتماع بعد ذلك وبعض أهل اليمن يقول انه لم يرها وانما أجلست له تلك الليلة جارية من جواريها وعلم بذلك فكتم الامر ولم يفشه (الثعالبى فى اليتيمة) قال كانت بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية خطبها أبو على الكاتب فتمنعت عليه فالح عليها والحف فكتبت اليه

* ايرك ايرماله * عندحرى هذا فرج
فاصرفه عن باب حرى * وادخله من حيث خرج

قال أبو منصور الثعالبى حاكيا عن الصاحب بن عباد هى والله فى هذين البيتين اشعر من كبيشة أخت عمرو الخنساء أخت صخر وجنوب الهذلية وليلى الاخيلية (ابن حيان فى المقتبس) قال وجه الامير عبد الرحمن بن الحكم المروانى شاعره يحيى بن الحكم المعروف بالغزال الى ملك الروم فاعجبه حديثه وخف على قلبه وطلب منه ان ينادمه فامتنع الغزال من ذلك واعتذر بتحريم الخمر وكان يوما جالسا معه واذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهى كالشمس الطالعة حسنا فجعل الغزال لا يميل ببصره عنها وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه فانكر ذلك عليه وأمر الترجمان بسؤاله فقال له عرفه انه قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه فانى لم أر قط مثلها وأخذ فى وصفها والتعجب من جمالها وانها شوقته الى الحور العين فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده وسرت الملكة بقوله وأمرت الترجمان ان يسأله عن السبب الذى دعا المسلمين الى الختان وتجشم المكروه فيه وتغيير خلق الله تعالى مع خلوه من الفائدة فقال للترجمان عرفها ان فيه أكبر فائدة وذلك ان الغصن اذا زبر قوى واشتد وغلظ ومادام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقا ضعيفا فضحكت من قوله وفطنت لتعريضه (ابن سعيد فى خزانة التاريخ) قال وجه الامير عبد الرحمن بن الحكم المذكور غازيا الى خليفته وكانت عنده قرطبة جارية يهواها فاحتلم فى بعض الليالى بها فلما استيقظ قال

وافاك من قرطبة زائرا * طيف لمن أنت به هائم

وقال لشاعره عبد الله بن شمر أجز فقال

لو كان حقا الشوق غله * وانما أنت به حالم

فاستخلف عبد الرحمن على الجيش وعاد الى صاحبة الخيال ففعل فى اليقظة مافعل فى النوم وشفى غلته وعاد الى الجيش (الحجازى فى المسهب) قال جلس المعتمد بن عباد فى بعض الايام ووضع من منازهه المشرفة على اشبيلية واحب الاجتماع بزوجته الرميكية فوجه اليها يعرفها بذلك ويستفهمها هل غرضها وصولها اليه اوصوله اليها فكتبت اليه

غرضى أن يكون منك وصول * بخطى تسبق الرياح حثاث

ثم تعلو صدرى وتحرث بطنى * بقمد يخط كالمحراث

واذا ما حصلت للنيل فوقى * لم تدعنى الى بلوغ الثلاث

قال الحجازى فعمل اليها الخطى الحثاث وبلغها الى الثلاث * اسم الرميكية أم البنين وصفها الحجازى بالجمال وطيب النادرة ونظم الشعر وهى التى ورطت المعتمد فيما ورطته من الخلاعة والاستهتار والمجاهرة حتى كتب عليه أهل اشبيلية بذلك وبتعطيل صلوات الجمع عقودا ورفعوها الى أمير المؤمنين وكان من أمرهم معهم ما كان وسجن المعتمد باغمات وسجنت الرميكية معه فاتت قبل هنالك * وكان أصل تزوجها ان المعتمد كان كثيرا ما ينكر هو ووزيره ابن عمار ويخرجان الى الموضع المعروف ببرج الفضة وهو مكان بهيج يجتمع الرجال والنساء للفرجة فيه فبينما المعتمد عشية على ضفة الوادى اذ هبت ريح فزردته فقال لابن عمار أجز * صنع الريح من الماء زردا * فقال كأن ابن عمار وبدرته امرأة كانت بقربه منها فقالت * أى درع لقتال لو جمد * فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ولخامه ونظر اليها فرأى صورة جميلة فوقعت بقلبه وانصرف الى قصره بعد أن وكل بها أحد خصيانه وأمره بحملها اليه فلما وصلت اليه استفهمها عن نسبها فاخبرته انه من صنف الساسة المشتغلين بالانزا على الدواب وانها خلو من الزوج فتزوجها وقطعا برهة من عمرهما فى سرور متوال * وله معها القضية المشهورة فى قوله ولا يوم الطين وذلك انها رأت الناس يمشون فى الطين فاشتهت المشى فيه فامر المعتمد فسحقت الطيوب وذرت فى ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على الطيوب المذكورة وعجنت بالايدى حتى صارت كالطين وخاضته مع جواريها وكان يوما مشهورا * وغاضبها فى بعض الايام فاقسمت انها لم ترمنه خيرا قط فقال لها

ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت وولدت للمعتمد منها ابنته بثينة وكانت أيضا نحو امها فى الجمال والنادرة وونظم الشعر ولما أحيط بابيها ووقع النهب فى قصره كانت من جملة من سبى ولم يزل ابن عباد والرميكية عليها فى ولد دائم لا يعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليها بالشعر المشهور المتداول عند الناس وكان أحد تجار اشبيلية اشتراها على انها سرية ووهبها لابنه فنظر من شأنها وهيئت له فلما أراد الدخول عليها امتنعت واظهرت فسبها وقالت لا أحل لك الا بعقد النكاح ان رضى أبى بذلك وأشارت عليهم بتوجيه كتب من قبلها لابيها واقتضاب جوابه فكان التى كتبت فيه لابيها من نظمها وبخطها

اسمع كلامى واستمع لمقالتى ❊ فهى السلوك بدت على الاجياد
لا تنكروا أنى سبيت وانى ❊ بنت الملك من بنى عباد
ملك عظيم قد تولى عصره ❊ وكذا الزمان يؤول للافساد
لما أراد الله فرقة شملنا ❊ واذا قناطع الاسى عن زاد
قام النفاق على أبى فى ملكه ❊ فدنا الفراق ولم يكن بمرادى
فخرجت هاربة تخازنى امرؤ ❊ لم يأت فى افعاله بسداد
اذ باعنى بيع العبيد فضمنى ❊ من صانى الامس الانكاد
وأرادنى لنكاح نجل طاهر ❊ حسن الخلائق من بنى الانجاد
ومضى اليه يوم رأيت فى الرضا ❊ ولانت تنظر فى طريق رشادى
فعسى يا أبتى تعرفنى به ❊ ان كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها ❊ تدعو لنا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها لابيها وهو باغمات سرهو وأمها بحياتها وما آل أمرها وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبى المذكور وكتب اليها فى اثناء كتابه

بنيتى كونى بعيرة ❊ فقد قضى الدهر باسعاده

(ابن بسام فى الذخيرة) قال كانت ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصرى الملقب بالمستكفى واحدة أوانها ونادرة زمانها حسنة منظر وخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى الاحرار المصر وفناؤها ملعب الجياد النظم والنثر يغشاها اهل الادب الى ضوء غرتها وتهتال افراد الشعراء الى الكتاب على حلاوة عشرتها الى سهولة حجابها وكثرة منتابها اختلط ذلك بعلو نصاب وكرم انسلاب على انها اطرحت التحصيل وأوجدت الى القول فيها السبيل لقلة مبالاتها وجاهرتها بلذاتها قال وكانت قد كتبت على طرز

جعلته على أحد عاتقها

أنا والله اصلح للمعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها

(وكتبت فى الطرز الآخر)

وأمكن عاشقى من صحن خدى * وأمنح قبلتى من يشتهيها

هى التى أولع بها أبو الوليد بن زيدون وإياها يخاطب بقوله

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا

والروض عن مائه الفضى مبتسم * كما حلت عن اللبات أطواقا

* والنسيم اعتلال فى أصائله * كأنه رق لى فاعتل اشفاقا

لاسكن الله قلبا عن تذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا

لو شاء حملى نسيم الريح نحوكم * وافاكم بفتى أضناه مالاقى

(ومن) كلام ابن زيدون مخبرا عن أول اجتماعه بها مما لم يثبت فى الذخيرة قال كنت فى أيام الشباب هائما بقادة أرى الحياة متعلقة بقربها ولا يزيد فى امتناعها الا اغتباطا بها فلما ساعد القضاء وآن اللقاء كتبت الى

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل أكتم للسر

وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ثم لما طوى النهار كافوره ونشر الليل عنبره أقبلت وقد كالقضيب فى رد كالكثيب وقد أطبقت نرجس القل على ورد الخجل فلما الى روض مريح وظل سجسج قد قامت رايات أشجاره وامتدت سلاسل أنهاره ودر الظل منثور وجيب الراح مزرور فلما شبينا نارها وأدركت منا ثارها برح كل منا بحبه وشكا ما بقلبه وبتنا ليلة نجتنى أقحوان الثغور ونقتطف رمان الصدور ولما نشر الصبح لواءه وطوى الليل ظلماءه ودعتها وأنشدتها

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على أن لم يكن * زاد فى تلك الخطى اذ شيعك

يا أخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك

أن يطل بعدك ليلى فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

وذكر ابن بشكوال فى الصلة ولادته هذه فقال كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر قال ولم يكن لها نصاون يطابق شرفها وذكر انها توفيت سنة ثمانين واربعمائة ثم استدرك بعد ذلك فذكر انها توفيت سنة اربع وثمانين (ابو سعيد فى المقتطف) قال كان أبو الفرج بن الجوزى اذا جلس على المنبر للوعظ رفع الناس اليه رقاعا بما يعرض لهم من المسائل فيقرؤها ويجيب عنها وهو على

[illegible] يقال فرغت له اليوم امرأة مشهورة بالجمال والرفاهية رقعة فيها [illegible] سيدها الامام امتع الله ببقائه وقد ألف في كل فن الا في الطب في امرأة [illegible] عنها بين كتفيها وتجد أكالا شديدا بين شفريها وقد سألت عن [illegible] الاطباء فلم تجد لدائها دواء ولا عبات لعلتها غاية ولا انتهاء فلما [illegible] الرقعة اليه قال وأين صاحب الرقعة التي تتضمن مسئلة الطب [illegible] الجواب وباقي القصيدة

يقولون ليلى في العراق مريضة ✻ فيالبتني كنت الطبيب المداويا

قال فبكى الناس وتواجدوا ولم يعلموا ما تحت ذلك (أبو سعيد في كتابه المسمى بالطالع السعيد) قال حكت حفصة بنت الحاج الركوني المشهورة بالادب والجمال الى بعض من كان بينها وبينه في ذلك الزمان صحبة واتصال

أزورك أم تزور فان قلبي ✻ الى ماشئتم أبدا يميل
وقد أمنت أن تظهار نفسي ✻ اذا وافى اليك أبي المقيل
نثغري مورد عذب زلال ✻ وفرع ذوائبي ظل ظليل
فجد بالجميل فما جميل ✻ أتاك عن بثينة يا جميل

(يشبه هذه الابيات) الابيات التي أنشدها ابن الحصين في تاريخه لسلمى بنت القراطيسي من أهل بغداد قال وكانت مشهورة بالجمال والادب وهي

عيون مها الصريم فداء عيني ✻ وأجياد الظباء فداء جيدي
✻ أزين بالعقود وان نحري ✻ لازين للعقود من العقود ✻
ولا أشكو من الاوصاف ثقلا ✻ وتشكو فاتني ثقل النهود ✻

(قال) ابن الحصين وبلغت هذه الابيات المقتفي فقال اسألوا عنها هل تعلم صفتها قولها فقالوا ما يكون اجمل منها فقال اسألوا عن عفافها فانها قيل هي اعف الناس فارسل اليها مالا جزيلا وقال تستعين به على صيانة جمالها وروى أديبها

✻ وهنا انتهى الكتاب ✻ والحمد لله على حسن معونته وصلواته المتوالية على خير بريته سيدنا محمد وآله وذريته واستغفر الله تعالى مما خطته يميني ونطق به لساني من لغط الكلام وسقطه وفضول القول وهذره

✻ بقول مصححه الراجي غفران المساوي السيد حماد الفيومي الجمالوي ✻

فحمدك اللهم يا من خلقت نوع الانسان بيديك وقدرت ذلك في أحسن تقويم وأعليت من شئت من أفراده باختصاصك له الى ذروة التفضيل والتكريم وخلقت لذوي [illegible] نفسه ليميل بغوريزي طبعه اليه ✻ وجعلت بينهما من المودة

والرحمة ما يظهر به ما أودعته من بديع حكمتك لديه ❊ ونصلي ونسلم على سيدنا
محمد صفوتك المخصوص بمكارم الشيم وعلى آله وأصحابه كنوز الاسرار
ومعادن الكرم ❊ وبعد ❊ فان فن الادب خير فن روضت في رياض محاسنه
عقول الوزف وهذبت في مآدب آدابه جوامح النفوس وانتظمت من
جواهره عقود المعارف وان من أعظم ما اكتحلت عيون ألفاظه من اثمد
معانيه وانسقت لآلئ ضروبه من جواهر مبانيه لكتاب تحفة العروس
ونزهة النفوس للقطب الرباني والهيكل الصمداني العلامة أبي عبد الله
الشيخ محمد بن أحمد التيجاني جل الله بصيب الرحمة ثراه وجعل الجنة مثقلبه
ومثواه فكم أودع في كنوز حقائقه من فرائد أحاديث يشتفي بسلسبيلها فؤاد
الغليل ويصبح برياعبيرها من أمزجة الارواح كل جريح عليل تستفتح منها
في رياض المسامرة من اخلاق الغادات زواهر الازهار وتتنسق عن محاسن
صفاتهن كمائم الانوار ويحسو فم السميع منها ماء حياة يطيل عمر المسرة وتكتحل
منها ما ثر الاكارم عماه ولعيونها قرة ❊ ولما كادان يعفى أثر هذا الكتاب
ذيل الاندراس وتمحي معالم معارفه في زوايا التناس قيض الله حضرة الهمام
الافخم والملاذ الاكرم الاستاذ الشيخ محمد بن يوسف البارودي رفع الله قدره
ونشر بالكمالات ذكره مع عصابة من ذوي الفضائل وأرباب الفواضل
لتعطير الاكوان بعبير طبعه وتطييب الارجاء بنشر نفحه فجاء كما رام تسر
بهجته الناظرين وتقر بادارة كؤس أحاديثه أعين الطالبين مبالغا في اتقان
تصحيحه على حسب الاستطاعة وفاء بحقه وأداء لواجبات هذه الصناعة
وكان ذلك بالمطبعة العامرة الشرفية التي مركز ادارتها في مصر خان أبي طاقيه
وفاح مسك ختامه وتم بدر تمامه يوم الاربعاء الثامن عشر من شهر
الله رجب الاصب الاصم سابع شهور عام ألف ومائتين الله
وواحد من هجرة سيد العرب والعجم صلى الله
وسلم عليه وعلى آله وكل تابع له
وتابع على منواله ما هبت
نسمات الوصال على
أرباب الاحوال
آمين

This preservation photocopy was made
at BookLab, Inc. in compliance with copyright law.
The paper meets the requirements of ANSI/NISO
Z39.48-1992 (Permanence of Paper)

Austin 1995

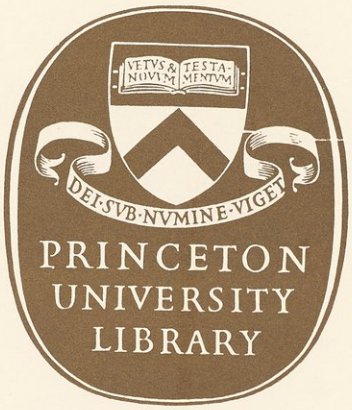
VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY